٧

مؤسسة المصطفى لإحياء التراث



بحوث معمّقة في المضامين والدّلالات لمعاني آية الكرسي

الجزء الأوّل

تأليف

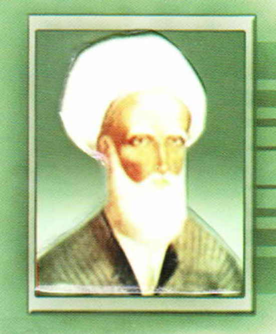
آية الله العظمى

السيّد كاظم الحسيني الرّشتي "قدس سره"

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

تحقيقه وتعليقه

الشيخ عبد المنعم العمران





دار المحجة البيضاء


تفسير آية الكرسي
بحوث معمقة في المضامين والدلالات
لمعاني آية الكرسي


بسم الله الرحمن الرحيم



تفسير آية الكرسي

بحوث معمّقة في المضامين والدلالات
لمعاني آية الكرسي

تأليف

آية الله العظمى

السيّد كاظم الحسيني الرشتي «قدس سره»

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عبد المنعم العمران

الجزء الأول

دار المحجة البيضاء

مؤسسة المصطفى ﷺ لإحياء التراث

مؤسسة المصطفى ﷺ لإحياء التراث

بيروت — لبنان

تفسير آية الكرسي

تأليف : السيد محمد كاظم الرشتي المكي

تحقيق وتعليق : الشيخ عبد المنعم العمران

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م



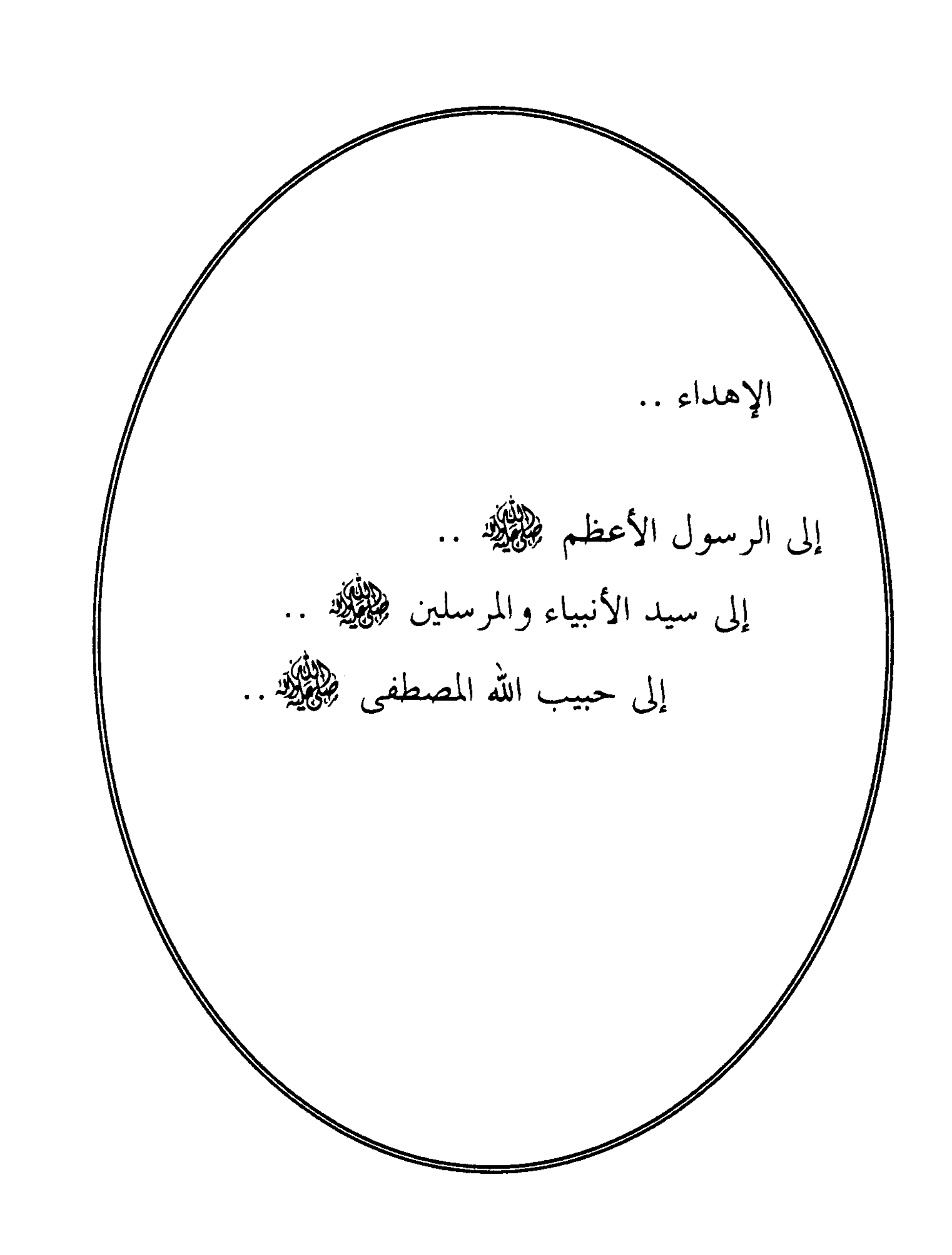
الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



الإهداء ..

إلى الرسول الأعظم ﷺ ..

إلى سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ..

إلى حبيب الله المصطفى ﷺ ..

بسم الله الرحمن الرحيم

إن انبثاق فكرة أي مؤسسة ثقافية أو هيئة علمية يعتمد بالدرجة الأولى على الغاية التي أنشأت من أجلها والأهداف المرجوة منها ، فذلك يحدد الآلية التي تعتمد عليها ، ويكشف الصعوبات التي قد تكتنف مثل ذلك العمل خاصة تلك المؤسسات التي تتبنى منهجاً تاريخياً تحقيقياً في الوقت الذي تواجه شح في المصادر وقلة في المعلومات .

ومؤسسة المصطفى هي من المؤسسات المتخصصة التي آلت على نفسها التصدي لتراث منطقة الأحساء جمعاً وتحقيقاً وتحليلاً بشكل عام فمنطقة الأحساء رغم كثرة ما كتب عنها سواء على الصعيد التاريخي أو الصعيد الاجتماعي فإن الكتب المتخصصة والجادة منها لا زالت محدودة جداً مما نجم عنه وجود أبعاد مختلفة من الحياة الأحسائية مجهولة تنتظر الخوض فيها وكشف الحجب التاريخية والنفسية عنها .

ولفكر العلامة الشيخ الأوحد الأحسائي أحمد بن زين الدين قدس سره (١١٦٦-١٢٤١هـ) بشكل خاص . والكشف عن نشاطه العلمي

والفكري بجميع جوانبه وتشعباته وما ابتنى على مدرسته الفكرية والعلمية من المقتنيات الثقافية جمعاً وتحقيقاً في وقت أصبحت منطقتنا الأحساء في أمس الحاجة إلى إبراز مثل تلك الملامح الثقافية.

إذ المتأمل في إطلالة تاريخية على سيرة شخصية مثل الشيخ الأحسائي يلحظ ما يلي:

أ- مدى رسوخ هذه الشخصية في العقلية الأحسائية ، وتغلغلها في معظم أبعادها الفكرية ، لدرجة أنه لفترة طويلة كان فكره مدار الدرس والتدريس العقلي في الحوزة الأحسائية لما يتجاوز قرن كامل.

ب- امتلك الشيخ الأحسائي - بغض النظر عن اتفاق البعض معه أو اختلافهم عنه - مدرسة فكرية عملاقة ، استطاع أن يجعل لها صيتاً واسعاً وأثراً في الحركة العلمية العامة في أهم مركزين علميين إضافة إلى موطنه الأحساء : العراق ، وإيران.

د- خلف وراءه تراثاً ضخماً من المؤلفات جعلته الشخصية الأولى في التاريخ الأحسائي من القديم حتى اليوم ، حيث بلغ البعض بكتبه إلى ما يربو على المائتين مؤلف ، إضافة إلى عشرات التلاميذ من داخل الأحساء وخارجها . هذا مع امتلاكه مدرسة سيارة تتنقل معه أينما حل.

هـ- أن مدرسته جوبهت بالكثير من التجني والقسوة من الكثير من الأعلام ، الذين لم يدرسوا فكره ومنهجه ، أو لنقل لم يتيحوا لمدرسته الانطلاق كما أتيح لغيرها لتعطى حقها من الدرس والتحليل المعمق ؛ إذ

رغم مضي ما يزيد على القرن والنصف من وفاته لم تزل جوانب عديدة من شخصيته مجهولة لدى الكثيرين وشبه غامضة لدى البعض الآخر ، مما يوجب أهمية إعطاء شخصيته الفرصة كغيره.

ز- أنه شخصية علمية تمتاز بالقوة والصلابة ليقف أمام أعتى وأقوى مدرسة فلسفية في عصره وهي مدرسة الملا صدرا الشيرازي (١١٥٠هـ) متناولاً إياها بالنقد والتحليل في اثنين من أبرز كتب صدر الدين الشيرازي هما العرشية والمشاعر ، واضعاً بذلك معالم مدرسة جديدة أراد لها الرواج ، تستقي أصولها من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا يمكن تلخيص المعالم التي نهضت من أجلها فكرة مؤسسة المصطفى ، وهي تضع قدمها على سلم التحقيق والتأليف في النقاط التالية:

-التعريف بالملامح التاريخية والفكرية لمنطقة الأحساء.

-إبراز أعلام المنطقة ، والكشف عن الأثر العلمي الذي خلفوه.

-تحقيق الكتب التي ترشحت بها أقلام رموز المنطقة العلمية ، وأنها كانت تمتلك زخماً علمياً وفكرياً لا يقل عن العديد من الحواضر العلمية المختلفة.

-طباعة تراث الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي باعتباره علم الأحساء الأبرز خلال تاريخها الماضي ، ولكونه صاحب مدرسة فكرية كلامية لها ملامحها وخصائصها التي تميزها عن غيرها من المدارس العلمية.

-طباعة وتحقيق كتب رموز مدرسته ، والمنتمين لها سواء من داخل المنطقة أو خارجها ، باعتبارها جزء من مدرسة كان منبعها هذه المنطقة ، وكان لها تأثير بالغ في مسار الحركة العلمية فيها.

-إنشـــاء موقـــع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ، بمسمى : WWW.ALAHSAI.NET ، تحت الأهداف والغايات نفسها ، عبر نشر المقالات والبحوث التي تصب في المضمار نفسه.

وقد استطاعت المؤسسة حتى الآن أن تحقق وتطبع عدة كتب هي:

١- الرسالة البدائية ، للميرزا محمد باقر الأسكوئي (١٣٠١هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد المنعم العمران ، (ط١٤٢٥هـ).

٢-منار رفع الشبهات ، للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي (١٣٦٣هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد المنعم العمران ، (ط١٤٢٥هـ).

٣- رسالة شاه زاده ، للشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي، تحقيق وتعليق الشيخ عبد المنعم العمران ، (ط١٤٢٥هـ).

٤- مفاتـيح الأنـوار ، للشـيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين الأحسـائي (١٣١٦هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد المنعم العمران ، (ط ١٤٢٥هـ) .

٥- دعـوى وحدة الناطق أدلة بطلانها من كتب الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي ، للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي (١٣٦٣هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد المنعم العمران ، (ط١٤٢٦هـ).

والكتاب الذي بين أيدينا (تفسير آية الكرسي) للسيد كاظم الرشتي قدس سره (١٢٥٩هـ) ، وهو من تحقيق سماحة الشيخ عبد المنعم العمران ، وهو يقع في ثلاثة مجلدات ، تضم ما يناهز الألف وأربعمائة صفحة ، وهو بلا شك عمل يكشف عن الجهد الكبير المبذول فيه ، والعناء الذي بذله المحقق في إنجاز عمله.

وتكمن أهمية الكتاب في المنهج المتبع فيه ، حيث سلك المصنف فيه أسلوب تفسير الباطن والتأويل ، وهو باب دقيق قد انزلق فيه الكثيرون ؛ لشدة صعوبته وعمق مطلبه ، فإن دل على شيء فإنما هو سعة الاطلاع التي تميز بها المصنف وغزارة علمه.

وهنا أتوقف عن الحديث عن الكتاب ؛ لكون المحقق أوسعه بحثاً وتحقيقاً ، ولكن ما يهمني هنا الإشارة إليه هو أن الشيخ العمران استطاع أن يفرض نفسه على الساحة الكتابية في بلادنا العزيزة الأحساء ، ليكون نجماً من نجوم التحقيق فيها ؛ لما يتمتع به قلمه التحقيقي من سعة صدر وطول نفس . وهي الآليات المهمة لكل باحث ومحقق ناجح ، وما كتاباته السابقة إلا شاهد حي على ذلك ، ولنترك المحقق يأخذنا معه في غمرات الكتاب وأتون علومه.

مؤسسة المصطفى لإحياء التراث



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــــد لله رب العـــالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطاهرين .

وبعد ..

يمثل القرآن الكريم أعظم كتاب هداية وإعجاز ، قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] ؛ وذلك لأن شرف الكلام من شرف قائله ، وبما يحتويه من قيم ومعارف .

وقد جاء القرآن الكريم مفعماً بالحيوية ، ومختزلاً لكل ما سبقه من كتب سماوية ، قال الله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ﴾[2] ، قـــد عـــبق شذا بصائره كل ذي شعور ، وأخذت لطائف بياناته مسامع القلـــوب ، فتفاعلت به الأشياء ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً ﴾[3] ،

---

(١) سورة القصص : ٤٩ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٤ .

(٣) سورة الرعد : ٣١ .

وقـــال تعالى : ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(١) .

وهو مع كل ذلك تبيان لكل شيء ، قال تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾(٢) .

ومن هنا حث الله تعالى على تدبره ، والتفكر فيه ، قال الله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾(٣) ، وقـــال تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٤) .

وفي الوقـــت الذي تؤكد فيه الأحاديث الشريفة على ذلك ، تولي بعـــض السور مزيد أهمية ، مثل سورة الفاتحة ، قال فيها الرسول الأعظم ﷺ : (**والذي نفسي بيده ، ما أنزل الله في التوراة والإنجيل ، ولا في الـــزبور ، ولا في الفرقان مثلها ، وهي أم الكتاب ، وأم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بين الله وبين عبده ، ولعبده ما سأل**)(٥) .

---

(١) سورة الحشر : ٢١ .

(٢) سورة النحل : ٨٩ .

(٣) سورة ص : ٢٩ .

(٤) سورة النحل : ٤٤ .

(٥) جامع الأخبار ، السبزواري : ١٢١ ، ف ٢٢ /١٢ . وانظر : مجمع البيان ، الطبرسي : ١ /٤٨ .

وسورة البقرة ، قال الرسول الأعظم ﷺ : (**البقرة سنام القرآن وذروته**)[١] . أي (أنها أعلى القرآن ، وأشرفه ، كما أن أعلى ما في البعير سنامه وذروته)[٢] .

ويشتد التأكيد إذا ألحت إلى بعض الآيات فيها ، مثل آية الكرسي ، قال الرسول الأكرم ﷺ لعلي عليه السلام : (**يا علي ، عليك بتلاوة آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة ، فإنه لا يحافظ عليها إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد**)[٣] .

وقد ورد أنها أعظم آية ، وذلك أن أبا ذر رضي الله عنه قال للرسول الأعظم ﷺ : (**فأي آية أنزلها الله عليك أعظم ؟** .

قال : آية الكرسي)[٤] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام في فضلها : (**إن لكل شيء ذروة ، وذروة القرآن آية الكرسي ، من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا ، وألف مكروه من مكاره الآخرة ، أيسر**

---

(١) المجازات النبوية ، الشريف الرضي : ٤١٤ .

(٢) المجازات النبوية ، الشريف الرضي : ٤١٥ .

(٣) قرب الإسناد ، الحميري : ٤١٥/١١٨ .

(٤) الخصال ، الشيخ الصدوق : ٥٢٤ ، أبواب العشرين وما فوقه /١٣ .

مكروه الدنيا الفقر ، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر ، وإني لأستعين بها على صعود الدرجة)[١] .

بل قد فضلها ﷺ على كل كتب الله تعالى ، وذلك عندما سُئل ﷺ : (**القرآن أفضل أم التوراة ؟** .

فقال : إن في القرآن آية ، هي أفضل من جميع كتب الله ، وهي آية الكرسي)[٢] .

ولكل هذا اشتغل المسلمون بها ، وتربوا في سرادق معانيها ، وألفوا في بيان أسرارها ، وكشف أستارها ، ومما ألفوا[٣] :

١- تفسير آية الكرسي ، للميرزا إبراهيم ابن ملا صدرا الشيرازي (١٠٧٠هـ) .

٢- تفسير آية الكرسي ، للشيخ أبي الفضل ابن الشيخ مبارك بن خضر اليماني الهندي (الشهيد ١٠١١هـ) .

٣- مفتاح كنوز الأسماء والذخائر ، للشيخ شهاب الدين أحمد بن هلال .

---

(١) وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٣٩٦/١١ ، ك الحج ، أبواب آداب السفر إلى الحج ، ب ٢٤/ ٢ .

(٢) مستدرك الوسائل ، النوري : ٣٣٤/٤ ، ك الصلاة ، أبواب قراءة القرآن ، ب ٤٤ /٢١ .

(٣) الذريعة ، الطهراني : ٣٢٩/٤ .

٤- تفسير آية الكرسي ، للمولى محمد أشرف ابن المولى حيدر علي الورنوسفادراني ، وقد كتب باللغة الفارسية .

٥- تفسير آية الكرسي ، للشيخ محمد صالح ابن ميرزا فضل الله المازندراني الحائري .

٦- تفسير آية الكرسي ، للسيد عبد الوهاب الحسيني الإسترابادي.

٧- تفسير آية الكرسي ، للسيد عطاء الله بن محمود الحسيني .

٨- تفسير آية الكرسي ، للسيد محمد بن الحسين المدعو بفخر الدين الحسيني الإسترابادي الإمامي ، وقد كتب باللغة الفارسية .

٩- تفسير آية الكرسي ، للملا صدرا الشيرازي (١٠٥٠هـ) .

١٠- تفسير آية الكرسي ، للسيد كاظم الرشتي (١٢٥٩هـ) .

تفسير آية الكرسي للسيد الرشتي :

يعد تفسير السيد الرشتي لآية الكرسي من أهم كتبه ، بل من أهم كتب فكر مدرسة الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي ، وهو يعكس لنا مدى تبحر السيد الرشتي في علوم القرآن الكريم .

بدأ كتابته في العشرين من عمره ، وهو في سفره للحج[(١)] ، وقد استمر في كتابته في مراحل حياته ، إلا أنه - وللأسف الشديد - لم

---

(١) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٣ . وانظر : ١/١٠٦ .

يكملـــه؛ إذ أنه توقف في أبحاث قوله تعالى : ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾[١] ، ومن أهم مميزاته :

١- ابـــتكار المنهج : لقد كتبه بمنهج مبتكر ، إذ أنه لم يتبع المناهج الموجـــودة في عصـــره ؛ كالمنهج الأثري ، أو بالرأي ، أو غير ذلك ، بل استخدم ما يمكن تسميته بمنهج فقه[٢] القرآن الكريم ، أو بالمنهج التحليلي للقرآن الكريم .

ومن أهم سمات منهجه :

أ - تفسير الآية الكريمة بالآيات .

ب- تفسير الآية الكريمة بالأحاديث الشريفة .

ج- اعتماده على العقل بشرط عدم مخالفته لمحكم الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وإجماع الفرقة المحقة .

د - اعتماده على ظاهر عقائد المسلمين .

هـــ- تناوله كل كلمة في الآية بالبحث من عدة جوانب .

٢- كتبه على طريقة التأويل والباطن[٣] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) لـــيس المقصود بالفقه - هنا - المعنى الاصطلاحي ، بل المعنى اللغوي ، أي العلم بالشيء ، والفهم ، والفطنة له . الكليات ، أبو البغاء : ٦٩٠ .

(٣) انظر : ١/١٠٦ .

٣- اشتماله على مطالب ندر من تطرق لها[١] ، وتكلم عنها بالتفصيل ، كتأويل القرآن الكريم ، وباطنه ، وظاهر ظاهره .

وللكتاب مختصر ، ألفه - تلميذ المصنف - المولى محمد تقي الهروي الأصفهاني الحائري (١٢٩٩هـ)[٢] .

وخلاصة الكلام أن هذا التفسير يعتبر من أوسع ما كتب عن آية الكرسي ، إن لم يكن أوسعها ، ولو أن السيد الرشتي قدس سره قد أكمله لأمكن أن يقال أنه يغني عن غيره ، ولا يمكن الاستغناء عنه .

العمل في الكتاب :

وأما العمل في الكتاب ، فقد قمت في عملي على تحقيقه بما يلي :

١- مطابقة النسخ : لقد حصلت على نسختين :

أ. نسخة مطبوعة على الحجر في إيران ، عام ١٢٧١هـ ، وتقع في (١١٩) صفحة ، وقد كتبت بخط واضح وجميل ، إلا في بعض المواضع .

ورمزها : (م) .

---

(١) انظر : ١/١٢٥ .

(٢) الذريعة ، الطهراني : ٤/٣٢٩ ، ٣٣١ .

ب. نســـخة مطـــبوعة ، لم يكتـــب عليها اسم الناشر ، ولا تاريخ طباعـــتها ، وقـــد اعتمد محققها على نسختين . وطبعت من ثلث الحاج إسماعيل واحدي رحمه الله ، وتقع في (٣١٤) صفحة .

ورمزها : (ح) .

٢- تقطيع النص ، ووضع علامات الترقيم .

٣- وضع عناوين لكلام المصنف ، وضعت بين معقوفتين [ ] .

٤- تخريج الآيات والروايات والأقوال، والتعليق على بعض المواضع.

٥- عمل فهارس علمية .

وفي الختام أحب أن أشكر كل من ساعدني وشجعني على إنجاز هذا الكتاب . وأدعو الله تعالى أن يتقبله ، ويجعله من الباقيات الصالحات .

عبد المنعم العمران

١٤٢٥/٩/١٥ هـ

السيد محمد كاظم الرشتي قدس سره

(١٢١٢هـ - ١٢٥٩هـ)

نسبه :

السيد محمد كاظم بن محمد قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الموسوي[١] المدني الكربلائي .

اسمه السيد محمد كاظم ، واسم أبيه محمد قاسم كما نص عليه في بعض مصنفاته[٢] ، وقد اشتهر باسم السيد كاظم بن قاسم ؛ وذلك - في الظاهر - للتخفيف ، كما أنه سمى نفسه بذلك في بعض كتبه[٣] .

وأما الحسيني ، فنسبة إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، حيث أنه ينتسب إليه من جهة الأب[٤] .

---

(١) رسالة صعودية ونزولية (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٢٣٤/٢ . فائدة جليلة (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٣٤٧/١ .

(٢) المناسبة بين الألفاظ والمعاني (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ١٨٢/١ . رسالة شريفة (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٣١٧/١ .

(٣) السلوك إلى الله ، الرشتي : ٢١ . شرح دعاء السمات ، الرشتي : ٣٩ .

(٤) الوصية (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٢/٢ .

وذلك أنه ينتسب إلى أمير قلعة إربل ، الأمير السيد علي ابن الأمير السيد طالب الدلقندي ، المعاصر للشريف حميضة بن أبي نمى ، وكان حياً عام (٧٢٠هـ) .

والأمير علي يتصل نسبه بالحسن الأفطس بن علي الأصغر ابن الإمام علي السجاد ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام[١] .

وأما الموسوي ، فهو نسبة إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وذلك أن أمه من سلالة الإمام الكاظم عليه السلام[٢] .

وأما المدني ، فنسبة إلى المدينة المنورة ؛ لأن والد جده - السيد حبيب - من أكابر سادات المدينة المنورة[٣] .

وأما الرشتي ، فنسبه إلى مدينة رشت ، وهي مركز جيلان ، وتقع في شمال إيران[٤] .

بعد وفاة السيد حبيب - والد جد السيد - وقع في المدينة المنورة طاعون ، وبسببه هاجر ابنه - السيد أحمد - من المدينة المنورة إلى إيران ،

---

(١) عشائر كربلاء وأسرها ، آل طعمة : ١٠٥ .

(٢) الوصية (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٢/٢ .

(٣) الشيخية ، الطالقاني : ١١٧ .

(٤) الشيخية ، الطالقاني : ١١٧ .

واخـــتار مدينة رشت للسكن ، وفيها ولد ابنه السيد محمد قاسم ، فعرف بالرشتي[١] .

وبسبب اشتهار السيد الرشتي وأعقابه بالإرشاد الديني تم إبدال التاء في (الرشتي) إلى الدال ، فاشتهر الأعقاب بـــ (الرشدي)[٢] .

وأمـــا الكـــربلائي ، فنسبة إلى مدينة كربلاء المشرفة ؛ لأنها مقر سكنه، وفيها مدفنه[٣] .

أسرته :

تـــرجع أسرة السيد الرشتي إلى عائلة الزُبَارة ، وهي بطن كبير من الســـادة العلويـــة ، يرجع إلى السيد محمد الأكبر ، الملقب بزُبَارة ، كان شجاعاً ، شديد الغضب ، إذا غضب يقول جيرانه : قد زبر الأسد ، فلقب بزبارة[٤] .

وذهب ابن عنبة (٨٢٨هـــ) إلى أن الملقب بذلك هو ابنه أحمد[٥] .

---

(١) الشيخية ، الطالقاني : ١١٧ .

(٢) عشائر كربلاء وأسرها ، آل طعمة : ١٠٦ .

(٣) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ، الحائري : ٨٦ .

(٤) الأنساب ، السمعاني : ١٢٨/٣ .

(٥) عمدة الطالب ، ابن عنبة : ٣٨٢ .

وبــنو زبارة لم يأت لبني الأفطس بيت مثلهم[١] ، اشتهروا بالعلم والأدب ، والــورع والــزهد ، والجلالة والفصاحة ، والإمارة والرئاسة ، ومنهم :

١- السيد أبي الحسين محمد بن أحمد بن محمد الأكبر الزبارة ، كان عالماً ، فاضلاً ، أديباً ، فصيحاً ، حافظاً للقرآن الكريم ، شجاعاً ، رئيساً ، متقدماً ، بويع بالخلافة في نيسابور ، توفي في نيسابور عام (٣٣٩هــ)[٢] .

٢- الســـيد أبي محمد يحيى بن السيد محمد المتقدم ، المعروف بشيخ العترة ، نقيب النقباء بنيسابور ، كان عالماً ، فقهياً ، أديباً كاملاً ، ورعاً ، متكلماً .

قــد ذكرته كتب الرجال مرة باسم يحيى المكنى أبا محمد ، وأخرى باسم يحيى بن محمد بن أحمد ...[٣] ، وشُهد له بالجلالة والعدالة .

قــال الشــيخ الطوسي قدس سره (٤٦٠هــ) في الفهرست : (جليل القدر، عظيم الرئاسة ، متكلم حاذق ، زاهد ورع)[٤] .

---

(١) عمدة الطالب ، ابن عنبة : ٣٨٢ .

(٢) عمدة الطالب ، ابن عنبة : ٣٨٢ . الأنساب ، السمعاني : ١٢٨/٣ . الذريعة ، الطهراني : ١٧٢/٢ .

(٣) رجال النجاشي ، النجاشي : ٤٤٢-٤٤٣ . الذريعة ، الطهراني : ١٧٤/٢-١٧٥ .

(٤) الفهرست ، الطوسي : ٢٦٤ .

وقال السيد علي البروجردي (١٣١٣هـ) : (سيد ، متكلم ، فقيه)[١] .

له كتب أكثرها في الإمامة ، منها[٢] :

١- التوحيد وسائر أبوابه .

٢- الإيضاح في المسح على الرجلين .

٣- الأصول .

٤- إبطال القياس .

وفيه يقول الصاحب إسماعيل بن عباد رحمه الله (٣٨٥هـ) عندما أجابه السيد على كتاب أرسله له[٣] :

بالله قل لي أقرطاس تخط به ... من حلة هو أم ألبسته حللا

بالله لفظك هذا سال من عسل ... أم قد صببت على ألفاظك العسلا

حج سنة (٣٥٧هـ) ، وصلى بالحجيج بمكة عدة صلوات ، وانصرف على طريق جرجان ، وتوفي في جرجان ، في جمادى الآخرة ،

(١) طرائف المقال ، البروجردي : ١/١٥١ .

(٢) معالم العلماء ، المازندراني : ١٣١ . الذريعة ، الطهراني : ٢/١٧٤ ، ١٧٦ . ٤/٤٨٥ . الفهرست ، الطوسي : ٢٦٤ .

(٣) الأنساب ، السمعاني : ٣/١٢٩ .

سنة (٣٧٦هـ) ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة[١] ، وعلى هذا يكون مولده سنة (٣١٨هـ) .

٣- السيد حبيب ، وهو جد أب السيد كاظم ، كان من أشراف المدينة المنورة ، وأكابر ساداها[٢] .

٤- السيد كاظم الرشتي قدس سره - المترجَم له - وسيأتي الكلام عنه ، إلا أن ما يهم هنا هو أنه قد أضاف إلى شرف هذه الأسرة شرفاً ، وزاد في تألقها ، ولذا ترى كل من تكلم عن أسر كربلاء المشرَّفة لا يستطيع أن يتجاهلها ، بل يذكرها ويشيد بها .

قال الشيخ محمد السماوي (١٣٧٠هـ) عند ذكر العوائل العلمية في كربلاء[٣] :

وآل قاسم الحسيني النسب   والمنتمي لرشت من مسكن أب

---

(١) الأنساب ، السمعاني : ١٢٩/٣ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١١٧ .

(٣) الشيخية ، الطالقاني : ١٧٣ .

وقـــد عدهـــا الشيخ محمد علي اليعقوبي (١٣٨٥هــ) من الأسر العـــريقة بالعلم والأدب ، والشهيرة بالمجد والشرف[١] ، وأنهم من سراة[٢] كربلاء[٣] .

وذكـــرها الأســـتاذ نور الدين الشاهرودي في أهم وأشهر الأسر العلمية الدينية في كربلاء ماضياً وحاضراً[٤] .

وقـــال الســـيد سلمان آل طعمة : (آل الرشتي : وهي من الأسر العلمـــية والأدبية الشهيرة ، يرجع استيطانها كربلاء إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، تسلسل منها أعلام ساهموا في بناء المجد العلمي ، وشاركوا في تدعيم الأدب الكربلائي)[٥] .

ونظراً لهذه العراقة ، والتأصل في سماء المجد والعلا (كان الكثير من الشعراء يقصدونهم ، ويمدحونهم)[٦] .

وشذ من شعراء كربلاء من لم يشارك في مدحه ، أو تهنئته ، أو غير ذلك من الأغراض[٧] ، ومدح أولاده وأحفاده .

---

(١) البابليات ، اليعقوبي : ٨٩/٢ .

(٢) السراة : أعلى كل شيء . القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ٣٤٢/٤ ، (سرى) .

(٣) البابليات ، اليعقوبي : ١١٠/٢ .

(٤) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ، الشاهرودي : ٢١٩ ، ٢٤٣ .

(٥) تراث كربلاء ، آل طعمة : ١٣٨ .

(٦) شعراء الغري ، الخاقاني : ١٣٥/٥ .

(٧) الشيخية ، الطالقاني : ١٦٤ .

ومـــنهم الشيخ صالح الكواز (١٢٩٠هـــ) ، الذي (كان لا يزف عـــرائس أفكاره الأبكار - باستثناء مراثيه لأهل البيت - إلا لبعض الأسر العريقة بالعلم والأدب ، الشهيرة بالمجد والشرف ، كآل القزويني في الحلة ، وآل كاشـــف الغطـــاء في النجف ، وآل كبة في بغداد ، وآل الرشتي في كربلاء ، وأضرابهم)[١] .

والشـــيخ حمادي نوح الحلي (١٣٢٥هـــ) ، الذي خصص فصلاً كاملاً من ديوانه بهم ، وسماه : الرشتيات[٢] .

ومـــنهم الشيخ قاسم بن محمد الهر (١٢٧٦هـــ) ، والحاج جواد بدقت الأسدي (١٢٨١هـــ) ، والشيخ محمد فليح (١٢٩٥هـــ) ، والشيخ موســـى بـــن قاسم الأصفر (١٢٨٩هـــ) ، والشيخ كاظم الهر (١٣٣٠ هـــ)[٣] ، والشيخ عباس الصفار الزبوري (١٣١٦هـــ)[٤] ، والسيد حسن بن نعمة القطيفي[٥] .

---

(١) البابليات ، اليعقوبي : ٨٩/٢ .

(٢) البابليات ، اليعقوبي : ٩٤/٣ .

(٣) تراث كربلاء ، آل طعمه : ٣١٠-٣١١ .

(٤) البابليات ، اليعقوبي : ١٩٧/٢ .

(٥) البابليات ، اليعقوبي : ١١٠/٢ .

ولادته ودراسته :

ولـــد قدس سره في مدينة رشت ، واختلف في تاريخ ولادته ؛ فقيل إنه عام (١٢٠٥هـــ) ، وقيل إنه سنة (١٢١٢هـــ)[١] .

ومنذ السنين الأولى من طفولته ظهرت عليه علائم الذكاء ، وآثار النباهة والحصافة ، وظهر منه استعداده لنيل أعلى درجات العلم والكمال ، فلما لاحظ والده ذلك ، عَين له مُعلماً ، فتعلم العلوم والمعارف في أسرع وقت[٢] .

وقبل بلوغه سن التكليف اشتهر أمره ، ولمع نجمه ، وكتب حواشي على بعض الكتب التي درسها ، وشد طلاب العلم له الرحيل ، وهوت إليه أفئدتهم[٣] .

ومع هذا التألق لم يكتف بذلك ، بل أراد أن يصل إلى ما هو أعلى من ذلك ، إلا أنه تحير في الشخص الذي يوصله إلى ذلك ، وبسبب ذلك مر في ظروف قاسية ، ومرض شديد ، إلى أن بدأ بدعاء التوسل ، ولنترك الكلام للسيد الرشتي ليحدثنا عن ذلك : (سمعت في الطيف قائلاً يقول : ما تريده عند الشيخ أحمد .

---

(١) الشيخية ، الطالقاني : ١١٨ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١١٩ .

(٣) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ، الحائري : ٨١ .

فانتبهت من نومي ، وقلتُ : مَن الشيخ أحمد ؟، ومِن أين أعرفه ؟.

وإذا أنـا في الطيف أيضاً مرةً أخرى سمعت قائلاً يقول : مقصودك عند الشيخ أحمد في يزد .

فانتبهت من نومي ، وقلتُ : الشيخ أحمد في يزد ، مَن هو ؟ ، والقائل في الطيف من يكون ؟ ، وهذا النداء هل هو من الشيطان أم من الرحمن ؟ .

وإذا أنا في الطيف مرة ثالثة بأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام قد حضروا ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : مطلوبك عند الشيخ أحمد الأحسائي الساكن في يزد ، وهو عالمنا في الأصول والفروع ، وهو عالمنا في الظاهر والباطن .

قلتُ : يا مولاي ، صِفْ شكله حتى أكون على بصيرة . فوصفه لي عليه السلام من رأسه إلى قدمه .

قلتُ : مِن أين يمكن لي المسافرة ؟ .

قال عليه السلام : يتيسر لك .

فقلتُ : يا سيدي ، من كان الذي يناديني مرتين قبل هذا ؟ .

قال عليه السلام : أنا كنت أناديك .

فانتبهت من نومي فرحاً مسروراً ، ورجعت إلى بلدي وبيتي ، وقلتُ : أريد المسافرة إلى يزد ؛ لتحصيل العلم .

فأنكروا عليَّ نهاية الإنكار ، وقالوا : إن تريد العلم فامضِ إلى كربلاء المشرفة ، أو أصفهان ، فما شأنك في يزد ؟! . وقالوا أيضاً : إن هذا الوقت ، وهذا الفصل ، ليس وقت السفر والخروج من البلد .

قلتُ : لا بدّ لي من ذلك ، والسفر إلى يزد . وما أظهرت لهم مما في ضميري وما رأيت في طيفي شيئاً .

ولّما رأوا إصراري في هذا الأمر بنوا على الاستخارة ، فأخذت كلام الله المجيد ، وفتحته ، فإذا بالآية المباركة : ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[١] ، فسكتوا عني .

فعزمت على السفر ، وخرجت من البلد مسافراً حتى دخلت يزد ، وتشرفت بخدمة الشيخ)[٢] .

وكان تعرفه على الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره (١٢٤١هـ) نقطة تحول في حياته وفكره ، إذ وجده ضالته المنشودة ، وإكسير سعادته ، فلازمه سنين متطاولة ، في الليل والنهار ، وفي الحضر والسفر[٣] ، وكان له بمنزلة القميص على البدن[٤] .

---

(١) سورة الزمر : ١٢ .

(٢) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ، الحائري : ٨٣ .

(٣) دليل المتحيرين : ١٨ ، ٢٠ ، ٦٢ .

(٤) روضات الجنات ، الخونساري : ١/١٠٠ .

وتوغـــل في حب أستاذه ، وأخلص له ، حتى قال إنه قد ذخر حبه ومتابعته ليوم فقره[١] .

وقد أنزله أستاذه مكانة عالية ، و (حظي عنده بمنـــزلة كبيرة ، لم ينلها سواه ، حتى صار أخص تلامذته ، وأرشد حضار درسه ، وأقربهم إلى نفســـه ، لدرجة أنه كان لا يبدأ بالتدريس ما لم يحضر الرشتي ، حتى ولو حضر تلامذته كافة)[٢] .

إجازاته :

له إجازات من علماء عصره ، ومنهم[٣] :

١- الشـــيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره (١٢٤١ هـــ) .

٢- السيد عبد الله شبر قدس سره (١٢٤٢هـــ) .

٣- الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر الجناحي قدس سره ، صاحب كتاب كشف الغطاء (١٢٤١هـــ ، أو ١٢٤٣هـــ) .

٤- المولى علي الرشتي قدس سره .

---

(١) دليل المتحيرين ، الرشتي : ٦٢-٦٣ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٢٠ .

(٣) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٤١٧/٢ . الذريعة ، الطهراني : ٢٠٤/١ . التراث : ٩١/٨ . الإجازة ، الحائري : ٨٧ ، ٩٨-٩٩ .

أقوال العلماء :

١- قال الميرزا حسن گوهر قدس سره (١٢٦٦هـ) : (السيد السند ، والكهف المعتمد ، عمدة العلماء العاملين ، وزبدة الفضلاء الكاملين ، قوام الملـة والدين ، سناد الشيعة ، وركن الشريعة ، سيدي ، وأستاذي ، ومن إلـيه في كل حق استنادي ، السيد الأجل ، العالم ، السيد كاظم الرشتي ، أطال الله بقاءه ، وجعلني في كل مكروه ومحذور فداه)[1] .

٢- قال الشيخ عبد الله معتوق الخطي قدس سره (١٣٦٢هـ) : (العالم الـرباني ، والعـارف السـبحاني ، محيي الدين ، وركن المؤمنين ، وحيد العصر، وفريد الدهر ، قطب رحى الهداية ، ومحور كرة الإفادة والرعاية ، كاشف رموز أسرار الحقيقة ، وموضح مبهمات الشريعة والطريقة ، السيد السـند ، والـركن المعتمد ، فخر الأعاظم ، السيد كاظم الرشتي أصلاً ، والحائري مسكناً ومدفناً ، طاب ثراه)[2] .

---

(١) مختصر شرح حياة الأرواح ، گوهر : ٢٧ . وانظر : ٤٧ . شرح حياة الأرواح ، گوهر : ١ .

(٢) التراث : ٨/٩١ .

٣- وقال الميرزا محمد باقر الخوانساري قدس سره (١٣١٣هـ) : (تلميذه[١] العزيز ، وقدوة أرباب الفهم والتمييز ، بل قرة عينه الزاهرة ، وقوة قلبه الباهرة الفاخرة ، بل حليفه في شدائده ومحنه ، ومن كان بمنزلة القميص على بدنه ، أعني السيد الفاضل ، الجامع البارع ، الجليل الحازم ، سليل الأجلة ، السادة القادة ، الأفاخم الأعاظم ، ابن الأمير سيد قاسم الحسيني الجيلاني الرشتي ، الحاج سيد كاظم)[٢] .

٤- قال الشيخ محمد حمزة شريعة مدار قدس سره : (كان بارعاً في العلوم العقلية والنقلية ، والفقه ، والأصول ، وسائر العلوم الأدبية والغريبة)[٣] .

٥- قال الشيخ إبراهيم آل عرفات القطيفي قدس سره (١٢٦٩هـ) : (وإني لأستصغرن نفسي ، بل أنفس علماء العصر عند ملاحظة بيانات هذا السيد الجليل القدر أدامه الله)[٤] .

---

(١) أي تلميذ الشيخ الأحسائي .

(٢) روضات الجنات ، الخوانساري : ١/١٠٠ .

(٣) الشيخية ، الطالقاني : ١٤٢ .

(٤) تعليقات ، آل عرفات : ٤٢٤ .

٦- قال السيد إعجاز حسين الكنتوري قدس سره (١٢٨٦هـ) : (السيد العامل ، العالم ، ذي المفاخر والمكارم ، السيد محمد كاظم)[١] .

٧- قال الميرزا محمد تقي الممقاني قدس سره (١٣١٢هـ) : (السيد السند الأعظم ، والطود المنيع الأفخم ، قوام الملة والدين ، أنموذج سلفه الطاهرين ، ناموس الدهر ، وتاج العز والفخر ، المؤيد بالتأييد الرباني ، والمسدد بالتسديد السبحاني ، حجة الأكابر والأعاظم ، مولانا السيد كاظم الحائري ، أعلى الله مقامه ، ورفع في الخلد أعلامه)[٢] .

٨- قال المولى حسين بن قلي الكنجوي قدس سره : (شيخي العلامة ، وسندي الفهامة ، عماد الإسلام ، وعلم الأعلام ، وصفوة الفضلاء الكرام، الطود الأشم ، والبحر الخضم ، ركن العلماء العارفين ، وخاتم الفقهاء والمجتهدين ، مولانا وأستادنا وعمادنا ، السيد السند الأوحد الأمجد ، مولى الأكابر والأعاظم ، مولانا السيد كاظم الرشتي ، أدام الله بقاه ، وجعلنا من كل مكروه فداه)[٣] .

---

(١) كشف الحجب ، الكنتوري : ٢٣٠ .

(٢) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٢/٤١٦ .

(٣) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ١/٢٥ .

٩- قال المولى محمد حسين المحيط الكرماني قدس سره : (سيدنا الأعظم، ومولانا الأقدم ، معلم العالم ، غوث أبناء آدم ، سيد الأعاظم ، الحاج السيد كاظم روحي له الفداء)[١] .

١٠- قال الشيخ محمد ابن الشيخ حسين آل أبي خمسين الأحسائي قدس سره (١٣١٦هـ) : (قطب الهداية ، وعلم الدراية ، ومبين محكم الآية والرواية ، الذي أنواره مقتبسة من فاضل فلك الولاية .

النور اللامع من ضياء الحقيقة المحمدية ، والبدر الطالع في سماء الإمامة العلوية ، والدرة المنيرة الخارجة من الصدفة الفاطمية ، والثمرة الجنية الناتجة من الدوحة الحسنّية الحسينّية ، السّيد السند ، والكهف المعتمد ، عمدة الأفاضل ، وزبدة الأعاظم ، جناب الحاج ، السيد كاظم ، أطال الله بقاءه ، وجعلنا من كل مكروه فداه)[٢] .

وقال أيضاً : (العالم ، الكامل ، الفاضل ، ناموس الدهر ، وتاج الفخر ، وعلامة العصر ، وحيد الدهر ، موضح الحقيقة والطريقة ، ومحي الشريعة على الحقيقة ، وماحي قواعد الحكماء الصوفية ، ومظهر آثار علوم العلوية .

---

(١) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٢٦/١ .

(٢) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٦٤/١ .

سيد الأمة ، ونسل الأئمة ، عز المؤمنين ، وملاذ العلماء العارفين ، وركن الإسلام والمسلمين ، وخاتم المجتهدين ، العالم الرباني ، والحكيم الصمداني ، والعارف السبحاني ، والفرد الذي ليس له ثاني ، والفاضل الإلهي .

العلم الأمجد ، والفرد الأوحد ، أعلم العلماء ، وقدوة الفقهاء ، المضيّع لمبتدعات الإشراقيين ، والمخرب لقواعد المشائيين ، والمبطل لمخترعات الصوفيين الملحدين ، والمصحح لقواعد العلماء الإلهين ، والناصر لمذهب أجداده الطاهرين ، سلام الله عليهم أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

أفقه الفقهاء والمجتهدين ، زبدة المؤمنين الممتحنين ، عماد الملة والدين ، سيد السادة ، وسند السيادة ، المولى الأعظم ، والأستاذ المعظم ، صفوة الأفاضل ، العارف بحقائق المعاني ، الواصل فيضه للقاصي والداني ، قدوة المدققين ، وفخر المحققين ، عمدة الفضلاء ، وأزكى الأزكياء ، ملجأ الطلاب ، وملاذ الأصحاب .

رأيته جالساً في صدر ناديه ، والطلاب جاثية بين أياديه ، والناس مجتمعون عليه ، وهو يباحث في كتابه المسمى باللوامع الحسينية - عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف الثناء والتحية - فرأيته بحراً مواجاً ، وسراجاً وهاجاً ، ونجماً زاهراً ، وشمساً منيراً ، وبحراً يتقاذف موجه بالدرر ، وعقداً في جيد الدهر يتلألأ بالغرر ، فيملأ الأصداف - الأسماع - دراً فاخراً ،

ويـــبهر الأبصـــار والبصائر محاسن ومفاخر ، فرائد فوائده تخجل جواهر العقود ، وجواهر فرائده يزري عقائد النقود .

يتشعشع من جبهته النور ، ويتناثر من وجنته السرور ، دلاء العلوم تقـــذف درر المعارف قواربها ، وقمر الفضل أشرق بضياء عوارفه مشارقه ومغاربه .

كالبحر يقذف للقريب جواهراً   جـــوداً ويبعـــث للبعيد سحائبا(١)

وعـــلم عِلم لا تباهيه الأعلام ، وحفه فضل لا يفصح عن وصفه الكلام ، أرجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار ، وأحيت كل أرض نزل بها فكأنها لبقاع الأرض أمطار .

شـــاد مـــدارس العلوم بعد دروسها ، وسقى بصيّب فضله حدائق غروسها ، وأنعش جدورها من عثارها ، وأخذ من خراب الجهل بثأرها ، وفوائـــده في سمـــاء الإفادة أقمار ونجوم ، وشهب لشياطين الإنس والجن رجوم .

إن نطـــق صفد المعاني عن أمم ، وأسمعت كلماته مَن به صمم ، وإن كتـــب كبت الحساد عن كثب ، فجاء بما شاء على الاقتراح ، وترك أكباد أعدائه دامية الجراح .

---

(١) ديوان المتنبـــي ، المتنبي : ١١١ .

وكنـــت قـــبل ذلك أسمع بعض الممادح من بعض الإخوان لذلك الجناب ، ولكن بعدما تشرفت بخدمته ، ولازمت صحبته ، عرفت وتيقنت بأنهم ما عرفوا من مناقبه وفضائله معشار العشر ، لا هم ولا غيرهم ، وأنه غريـــب بين أظهرهم ، ما قدروه حق قدره ، وأنه بينهم كالمسجون ؛ لأنه محشور مع غير أبناء جنسه ، وأن كل من وصفه إنما وصفه بما ظهر له به ، كما قال سيد الموحدين : (**إنما تحد الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها**)[1] .

ولذا تراهم مختلفين فيه ، ومتفاوتين في معرفته)[2] .

١١- قـــال الشـــيخ حسن بن الشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء قدس سره (١٢٦٢هـ)[3] :

شـــقيق أراه معرضاً عن شقيقه	كـــأن طـــريقي كان غير طريقه
لك الخير لا يذهب بوجدك عاذل	يفـــرق مـــنا شـــائق عن مشوقه
يحـــن إلى ذكراك في كل ساعة	كمـــا حـــن وجـــد عانق لعلوقه
تـــرفق بصـــب مســـتهام فؤاده	يحـــن وراء الركـــب حـــنة نوقه

(١) نهـــج الـــبلاغة ، الرضي : ١٢٠ ، الخطب /١٨٦ . الاحتجاج ، الطبرسي : ٢٩٩/١ ، احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله .

(٢) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٦٦ .

(٣) شعراء الغري ، الخاقاني : ٦١/٣ .

لــه ناظر يرعى النجوم ومدمع   يســيل وقلــب خافق من مضيقه
فلا العين ترجو أن تجف دموعها   ولا القلب يرجوا راحة من خفوقه
وشــتان مــا بين الخلي وواجد   ومــا بــين مأسور الهوى وطليقه
ومــا بين مألوف السهاد وراقد   ومــا بين مثلوج الحشى وحريقه

١٢- قال الأديب الشاعر عبد الباقي العمري (١٢٧٨هـ)[١] :

أهــلاً بمــن قــال إله السما   فــوق الســما لجــده أهــلا
ومرحــباً بــابن أب كل من   آمــن بــالله لــه مــولى
ومــن أتــى في حقه هل أتى   نعــم وفي أولاده قــل لا
ذاك أبــو الغــر الميامين كم   مــن آيــة في نعــته تتــلى
ويــا ابــن أم هــي جرثومة   للشــرف الأعلى غدت أصلا
شرَّفتَ بغداد كما شُرِّف العر   ش بنعــلي جــدك الأعــلى
قــد دســتها في قــدم ودَّها   م الأوج لــو كــان لهــا نعلا
إن حــاز قوم قصبات من الــ   ســبق فقد حازت بك السؤلا
ذاتــك للعــلم غدت مظهرا   فهي لــه وهــو لهــا مجــلى
لم تلــق أبكــار المعاني سوى   فكــرك يــا كفء العلا بعلا
عن فضلك السائر قد أحجمت   أهــل النهى يــا سابقاً مهلا

---

(١) الترياق الفاروقي ، العمري : ٢٥٢ .

فـــابن لبون لم يطق صــولة | في عـــدوه إن ســـابق الـــبزلا
حملـــت أعبـــاء فنـــون سمت | لم يســـتطع رضـــوى لها حملا
إلـــيك دهراً قد شكت ثقلها | وأنـــت لا تشـــكو لهـــا ثقلا
مديـــنة العـــلم أبـــوك الذي | كـــان لهـــا الباب فكن فصلا
أوضحـــت بـــالهدى لنا حجة | بـــرهانها قـــد أوضـــح السبلا
وكـــدت أن تمـــلي مـــا خطه | ذو العرش في اللوح من الإملا
فـــلم نجد مثلك يا ابن الأولى | لم نـــر في الهـــدى لهـــم مثلا
مجـــدداً دمـــت لآثـــاراهم | تبـــلي الجديديـــن ولا تبـــلى

١٣- قال الشيخ قاسم الهر رحمه الله (١٢٧٦هـ)[١] :

كيف الضلال ونور رشدك مشرق | وشذاك في الأكوان مسك يعبق
يا من إذا لمعت أشعة نوره | ظلت بها حدق الخلائق تحدق
يا كاظم الغيظ الذي فيه اغتدت | كل العلوم الغامضات تحقق

١٤- قال الشيخ صالح الكواز رحمه الله (١٢٩٠هـ)[٢] :

فـــوا لبيت الذي شرفاً وعزاً | به الأملاك قد هبطت خشوعا

---

(١) تراث كربلاء ، آل طعمة : ٣١٠ .

(٢) ديوان الشيخ صالح الكواز ، اليعقوبي : ٧٤ .

بـــناه الكاظم الحبر الذي قد حـــوى أســـرار والده جميعا
أخو علم لو أن الخضر أضحى لديـــه صاحباً لـــن يستطيعا
هو الـــداعي إليه بـــاحتجاج فلـــم يدرك لـــدعوته سميعا
فلم أر مثل ذاك اليـــوم يوماً ولم أر مـــثله حقـــاً أضـــيعا

وقال أيضاً[1] :

فتى كاظم للغيظ ما ضاق صدره إذا ضاق من وسع الفضا بالأذى صدر
إذا حسن البشـــر الوجـــوه فإنه لـــمولى محيـــاه بـــه يحسن البشـــر
وما هو في حسن المناقب مكتس فخاراً ولكـــن فيه يفتخر الفخـــر
أخو العلم إمازج في الغيب فكره إلى ما وراء الستـــر يلقى له الستـــر
وذو معجزات قال من لا يطيقها كما قيل فيمن جاء من قبله سحـــر
أضاءت به الدنيا زماناً ومذ مضى أضاء بنوري نيِّريـــه لنا الدهـــر

١٥- قـــال المـــيرزا موسى الحائري الإحقاقي قدّس سرّه (١٣٦٤هـــ) : (الكامل ، الفاضل الواصل ، مفتاح الكنوز ، ومصباح الإشارات والرموز، كاشـــف أســـرار العلـــوم ، وموضح مبهمات الرسوم ، خاتم المجتهدين ، ومفخـــر آل طـــه ويس ، السيد السند ، والنحرير المعتمد ، سيد الأكابر

---

(١) المصدر السابق : ١١٣ .

والأعـــاظم ، السـيد كاظم بن قاسم الرشتي الحسيني الموسوي ، أنار الله برهانه .

إنه كان عالماً فاضلاً ، محققاً ، مدققاً ، منطقياً ، وأوحد أهل زمانه في العلم والفضل والكلام والحديث ، وسائر العلوم الغريبة ، من الرياضية وغير الرياضية ، والخطابة ، والجاه ، والكرم ، وغيرها)[١] .

١٦- قـــال الشيخ حبيب بن قرين الأحسائي قدس سره (١٣٦٣هـ) : (السـيد السـند ، والكهف المعتمد ، سيد الأكابر والأعاظم ، مولانا ، وسـيدنا ، السـيد كـاظم الحسيني الرشتي ، أعلى الله لهما المقام في دار السلام)[٢] .

١٧- قال الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي قدس سره (١٤٢٥هـ): (الحكـيم الكـبريائي ، والفقيه الرباني ، الجامع للعلوم العقلية والنقلية ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، مولانا السيد كاظم)[٣] .

١٨- قال السيد محمد رضا السلمان الأحسائي حفظه الله تعالى[٤] :

---

(١) الإجازة ، الحائري : ٧٨ .

(٢) دعوى وحدة الناطق ، الأحسائي : ٩٤ .

(٣) التحقيق ، الإحقاقي : ٥١ .

(٤) إشراقة الشمس ، السلمان : ٤٨ .

ثُمَّ الَّذي غَاص بحورَ العِلم ... مُقَدماً مُرادَهُ بالحِلمِ
لَمْ يَلْتَفِتْ لِسَورَةِ التحدِّي ... بَلْ سارَ فيها واعظاً إذ يَهْدي
لَهُ شُروح ولَهُ تَأسيسُ ... بِمثلِ هَذا قَدَّر الرئيسُ

علمه وفضله :

من خلال ما تقدم من كلام العلماء ، يتضح أن السيد الرشتي لم يكن عالماً وحسب ، بل له تميزه ، حتى أن الشيخ إبراهيم آل عرفات القطيفي (١٢٦٩هـ) يستصغر نفسه ، (بل أنفس علماء العصر عند ملاحظة بيانات هذا السيد الجليل القدر)[١] ، ولا بأس أن يكون الكلام عن ذلك من خلال نقاط :

١- تعدد العلوم : عند مراجعة مؤلفاته نرى أن السيد الرشتي قدس سره قد (خلف ثروة فكرية ضخمة ، ومن يقف على آثاره يمتلكه العجب حين يلمس مشاركته في المعقول والمنقول ، وخبرته الواسعة في مختلف المواضيع الإسلامية)[٢] ، والعلوم الإنسانية .

(١) تعليقات ، آل عرفات : ٤٢٤ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٣٢ .

فقد كتب في فنون كثيرة ، كالعقيدة ، والتفسير ، والفقه ، وأصول الفقـــه ، والعلوم الغريبة ، وعلم الحرف ، والفلك ، والكيمياء ، والمنطق ، والرياضيات ، والأخلاق ، وعلم النفس ، واللغة ، وغير ذلك .

وهـــذا يعكـــس لنا مدى موسوعيته ، وتبحره في العلوم ، وثقافته الواسعة ، التي يندر وجودها .

٢- **ثقة الأستاذ بعلمه** : مـــن المعـــروف أن الشيخ الأوحد أحمد الأحســـائي (١٢٤١هـــــ) قد أسس مدرسة فكرية جديدة ، تعتمد على النقل والعقل والعرفان ، ولها خصائصها ومميزاتها ، وقد التف حولها علماء كـــثر ، ومع ذلك كان الشيخ الأحسائي يعتمد على السيد الرشتي في نشر مدرســـته ، ويثق بفهمه وعلمه ، فقد اعتمد عليه في أجوبة بعض المسائل التي قد وردت إليه[١] .

٣- **ثقة العلماء بعلمه** : وهذا يتجلى في أمرين :

الأول : أن بعض العلماء قد أرسلوا له أسئلة يريدون منه أجوبتها ، معترفين لـــه بالمنـــزلة العالية ، كالشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار

---

(١) مجموعة رسائل ، الرشتي : ٤٨/١ ، ١٣٥ .

القطيفي (بعد ١٢٥٠هـ)[١] ، والشيخ ضيف الله بن طوق القطيفي (بعد ١٢٥٢)[٢] ، والمولى عبد الوهاب القزويني (١٢٦٠هـ)[٣] ، والشيخ سليمان آل عبد الجبار القطيفي العماني (١٢٦٦هـ)[٤] ، والملا علي البرغاني (١٢٩٢هـ)[٥] ، والميرزا محمد شفيع التبريزي (١٣٠١هـ)[٦] ، والشيخ محمد الصحاف الأحسائي (١٣١٣هـ)[٧] .

وليس هذا الأمر منحصراً بعلماء الشيعة ، بل شمل علماء أهل السنة وكبار شخصياتهم ، كمفتي بغداد السيد محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)[٨] ، ووالي بغداد الوزير علي رضا باشا[٩] .

ولم تكن - هذه الأسئلة - مختصة بمكان ، بل شملت بقعة جغرافية كبيرة ، منها : النجف الأشرف ، وكربلاء المشرفة ، وبغداد ، والبحرين ،

---

(١) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٦ .

(٢) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٤١ .

(٣) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٦ .

(٤) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٥١ .

(٥) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٤٩ . مجموعة رسائل الرشتي : ١/٣٢٠ .

(٦) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٤٠ .

(٧) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٩ .

(٨) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٤٠-١٤٨ .

(٩) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٤ .

والأحساء ، ومسقط ، وجبل عامل ، والشام ، وكثير من المدن الإيرانية ؛ كخرسان ، ومازندران ، وسمنان ، وأصفهان ، وقزوين . والهند[١] .

وهـذا يعكس لنا وبكل وضوح مدى الشهرة العلمية التي كان يحظى بها في العالم الإسلامي بشكل عام ، وفي المراكز العلمية بشكل خاص.

الثاني : كان كبار أعلام مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي يهتمون بتتلمذ أولادهم عند السيد الرشتي ، ومنهم الميرزا محمد حسين حجة الإسلام الممقاني (١٣٠٣هـ) الذي أرسله والده الملا محمد حجة الإسلام (١٢٦٩هـ)[٢] .

ومنهم الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي (١٣١٦هـ) ، الذي اشترط عليه والده الشيخ حسين ألّا يدرس إلا عند السيد الرشتي[٣] .

---

(١) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٦-١٥٢ .

(٢) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٢/١ ، المقدمة .

(٣) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٦٥/١ .

أدبه :

للأدب العربي وقع في النفوس ، وتأثير في القيم ؛ لأنه يستكشف الحياة ، وينفعل بها ، ويعبر عنها ، فهو يعيش بقدرها ، ويقوى بقوتها . ويزداد نفعه حين يعمق فهمنا لها .

وإذا جُلبب بالحياة ، وزُين بدرر المعاني ، ونبض بالروح ، سحر مسامع القلوب ، فلا تسمع إلا ما يُسمعها ، ولا ترى إلا ما يُريها ، ولا تحس إلا ما يُشعرها ؛ ولذا قال الرسول الأعظم ﷺ : (**إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحراً**)[١] .

ومع أن سيدنا الرشتي لم يشتهر كأديب ؛ لأن الجوانب العلمية طغت على غيرها ، إلا أنه يُعد من الطراز الأول في الأدب ، يقول الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي (١٣١٦هـ) في وصف أدبه : (إن نطق صفد[٢] المعاني عن أمم[٣] ، وأسمعت كلماته مَن به صمم ، وإن كتب

---

(١) من لا يحضره الفقيه ، الصدوق : ٣٧٩/٤ ، ك الفرائض والمواريث ، ب النوادر /٥٨٠٥ . الأمالي ، الصدوق : ٧١٨ ، المجلس التاسع /٦ .

(٢) صفده : أي شده وأوثقه . القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ٣٠٨/١ ، صفد . مجمع البحرين ، الطريحي : ٦١٤/٢ ، صفد .

(٣) الأمم : القصد الذي هو الوسط . والأمم : القرب ، يقال : أخذت ذلك من أمم أي من قرب . لسان العرب ، ابن منظور : ٢٨/٢١ ، أمم .

كبت[١] الحساد عن كثب[٢] ، فجاء بما شاء على الاقتراح[٣] ، وترك أكباد أعدائه دامية الجراح)[٤] .

ومن الأنواع الأدبية التي شارك فيها السيد الرشتي الشعر ، والخطب.

١- شعره :

لعل للسيد الرشتي ديوان شعر ، قد نهبه مَن نهب مكتبته[٥] ، وهو ينظم الشعر بالعربية والفارسية ، ومن شعره قصيدة نظمها في مكانة الإنسان ، وأنه محل للأنوار ، وأنموذج للعوالم[٦] :

---

(١) الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو ، أي صرفه وأذله . وكبته لوجهه : أي صرعه . الصحاح ، الجوهري : ٢٦٢/١ ، كبت .

(٢) الكثب ، بالتحريك : القرب . يقال : رماه من كثب . ويقال : أكثبك الصيد ، أي أمكنك . الصحاح ، الجوهري : ٢٠٩/١ ، كثب .

(٣) اقترحت الشيء : ابتدعته . واقتراح الكلام : ارتجاله . مجمع البحرين ، الطريحي: ٤٨٢/٣، قرح .

(٤) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٧١/١ .

(٥) تراث كربلاء ، آل طعمة : ٣١١ ، ٣٢٢ . الشيخية ، الطالقاني : ١٦٥ . تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ٣٠٣ .

(٦) السير والسلوك ، الرشتي : ٥٩ .

كـــلُّ الذي تهواه عنْدَكَ حَاضِرٌ   مـــن كلِّ ما في عالـــمِ الإمكانِ
ســـرُّ العلى في غيبِ ذاتكَ كامن   قَدْ صِرتَ عَرش مستوى الرحمنِ

وقـــد ذكرها الميرزا موسى الحائري (١٣٦٤هـــ) مع تقديم البيت الـــثاني عـــلى الأول ، وقال أن السيد الرشتي قالها في الشيخ الأوحد أحمد الأحسائي[١] .

وقال في النجباء[٢] :

فـــيا لهـــم بشـــراً عزت مدارجهم   حـــتى علوا رتبة الأوهام والفكر
ساروا فطاروا فداروا إذ أحاط بهم   لطف الحبيب بلا عين ولا أثر

وأمـــا شعره الفارسي ، فمنه قصيدة نظمها في أن صاحب التوحيد الشهودي لا يرى إلا الله تعالى ، ولا يجد غيره تعالى ، وإليك بعضها[٣] :

وهـــم باشـــد وهـــم كـــثرت بينيـــت
ديـــده ب گشـــا ديـــده حـــق بينيـــت

(١) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ، الحائري : ٨٦ .

(٢) شرح القصيدة ، الرشتي : ١٠١ .

(٣) انظر : ٢٩٣/١ .

تابيــــيني جملـــــه رانــــور خداســـــت
پــس نظــر كــردن به غير أو خطاست
چشـــــم را از عـــلم اخـــباري بـــپوش
در عـــيانـــي جـــان مـــن قدري بكوش
تاكـــــه توحـــيد شـــــهودي حاصـــلت
آيـــــد واز جملگـــــــي بـــــــربايدت
نـــور حـــق را در دلـــت بـــيني ظهـــور
كـــرده باشـــد همچـــو موسى كوه طور
پـــس قـــدم بـــالا نـــه از ايـــن مرتـــبه
غـــير حـــقّ را جملگـــي گـــردان تـــبه
پـــــس تجلّـــــي جمـــــالي را بـــــبين
عشـــق عشـــقي راكـــه گويند هست اين
عشـــق چـــبود غـــير اضـــمحلال خويـــش
وارهـــيدن از تمـــامي حـــال خويـــش
عشـــق ســـلطاني اســـت بافـــرّ وشـــكوه
چونكـــه آيـــد بـــايدت رفـــتن بـــه كوه
چيست عاشق ، مـــرده اي بي حس وهـــوش
چيســـت معشـــوق ، آن نگار پرخروش

چونكـــه عاشـــق فـــاني آمـــد در وجـــود

((مـــا رميـــت)) ديده را خواهد گشود

٢- خطبه :

لقـــد تأثـــر السيد الرشتي في خطبه بخطب أمير المؤمنين عليه السلام ، في الأســـلوب والمفردات ، فهو يبدأ في بناء الخطبة بالاستهلال ، ثم يدخل في الموضـــوع ، وبعـــد ذلك تتنامى الموضوعات وتتلاحم ، ويبث العواطف والأحاسيس ، مما يسبب تفاعل المستمعين بها .

وإذا كـــان الأدب يستمد قوته من الحياة ، فهو يكتسب رونقه من قائلـــه ، ولـــذا تتمثل أهمية خطب السيد الرشتي في مستويين ؛ الفكري ، والفني .

أمـــا الفكـــري ، فقـــد تكلم عن العقائد ، والكون ، والنفس ، والأخلاق ، والمجتمع ، وغير ذلك .

وأمـــا الفـــني ، فقـــد شكل خطبه وفق مبادئ التناسق والجمال والتنســـيق ، فاســـتعان بالإيقاع التناسبي بين الألفاظ والجمل والاستشهاد والاقتباس ، وغير ذلك .

وإليك مثال على خطبه ، وهي خطبته يوم عيد الفطر المبارك[1] :

---

(١) مجموعة رسائل ، الرشتي : ٤٦٩/١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــــد لله الـــذي توحّد بالكبرياء ، وتفرد بالعز والبقاء ، وتردّى بالنور والبهاء ، وتمجد بالآلاء والنعماء ، واختص بأشرف الأسماء ، وجلّ عـــن مقارنـــة الأشياء ، وتعالى عن ملامسة النساء ، الباسط يده بالجود والعطـــاء ، المـــنعم خلقه بأشرف الحباء ، الذي أوجد بكلمته ما يشاء ، فأظهر نوراً من ظلّ كينونته ، فأضاء به الضياء ، وأقامه شبحاً في حجاب الوحدانـــية ، حتى خرق الهواء ، فجعله يغوص في بحر الصفات والأسماء ، حتى ملأ ذلك الفضاء ، فأجرى به ماء معيناً يجري من تحت جبل الأزل إلى مـــالا نهاية له من المداء ، فكان رتقاً ، ففتقه بالأجواء ، وكان جَوٌّ رتقٍ ، ففتقه بالأرض والسماء .

وأنـــزل مـــن الســـماء ماء عذباً ، وأودعه في أرضٍ نقيةٍ بيضاء ، فصلصـــلهما وعـــركهما حتى جعلهما على حدّ سواء ، فأنتج منهما نوراً كاملاً ، وبدراً لامعاً ، أقامه تحت عرشه يعلن بالتمجيد والثناء ، بأنه الله لا إله إلاّ هو ذو الفخر والبهاء ..

أمـــا بعـــد .. أوصيكم ونفسي الجانية الفانية بالطاعة والتقوى ، والعمل لله بين الخوف والرجاء ، فإنهما جناحان يطير بهما المؤمن ، فيصعد إلى الدرجـــات العليا ، والمقامات القصوى ، فلا تأمنوا مكر الله ، فإنه لا

يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ..

وعليكم بالزهد عن هذه الدار الغرور ، المحشوّة بالمكر والكبر والزور ، فقد أعرض عنها الأبرار الأطياب ؛ لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب ..

واعلموا أن أنفاسكم معدودة ، ولحظاتكم محفوظة ، وخطواتكم مشهودة ، وكلماتكم في ألواح حسناتكم وسيئاتكم مكتوبة ..

ولا تتوهموا أنكم تركتم سدى مهملين ، كلاّ ، بل إن عليكم لحافظين ، ﴿ **كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[١] ، وكل أحد منكم عليه عين من الله شهيد ، و ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾[٢] ..

فبادروا - رحمكم الله - بالعمل قبل أن يهجم عليكم الموت الذي لا ينجيكم منه حصن منيع ، ولا هرب سريع ، فإنه وارد نازل ، وواقع عاجل ، وإن تطاول العمل ، وامتد المهل ، فكل ما هو آتٍ قريب ، فمن مهّد لنفسه فهو المصيب ، فتزودوا رحمكم الله ليوم الممات ، واحذروا أليم

---

(١) سورة الانفطار : ١١-١٢ .

(٢) سورة ق : ١٨ .

هــول البيات ، فإن عقاب الله عظيم ، وعذابه أليم ، نار تلتهب ، ونفس تعذب ، وشرار صديد ، ومقامع من حديد ..

واعــلموا أيها الناس ، إن الله سبحانه أمركم بأمر بدأ فيه نفسه ، وثنى بملائكة قدسه ، وأمر به المؤمنين من جنّه وإنسه ، فقال - تنبيهاً لكم، وتشــريفاً لنبــيه ﷺ ، وتعظيماً - : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[1] .

وفي الحديــث النــبوي : (**مــن صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشراً**)[2] ، وفي آخر : (**من صلى على محمد وآل محمد صلى الله عليه في ألف صف من الملائكة**)[3] .

فعليكم بكثرة الصلاة عليه ، فإنها تمحوا الذنوب ، وتستر العيوب ، وتفــتح أبــواب الغيوب ، وتوصل إلى كل مرضّي ومحبوب ، ومطلوب ومــرغوب ، وهي في كل وقت وآن ، وزمان ومكان ، سيما في الأوقات المنســوبة إلــيهم ، والأيام التي فيها ظهور سلطانهم وشوكتهم ، ونصرهم وأمرهم ، كالجمعة والأعياد ، وسائر الأوقات حتى يوم المعاد .

اللهم صلّ على الحجاب الأكبر ، والنور الأنور ، كلمة الله الباقية ، وجنته الواقية ، وجنته العالية ، ووجهه المضي ، واسمه الرضي ، رسوله في

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(٢) جامع الأخبار ، السبزواري : ١٥٣ ، ف ٢٨ /٢ .

(٣) مكارم الأخلاق ، الطبرسي : ٣١٢ ، في الصلاة على النبي وآله عليه وعليهم السلام .

العالمين ، وأمينه في المغربين والمشرقين ، وحجته على أهل الكونين ، نقطة دائرة الاختراع ، وسرّ ألِفِ الابتداع ، وحقيقة الباء في بسم الله ، الظاهرة في الدال ، المكررة في الحاء ، المكررة في الميم ، بظهور سرّ الأصل الواحد في المبدأ والمنتهى ، صاحب مقام قاب قوسين أو أدنى ، الذي أوضح الحق، وبين الصدق ، فالشقي من أقرّ بعضاً وأنكر بعضاً .

النبي العربي ، الذي حنّ عليه الجذع اليابس وقد دثر ، وقبّل البعير قدميه إجلالاً له وعفّر ، وانشقّ إجابةً لتصديق دعوته القمر ، واخضرّ العود اليابس في يديه وأثمر ، وكان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه إذا نظر، ولا ينام قلبه لنوم عينيه كنوم البشر ، ولا يؤثر في الرمل وَطْأَ قدميه الشريفة ويؤثر في الحجر ..

اللهم وانصر جيوش المسلمين ، وعساكر الموحدين ، اللهمَّ اعْلُ حوزتهم ومنارهم ، وأمّن سبلهم ، وأرخص أسعارهم ، واجعل التقوى شعارهم ودثارهم ..

عباد الله ، وهذا يوم عظيم ، وعيد كريم ، فرضه رب رحيم ، اختتم به شهر الصيام ، وافتتح به شهور حج بيته الحرام ، وحرّم عليكم فيه الصيام ، وأحل لكم فيه الطعام ، وبسط الله لكم فيه رحمته ، فأنزل بركته، فسبّحوا الله فيه وقدسوه ، وكبروه وهلّلوه ، فإنه سبحانه ذاكر من ذكره ، ومعذب من كفره ، ومزيد من شكره ..

وحافظوا على الصلوات ، والجمعة والجمعات ، وأخرجوا من مال الله الذي آتاكم حقّ الزكاة ، المقرونة بالصلاة ، فإن الله تعالى فرض عليكم في زكـــاة الفطـــر أمراً ، وجعلها لكم سنة وطهراً ، فليخرجها كل امرئ منكم من ماله ، عن نفسه وعن عياله ، من حرّ ومملوك ، وغنيّ وصعلوك ، صاعاً من شعيرٍ أو بر ، أو زبيبٍ أو تمر .

فـــبادروا إلى ما فرضه الله ، فإنه آتاكم المال فرضاً ، وسألكم منه قلـــيلاً قرضـــاً ، فقال في كتابه الذكر الحكيم : ﴿ **إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[1] .

إن أحســـن قصـــص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين ، كلام ربّ العـــالمين : ﴿ **يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[2] .

---

(١) سورة التغابن : ١٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٣ .

دوره في الحركة العلمية والأدبية في كربلاء المقدسة

١- الحركة العلمية :

تعد مدينة كربلاء المقدسة من المدن القليلة التي لها مكانة سامية في الذاكـــرة الإنسانية والإسلامية ، فمنذ الأيام الأولى للإنسان على الأرض تعلق بها ، وجعلها رمزاً من رموز الخير ، ومُلهِماً للمجد والإباء ، ونبراساً للارتباط بالله تعالى .

فهذا نبي الله آدم عليه السلام ما إن وصل إليها اغتم وضاق صدره ، وفي موضـــع قـــتل الإمام الحسين عليه السلام يتعثر ، ويسيل دمه من رجله ، فيقف موقـــف المتعجـــب الخائف ، ويسأل الله تعالى : (**إلهي ، هل حدث مني ذنـــب آخر فعاقبتني به ؟ ، فإني طفت جميع الأرض ، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض .**

فأوحى الله إليه : يا آدم ، ما حدث منك ذنب ، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً ، فسال دمك موافقة لدمه)[1] .

---

(١) المنتخب ، الطريحي : ٤٨ ، ب ٢ .

ولهـــا مع الأنبياء والرسل مواقف تدل على اهتمام الله تعالى بها ، وأنها من أنفس الأراضي[١] .

(وكانـــت كـــربلاء مزدهرة في العصور الغابرة ، وخصوصاً على عهد الكلدانيين والتنوخيين واللخميين والمناذرة)[٢] .

وبعد أن جاء الإسلام الحنيف ربطها بأحد سيدي شباب أهل الجنة الحســين الشــهيد عليه السلام ، فمن قبل الحمل به أخبر جبرئيل الرسول صلى الله عليه وآله بذلك[٣] ، وبعد ولادته كذلك[٤] ، وبالتحديد في السنة الرابعة من الهجرة النبوية[٥] واستمر التأكيد على هذه العلاقة القوية في عدة مناسبات ، ومن عدة أشخاص ، بما فيهم الأئمة عليهم السلام[٦] .

وبذلك وجد عامل مهم وقوي ، روحي ومعنوي ، طغى على غيره من العوامل الأخرى ، عامل تفاعلت معه النفوس ، وانجذبت له القلوب ، ورقـــت له الأرواح ، ولذلك صارت لهـــا قدسية في القلـــوب ، وجاذبية

---

(١) انظر : بحار الأنوار ، المجلسي : ٤٤/٢٢٣-٢٤٩ . المنتخب ، الطريحي : ٤٨-٥٠ .

(٢) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ، الشاهرودي : ١٤ .

(٣) الإمامة والتبصرة ، القمي : ٥١ ، ب٥/٣٧ . علل الشرائع ، القمي : ١/٢٠٦ ، ب١٥٦/٣ .

(٤) مقتل الحسين ، الخوارزمي : ١/٢٣٦ ، الفصل ٢/١١ .

(٥) الإرشاد ، المفيد : ٢/٢٧ ، ب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليهما السلام .

(٦) مقتل الحسين ، الخوارزمي ١/٢٣٣ ، ٢٣٦ .

رخص بسببها الأهل والراحة ، فكثرت الرحلة إليها ، والسكن عندها ، إلا في أوقات منع الحكومة الأموية والعباسية[١] وغيرها .

وفي نهايـــة القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع ازدهرت فيها الحركة العلمية ، وبرزت على أنها من حواضر العلم والمعرفة ؛ لنبوغ الزعيم الديني الشيخ حميد بن زياد النينوي وغيره[٢] ، وبذلك حصلت على موقعها العلمي قبل النجف الأشرف بفترة تناهز القرن[٣] .

وقـــد اســـتمر الازدهار الفكري والعلمي فيها ، إلا في حالة عدم الأمن والاستقرار ، وبذلك كانت بين مد وجزر .

ويعـــد القـــرن الثاني عشر والثالث عشر من أهم وأفضل القرون بالنســـبة لهـــا ، حيث برز فيه علماء عرفوا بالتحقيق والتجديد في العلوم العقلية والنقلية .

وقصـــدها العـــلماء والطلاب من سائر البلدان ، كالشيخ يوسف البحراني قدس سره (١١٨٦هـ) ، والشيخ الوحيد البهبهاني قدس سره (١٢٠٥هـ)، والســـيد محمد مهدي بحر العلوم (١٢١٢هـ) ، والسيد علي الطباطبائي قدس سره صاحب الرياض (١٢٣١هـ) ، والشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين

---

(١) تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ١٥ .

(٢) تراث كربلاء ، آل طعمة : ٢٢٦ . تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ٢٧ .

(٣) تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ٢٩ .

الأحسائي قدس سره (١٢٤١هـ) ، والسيد كاظم الرشتي قدس سره (١٢٥٩هـ) ، وغيرهم الكثير[١] .

وقد تميزت حوزتها بالتنوع في العلوم ، والاستماع للآخر ، والنقاش العلمي ، الذي أثرى الساحة العلمية والفكرية ، وساهم في تطورها وأصالتها .

ومن هنا برزت فيها شخصيات علمية ، تميزت بالتجدد والتطوير ، والعمق الفكري ، كأمثال الوحيد البهبهاني قدس سره (١٢٠٥هـ) ، والشيخ أحمد الأحسائي قدس سره (١٢٤١هـ) .

و (تأتي في الصدارة شخصية الشيخ أحمد الأحسائي ، بوصفه صاحب أطروحات فلسفية ، كانت ولا تزال مثار بحث وجدل بين العلماء .. .

غير أنه من خلال دراسة شخصيته العلمية الدينية ، وفي ضوء أقوال المعجبين أو المنتقدين له ، يمكن القول : إنه كان عالماً متبحراً ، ومفكراً متعمقاً ، وضليعاً بخلق الأطر الفلسفية والعقلية ، لكثير من المبادئ العقائدية الإسلامية الصرفة ، بحيث أن مؤيديه ومعارضيه يجمعون على القول بعلو

---

(١) تراث كربلاء ، آل طعمه : ٢٢٩ . تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ٥٠ .

منـــزلـــته العلمـــية ، ونـــزوعه الشـــديد إلى تزكية النفس ، وتهذيبها ، وترويضها)[١] .

وبعـــد وفـــاة الشيخ الأوحد الأحسائي (١٢٤١هـــ) برز السيد الرشتي كقائد فكري لمدرسة أستاذه الأحسائي ، وأحد كبار مراجع التقليد في الفقه .

وقـــد اســـتثمر السيد الرشتي قدس سره مكانته ، فوظف مميزاته العلمية والفكـــرية ، في تدعـــيم الحركة العلمية في كربلاء المقدسة ، وتطويرها ، وذلك من خلال أمور :

الأول : **التدريس** :

يعـــد التدريس من أهم وسائل نشر العلم ، وتنمية الفكر ، إلا أن نجـــاح الدرس موقوف على شخصية المدرس ، وما يتمتع به من مميزات ، فالمدرس الناجح هو الذي قد جمع مقومات النجاح ، ومن أهمها :

أ- المقومات المعرفية : على المعلم أن يكون متمكناً من العلم الذي يدرســـه ، متضلعاً في سائر العلوم . وهذا ما ينطبق على سيدنا الرشتي ،

---

(١) تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ١٥٣ .

حيـــث أنه كان متبحراً في علوم عصره ، ومؤثراً فيها ، وقد حاز ثقة أهل عصره في ذلك ، وقد سبق الكلام في علمه وفضله فراجع[١] .

ب- المقومات السلوكية : ممـــا لاشـــك فيه أن السلوك الطيب ، والأخلاق الحسنة مما حث عليه العقل السليم ، وأكد عليه الدين الحنيف ، وهو مطلوب من كل إنسان ، ويتأكد على المعلم ، وذلك أن سلوك المعلم ينطبع في ذهن الطالب ، ويظهر في سلوكه .

فالمعـــلم الملتزم بالأخلاق الحسنة يجذب الطالب ، ويحبب فيه طلب العلم ، ويبث روح المحبة والمودة .

مـــن جاور الأزهار لم يكتسب مـــنها سوى الرائحة الطيبة[٢]

ولذا قد تحلى السيد الرشتي بذلك ، واشتهر بعلو الأخلاق ، ونبل الخصـــال ، والإحسان للناس[٣] ، والعفو عمن أساء إليه ، كما عفى عمن أراد قتله[٤] ، وألف كتباً في ذلك ، مثل السلوك إلى الله ، وغيره[٥] .

---

(١) انظر : ٣٨/١ .

(٢) البابليات ، اليعقوبي : ١٨٩/٢ .

(٣) شعراء الغري ، الخاقاني : ١٣٥/٥ .

(٤) دليل المتحيرين ، الرشتي : ٨٥ .

(٥) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٥ .

وفي حســـن خلقـــه ، وعظيم مكارمه ، ودماثة طباعه قال الشيخ صالح الكواز رحمه الله (١٢٩٠هـ)[١] :

فتى كاظم للغيظ ما ضاق صدره   إذا ضاق من وسع الفضا بالأذى صدر
إذا حسن البشر الوجوه فإنه   لمولى محياه به يحسن البشر
وما هو في حسن المناقب مكتس   فخاراً ولكن فيه يفتخر الفخر

ج- المقومات التربوية : ينـــبغي للمعلم أن تتوفر فيه مجموعة من المهارات التربوية ، التي تجعله أكثر فعالية ، وأغزر عطاء .

فالمعـــلم الـــذي يعـــرف طرق فتح أبواب عقول طلابه للمعرفة ، وتحبيـــب العلم في نفوسهم ، وكيفية التعامل معهم ، وبث روح التنافس فيما بينهم ، وغير ذلك ، يكون أشد تأثيراً في الحركة العلمية .

وكـــل هذه المقومات التربوية قد ظهرت في حياة السيد الرشتي مع طلابـــه وغيرهم ، وهو صاحب الخبرة الطويلة في التدريس ، إذ كان قبل بلوغـــه يزاول التدريس ، وتضرب إليه أكباد الإبل ، ويسافر الطلاب إلى موطنه لذلك[٢] .

---

(١) ديوان الشيخ صالح الكواز ، اليعقوبي : ١١٣ .

(٢) الاجتهاد ، الحائري : ٨١ .

ولذلك كان يستمع إلى كل ما يدور في أذهانهم ، ويلطف في الجواب على أسئلتهم ، ويحرك فيهم روح استشراف المجهول .

وكان شديد الحرص على تشجيعهم ، وتحريض هممهم ، ومن ذلك أنه يعتمد على بعضهم في إرجاع بعض الأمور العلمية إليه[١] ، ويستشهد بأشعارهم[٢] .

الثاني : التأليف :

يعد التأليف أحد أعمدة التطور ، وركيزة أساسية من ركائز الحركة العلمية ، إذ بها تنمو العقلية العلمية وتسمو . وقد رشح من قلم سيدنا الرشتي كتب كثيرة ، ومتنوعة العلوم ، فكتب في التفسير ، والعقيدة، والفقه ، وأصوله ، والفلك ، وعلم النفس ، وغير ذلك كثير[٣] .

واتسمت بالدقة والعمق ، والأصالة والإبداع .

---

(١) تراجم الرجال ، الحسيني : ١/٢٨٥ .

(٢) انظر : ٣/٢٢٤ .

(٣) انظر : ١/٧٠ .

الثالث : حفظ التراث :

التراث مقدس في الحضارة الإنسانية ، إذ أنه يمثل التاريخ البشري ، وما مر به الإنسان من تجارب وخير ، ولذا نرى العالم يصرف المليارات في سبيل حفظه واكتشافه .

ومن أهم التراث المؤلفات والكتب ، إذ أنها الكنـــز الذي لا يفنى ، والذخيرة التي اكتنفت العقل البشري . ولحفظ الكتب أنشأ السيد الرشتي مكتبة ضخمة تعد من أضخم مكتبات العراق ، قد بلغ عدد كتبها عشرة آلاف مجلد بين مخطوط ومطبوع ، كانت من أهم روافد الحركة العلمية في كربلاء المشرفة[1] .

الرابع : مجلسه العلمي :

يعد دار السيد الرشتي من أهم الدور والمجالس في كربلاء المقدسة ، حيـــث كـــان مدرسة فكرية يؤمها العلماء والمفكرون ، وناديا من أندية العطاء والتطور ، يُطرح فيها مختلف العلوم .

ازدهرت فيها الحركة العلمية ، واندفعت بها عجلة التقدم ، ونمت فـــيها روح البحـــث والتحقيق والتأليف ، وأثرت تأثيراً بليغاً على الحركة

---

(١) تـــراث كربلاء ، آل طعمة : ٣١١ ، ٣٢٢ . الشيخية ، الطالقاني : ١٦٥ . تاريخ الحركة العلمية ، الشاهرودي : ٣٠٣ .

العلمية ، وبذلك يكون داره من أهم الأماكن العلمية والفكرية التي ساهمت في تقدم وسطوع نور العلم والمعرفة[١] .

الخامس : **الشعر** :

منذ الأيام الأولى للإسلام اهتم بالشعر ، وجعله أحد وسائل نشر الإسلام والقيم الإنسانية ، فأكد على شعر أبي طالب ، قال الإمام الصادق عليه السلام : (**كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يُروى شعر أبي طالب عليه السلام ، وأن يدون . وقال : تعلموه، وعلموه أولادكم ، فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير**)[٢] .

وكذلك شعر سفيان بن مصعب العبدي ، قال الإمام الصادق عليه السلام : (**يا معشر الشيعة ، علموا أولادكم شعر العبدي ، فإنه على دين الله**)[٣] .

ومن هنا يُرى اهتمام السيد الرشتي بالشعراء والشعر ، وسيأتي الكلام عن ذلك في الحركة الأدبية .

---

(١) تراث كربلاء ، آل طعمة : ٣١٠ . الشيخية ، الطالقاني : ١٦٤ ، ١٧٣ .

(٢) إيمان أبي طالب ، الموسوي : ١٥٢ ، ف الأول ، الإمام علي يرى أن أباه كان على دين الله . وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ٣٣١/١٧ ، ك التجارة ، أبواب ما يكتسب به ، ب ١٠٥ ما ينبغي تعلمه ... /١٥ .

(٣) اختيار معرفة الرجال ، الطوسي : ٧٠٤/٢ ، في سفيان بن مصعب العبدي /٧٤٨ .

٢- الحركة الأدبية :

يمثل الأدب العربي أحد روافد الحركة العلمية ؛ وذلك لما يتضمنه من معارف وقيم ، وتوشحه بما تحتويه الرسالة الإسلامية من قوة وجلال وسمو .

فعذوبة الألفاظ ، وجمال المعاني ، تعمل في القلوب مالا تعمله السيوف ، وتهش إليها الأرواح بأدنى التفات ، وتأسر النفوس بأهون سعي، فهي من أهم وسائل نشر المعارف الإسلامية ، وترويج العلوم الإنسانية ، وبث الروح الملكوتية .

ومن هنا اهتم سيدنا الرشتي بالنهضة الأدبية ، فحمل مشعلها ، وشارك فيها بنفسه ، وتعاهد الأدباء ، واحتفى بالشعراء ، وأكرمهم ، وأجزل لهم العطاء .

فقصدوه من معظم المدن العراقية ، حتى صار مجلسه من أعظم أندية الشعر والأدب ، يلتجئ إليه الأدباء ، ويتبارى فيه الشعراء[١] .

وقد تأثرت به الحركة الأدبية تأثيراً بليغاً[٢] ، وبرز بسببه شعراء كبار ، عُدوا من فحول الشعراء ، كانوا من رواد مجلسه ، منهم الشيخ

---

(١) شعراء الغري ، الخاقاني : ٥/١٣٥ . تراث كربلاء ، آل طعمة : ٣١٠ . الشيخية ، الطالقاني : ١٦٤ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٧٣ .

قاسم الهر (١٢٧٦هـ)[١] ، والحاج جواد بدقت (١٢٨١هـ)[٢] ، والشيخ صالح الكواز (١٢٩٠هـ)[٣] .

دوره الاجتماعي

يعد وجود الشخصية المتميزة في المجتمع من أهم عوامل النهضة الاجتماعية ؛ إذ أنها تمثل الذخيرة البشرية للتطور والازدهار ، وبمقدار ما يملك المجتمع منها تحصل النهضة الاجتماعية .

وهي التي تصحح العلاقة بالله تعالى وخلقه ، وتبدع الحضارة ، وتكتشف أسرار الطبيعة ، وخواص العناصر .

وبها يكشف النقاب عمّا يُحدِث التغيير في المسيرة البشرية ، كاكتشاف الكهرباء ، والذرة ، وصناعة العقول الإلكترونية ، وغزو الفضاء .

---

(١) تراث كربلاء ، آل طعمه : ٣١٠ .

(٢) قال فيه صاحب الحصون المنيعة : (كان شاعراً ماهراً ، من أكابر شعراء العراق ... ، وقد برع في الشعر بحيث فاق أقرانه من شعراء عصره) . ديوان الحاج جواد بدقت الأسدي ، آل طعمة : ١٠ .

(٣) قال فيه السيد حيدر الحلي (١٣٠٤هـ) : (أطول الشعراء باعاً في الشعر ، وأثقبهم فكراً في انتقاء لآلئ النظم والنثر ، خطيب مجمعة الأدباء ، والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء). ديوان الشيخ صالح الكواز ، اليعقوبي : ٧ .

ومن جملة الشخصيات المتميزة السيد الرشتي ، وقد سبق الكلام عن بعض مميزاته[١] ، وما يهم هنا هو الكلام عن دوره الاجتماعي .

لقد أخذ المجتمع حيزاً كبيراً في فكر السيد الرشتي ، وهذا ما يعكسه كتبه ، حيث أنه تكلم فيها عن العقيدة ، والفرد ، والعائلة ، والمجتمع ، والتربية ، والتعليم ، والحقوق ، والاقتصاد ، وغيرها ، وهذه أهم الركائز الاجتماعية .

ومن أهم ما وضعه وأشار إليه لرفع مستوى المجتمع أمور ، وهي :

١- بث القيم والآمال :

بما أن للقيم والآمال تأثيراً مهماً في سلوك الفرد والمجتمع ، اهتم السيد الرشتي بها ، ونشرها في كتبه ، وجعلها أيدلوجية الإنسان ؛ وذلك أن الإنسان على قدر قوة قيمه يصمد ويقوى ، ويطور كيانه ، وعلى قدر آماله تكون همته وإنجازاته ، إذ أنها تمثل الدافع والمحرك له .

---

(١) انظر : ١/٣٨ ، ٥٦ .

٢- نشر التربية والتعليم :

للتربية والتعليم دور كبير في توعية المجمع ، فكلما ازداد المجتمع علماً وتربية ازداد تطوراً وسعادة وصلاحاً ، وكلما نقص المستوى التربوي والعلمي فيه ازداد تخلفاً وتعصباً .

ولذا كان سيدنا الرشتي لا يتوقف عن التدريس حتى في السفر ، ولو كان السفر قصيراً ، فقد درس في النجف الأشرف ، والكاظمية ، وسامراء[(١)] ، وكان يؤكد على البعد التربوي في سلوكه ودرسه وكتاباته .

٣- تفاعل القوى :

يوجد في المجتمع كثير من الأشخاص الذين لهم تميز في بعض جوانب الحياة ، وأشخاص لهم قابلية عليه ، إلا أن هذا التميز يضيع بسبب عدم المسخر له ، أو المشجع ، أو المتبني له .

ولهذا اهتم سيدنا الرشتي بذلك ، فجذب وربى أصحاب القوى ، ولقد كان منزله ملتقى كبار الشخصيات ، ومختلف طبقات الناس ، فترى العالم ، والأديب ، والشاعر ، والمتعلم ، والسفير ، وساسة الدولة الإيرانية والعثمانية[(٢)] .

---

(١) الذريعة ، الطهراني : ١٣٦/٨ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٦٤ .

٤- تأسيس المشاريع :

إن المشاريع أحد أهم روافد المجتمع ؛ إذ بازدياد المشاريع الحضارية ينتشر الأمن والراحة والاستقرار . وقد اهتم السيد الرشتي بذلك ، فقد قام ببعض المشاريع التي عمت فائدتها للمجتمع .

ومنها : تجديد إنشاء المسجد الواقع في القسم الشرقي من الصحن الحسيني ، وبه قد رفد الجانب التربوي والعلمي في المجتمع .

ومنها : إنفاذ نهر الرشتية[1] ، الذي ساهم في زيادة الأمن الاجتماعي ؛ إذ الماء من أهم أسباب الاستقرار .

---

(١) تراث كربلاء ، آل طعمة : ٢٧١ . الشيخية ، الطالقاني : ١٧٣ .

تلامذته :

لقــد تخرج على يدي سيدنا الرشتي الكثير من العلماء والمفكرين ، وصل بعضهم إلى المرجعية ، ومنهم :

١- الشيخ إبراهيم بن عبد الجليل سپهسالار التبريزي الحائري (بعد ١٢٥١)[١] .

٢- المــيرزا حســن بــن أمان الله الدهلوي العظيم آبادي (حدود ١٢٦٠هـ)[٢] .

٣- المــيرزا حسن بن علي القراجه داغي ، الشهير بگوهر (١٢٦٦ هـ)[٣] .

٤- المــولى حســين بن علي الخسروشاهي التبريزي (بعد ١٢٨١ هـ)[٤] .

٥- المولى عباس بن علي[٥] .

٦- المــيرزا محمد إبراهيم بن عبد المجيد القزويني الشيرازي (١٣٠٦

---

(١) موسوعة مؤلفي الإمامية ، مجمع الفكر الإسلامي : ٢٩٦/١ .

(٢) الذريعة ، الطهراني : ٨٢/٢ .

(٣) الذريعة ، الطهراني : ١١٥/٧ .

(٤) معجم المؤلفين ، كحالة : ٣١/٤ .

(٥) الذريعة ، الطهراني : ٢٠٦/١١ .

هـ)[١] .

٧- الشيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين الأحسائي (١٣١٦ هـ)[٢] .

٨- المولى محمد تقي بن حسين علي الهروي الأصفهاني (١٢٩٩ هـ)[٣] .

٩- الميرزا محمد حسين بن محمد حجة الإسلام الممقاني (١٣٠٣ هـ)[٤] .

١٠- الشيخ محمد حسين بن علي أكبر الحائري ، الشهير بالمحيط الكرماني[٥] .

١١- الميرزا محمد شفيع بن محمد جعفر التبريزي (١٣٠١هـ)[٦] .

١٢- الحاج محمد كريم خان الكرماني (١٢٨٨هـ)[٧] .

---

(١) الذريعة ، الطهراني : ٢٦٨/١٤ .

(٢) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٢١/١ ، ٧١ .

(٣) الذريعة ، الطهراني : ٣٦٦/١٨ .

(٤) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٢/١ .

(٥) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٤١٦/٢ . الذريعة ، الطهراني : ٨٩/٢ .

(٦) الذريعة ، الطهراني : ٢١٦/١١ .

(٧) كشف الحق ، الرشتي : ٤ .

المجازون منه :

لكثير من العلماء والمراجع إجازات من السيد الرشتي ، ومنهم :

١- الشيخ أحمد بن حسين آل شكر النجفي[١] .

٢- الميرزا حسن بن علي القراجه داغي ، الشهير بگوهر (١٢٦٦ هـ)[٢] .

٣- المولى حسين بن علي الخسروشاهي التبريزي[٣] .

٤- الشيخ علي بن رحيم الخوئي الحائري[٤] .

٥- الشيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين الأحسائي (١٣١٦ هـ)[٥] .

٦- المولى محمد تقي بن حسين علي الهروي الأصفهاني (١٢٩٩ هـ)[٦] .

---

(١) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٢/٤١٥ . الذريعة ، الطهراني : ٩١/١٢ .

(٢) الإجازة ، الحائري : ٧٤ . الذريعة ، الطهراني : ٢٢٧/١ . منظرة الدقائق ، الإحقاقي : ٣٤ .

(٣) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٤١٥/٢ . منظرة الدقائق ، الإحقاقي : ٣٤ .

(٤) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٤١٥/٢ .

(٥) مفاتيح الأنوار ، آل أبي خمسين : ٢٢/١ . منظرة الدقائق ، الإحقاقي : ١٨ .

(٦) الذريعة ، الطهراني : ١٥/١١ .

٧- السيد محمد حسن بن محمد تقي الموسوي اليزدي (١٢٦٣ هـ)[١] .

٨- الشيخ محمد حسين بن علي أكبر الحائري ، الشهير بالمحيط الكرماني[٢] .

٩- الميرزا محمد شفيع بن محمد جعفر التبريزي (١٣٠١هـ)[٣] .

١٠- السيد مهدي بن حسن القزويني (١٣٠٠هـ)[٤] .

مؤلفاته :

لقد تصبب من يراعه كتب كثيرة ، ومؤلفات غزيرة ، تناول فيها مختلف العلوم ، وشارك بها في مختلف الفنون ، عالج فيها أصعب مسائل التوحيد ، وأهم العلوم الإنسانية ، فقد كتب في علوم القرآن الكريم ، والعقيدة ، والفلسفة ، والفقه ، وأصول الفقه ، والفلك ، والكيمياء ، وعلم النفس ، وغير ذلك .

غير أنه قد اُختلف في عددها ، فقيل[١] : أنها (١٩٥) كتاب ، بينما يذهب السيد الطالقاني إلى أنها[٢] : (١٦٦) مصنف ، ويرى

(١) الذريعة ، الطهراني : ٩٤/١١ .

(٢) صحيفة الأبرار ، الممقاني : ٤١٦/٢ .

(٣) مجلة التراث : ٩٠/٨ . الإجازة ، الحائري : ٧٨ . منظرة الدقائق ، الإحقاقي : ١٨ .

(٤) مجلة التراث : ٩١/٨ . الإجازة ، الحائري : ٦٤ .

صاحب كتاب مخطوطات مكتبة الحائري أنها[٣] : (٢٠٠) كتاب ، ومن أبرز مؤلفاته :

١- أسرار الحج[٤] .
٢- أسرار الشهادة[٥] .
٣- أسرار العبادة[٦] .
٤- أصول العقائد[٧] .
٥- تفسير آية الكرسي[٨] .
٦- جواب مسائل جبل عامل[٩] .
٧- جواب مسائل السيد علي البهبهاني[١٠] .

---

(١) الشيخية ، الطالقاني : ٤٠٥ .
(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٣٤ .
(٣) مخطوطات مكتبة الحائري العامة ، طاهر : ٧ .
(٤) الذريعة ، الطهراني : ٤٣/٢ .
(٥) الذريعة ، الطهراني : ٤٦/٢ .
(٦) الذريعة ، الطهراني : ٥٢/٢ .
(٧) الذريعة ، الطهراني : ١٩٢/٢ .
(٨) الذريعة ، الطهراني : ٣٣١/٤ .
(٩) الذريعة ، الطهراني : ١٨٧/٥ .
(١٠) الذريعة ، الطهراني : ١٨٩/٥ .

٨- جواب مسائل المولى كاظم المازندراني[١] .

٩- الرسالة العملية[٢] .

١٠- رسالة في أجوبة الشيخ ضيف الله بن طوق القطيفي[٣] .

١١- رسالة في الاجتهاد والتقليد[٤] .

١٢- رسالة في جواب مفتي الحنفية ببغداد[٥] .

١٣- شرح حديث عمران الصابي[٦] .

١٤- شرح الخطبة التطنجية[٧] .

١٥- شرح دعاء السمات[٨] .

١٦- شرح رسالة الاسطرلاب للشيخ البهائي[٩] .

١٧- شرح القصيدة البائية من شذور الذهب في الكيمياء[١٠] .

---

(١) الذريعة ، الطهراني : ١٨٩/٥ .

(٢) الذريعة ، الطهراني : ٢١٧/١١ .

(٣) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٤١ .

(٤) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٨ .

(٥) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٤٠ .

(٦) الذريعة ، الطهراني : ٢٠٤/١٣ .

(٧) الذريعة ، الطهراني : ٢١١/١٣ .

(٨) الذريعة ، الطهراني : ٢٥١/١٣ .

(٩) الذريعة ، الطهراني : ٢٨٣/١٣ .

(١٠) الذريعة ، الطهراني : ٥/١٤ . إيضاح المكنون ، البغدادي : ٤٦/٢ .

١٨- شرح لامية عبد الباقي العمري[١] .

١٩- القطع واليقين[٢] .

٢٠- كشف الحق[٣] .

٢١- اللوامع الحسينية[٤] .

٢٢- مطالع الأنوار[٥] .

٢٣- مقامات العارفين[٦] .

---

(١) الذريعة ، الطهراني : ٤٣/١٤ .

(٢) مجلة تراثنا : ١١٤/٤ .

(٣) الذريعة ، الطهراني : ٣٢/١٨ .

(٤) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٣ . الذريعة ، الطهراني : ٣٦٦/١٨ .

(٥) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٣٤ . الذريعة ، الطهراني : ١٤٤/٢١ .

(٦) دليل المتحيرين ، الرشتي : ١٥٠ . الذريعة ، الطهراني : ١٢/٢٢ .

وفاته :

بعد مسيرة طويلة في العلم والعطاء شَعَر سيدنا الرشتي بقرب رحيله إلى دار القرار ، فأحب زيارة الأئمة عليهم السلام في سامراء والكاظمية ، وتوجه إليهم عليهم السلام ، واصطحب معه بعض أصحابه وتلامذته .

وفي الكاظمية دعاه والي بغداد نجيب باشا ، فزاره في بغداد ، وبالغ الوالي في تعظيم السيد الرشتي ، إلا أنه دس إليه سماً في القهوة .

ثم أنه عاد إلى منـــزله ، وتقيء دماً ، وتدهورت صحته ، وأصاب مرافقـــيه الهلع من ذلك ، فرجعوا به إلى كربلاء المشرفة ، وبعد يومين أو ثلاثة من وصوله فيها ، ومضي ساعتين ونصف من منتصف الليل توفي ليلة الثلاثاء ، الحادي عشر من شهر ذي الحجة ، سنة (١٢٥٩هـ)[١] .

وما إن انتشر نبأ وفاته حتى انتشر الحزن في القلوب ، وبكته المقل ، وظهـــرت علائم الثكل والفراق ، وقام بتجهيزه والصلاة عليه ميرزا حسن گوهر قدس سره (١٢٦٦هـ) ، وذلك بوصية منه[٢] .

(ودفـــن في رواق الحسين عليه السلام ، خلف الشباك الواقع عند أرجل شـــهداء الطف رضي الله عنهم ، ووسعوا الحفر من الأسفل حتى ألحدوه في داخل الحرم الحسيني بالقرب من قبور الشهداء)[١] .

---

(١) الشيخية ، الطالقاني : ١٦١ . وانظر : الإجازة ، الحائري : ٨٦ . مجلة تراثنا : ٢٥٣/٢١ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٦٢ .

وأقيمت له مجالس العزاء ، ورثته العلماء والشعراء ، وقيل في تاريخ وفاته[٢] :

ألا قل بتاريخه (غاب نور) وإن شئت قل (غاب بدر الهدى)

(١٢٩٥هـ)

وممن رثاه السيد محمد بن مال الله القطيفي (١٢٧٧هـ)[٣] .

وقال السيد عدنان الغريفي (١٣٤٠هـ)[٤] :

من مزعج مضر الحمرا وعدنانا
ومن ترى سامها خسفاً ونقصانا
من استفز نزاراً واستخف بها
وابتزها عزها من راع همدانا
من أسبل الدمع من عين الكمال ألا
من كف للجود بعد البسط إيمانا
من زلزل الأرض من هد الجبال ومن
دحى إلى الفلك الدوار نيرانا

---

(١) الشيخية ، الطالقاني : ١٦٢ .

(٢) الشيخية ، الطالقاني : ١٦٢ .

(٣) الذريعة ، الطهراني : ٩/٩٨٩ . شعراء الغري ، الخاقاني : ١٠/٢٩٧ .

(٤) شعراء الغري ، الخاقاني : ٦/٢١٩ .

مـــن سام أم القرى ضيماً وزعزعها

مـــن هــد للدين والإيمان أركانا

ومـــن أزال لويـــاً عـــن مراتـــبها

من بعد ما جاوزت في الشأو كيوانا

ومـــن أصاب قريشاً بابن بجـــدتها

وشـــيبة الحمـــد من أقذاه أجفانا

يـــا غيرة الله جـــار الدهر وانقلبت

أيامـــنا البـــيض سوداً مثل ممسانا

الـــناس توســـعهم أعـــيادهم فرحا

ونحـــن توســـعنا الأعـــياد أحزانا

الله أكـــبر مـــا للدهـــر أســـلمنا

للنائـــبات ومـــا للعـــيد عادانـــا

فلـــتقض مـــا شاءت الأيام بعد فتى

قد أوسع الدهر معروفاً وعرفانـــا

تعرضـــت حـــرماً للديـــن محترما

مـــتوجاً مـــن جلال الله تيجانـــا

أجـــيل إنســـان عيني لا أرى أحداً

ســـواه يمـــلأ عـــين الدهر إنسانا

يـــا كعبة حولها طاف الهدى وسعى

طوافـــنا حـــول مغـــناها ومسعانا

إن غبـــت لا غبت آناً عن نواظرنا

فعـــن ضمايرنـــا لا لم تغب آنـــا

يـــا واعظـــاً طبق الأصقاع موعظة

وعالمـــاً أوقـــر الأسمـــاع تبـــيانا

كفـــى بـــياناً بمـــا أفصحت من نبأ

لمـــن وعى وبما أوضحت بـــرهانا

قـــد كنت في زهدك الدنيا وزينتها

سلمـــان مبنى وفي المعنى سليمانـــا

لله رزؤك لم يـــترك لـــنا أبـــداً

ولـــو تعاقبت الأزمـــان سلوانـــا

رزء تذوب قلـــوب الـــواجدين له

حـــزناً فتقذفها الآماق عقيانـــا

كـــأن نعشك والأمـــلاك تحمله

فيه سكينة تـــابوت ابن عمرانـــا

نعـــش حوى من رسول الله بهجته

ومـــن عـــلي ولي الله عـــنوانا

تطاولت نحوه الأيدي ليمنحها
من حيث عاودها طولاً وإحسانا
عجبت للترب كيف انهال فوق ذرى
صدر حوى كل جزء منه قرآنا
والقبر كيف حوى ذاتاً مقدسة
وحاز حياً بروح العلم أحيانا
أخفى زمام فتى جلت مكارمه
أن تستطيع لها الأيام كتمانا

وقال الشيخ عبد الله الوايل الأحسائي (١٣٠٠هـ)[١] :

جواد قضى فلتبكه مقل الوفد ... وبدر هوى فلتنعه سبل الرشد
وشمس جلال كور الكسف نورها ... فحجبها وليرثها فلك المجد
وكهف لهيف إن عرى الخطب زلزلت ... قواعده فليكثر اللطم للخد
وبحر علوم نضبته يد الردى ... واخشب حلم راعه الحتف بالهد
أقول لناع جاء يهتف داعيا ... بناعيه خفظ ما حكيت أخا الوجد
فصرح ما قد كاد يقضى به أسا ... علينا لفقد السيد العلم الفرد
فيا ذله الإسلام بعد كفيله ... ويا حسرة الإيمان والعلم والزهد
ويا ضيعة الأحكام بعد افتقادها ... خضماً أمار الأبحر الفعم بالمد

(١) ديوان الوايل ، الوايل : ٣٤٦/٣ .

فقــل لــلمعالي الشــم تهــوي قــبابها ... وتلــبس مــن شجو له حالك البرد
وقــل للعلــوم الأحمديــة عــددي ... علــيه فقــد أودى سفيرك والمسدي
وقــل للقضــايا الحــيدرية بعــده ... فمــن ذا يجــلي مبهم الحل والعقد
وقــل لــبني الحاجــات ترجع إذ مضى ... بصــفقة مغــبون وحسرة ذي فقد
وتطــرح أحــلاس الســفار فقد قضى ... مؤمــلها إذ لا مــزية للقصــد
فــلا رفــع إشكال ولا كشف غامض ... ولا نــيل إرفــاد ولا نيل مستهدي
فمــا ضــر هــذا الدهر لو كف كفه ... حوادثــه عــن نــور مقلته المهدي
ومــا ذا علــيه لــو فــداه من الردى ... بمــن كــان أحــرى بالرزية والفقد
فاقســم لــولا ضــمت الأرض جسمه ... لإنفــاذ حكــم لا يعــارض بالرد
ولــولا سمــت نحــو السماوات نفسه ... لأعــلى مقــام في ذرى جنة الخلد
لكــادت تســيخ الأرض حــزناً بأهلها ... علــيه وتــنهال الســماء من الوجد
وفي كسف شمس الأفق مع خسف بدره ... دلــيل عــلى مــا نلن من ألم الفقد
واقســم بالبيــت العتــيق ومــن سعى ... وطــاف علــيه بالحجيج من الوفد
لــئن غــاظ قومــاً فضله حسداً لــه ... فــإن عديم الجد يحسد ذا الجــد
ولا غــرو فالكــرار حــيدر جــده ... لــه حسدت أهل الضلالة والحقــد
وإن غــدر الدهــر الخــؤون بــه فذي ... ســجيته بالحــر لم يــف بــالعهد
فــتى حــارت الألبــاب في نقد ذاته ... لمــا فــيه مــن فضل يجل عن النقد
مجــلي ديــاجي الشك عن كل حائــر ... بمنبــلج الأحكــام عن واضح النجد
ومنــبع أســرار الإلهــية الــتي ... أبــت شــرفاً تنهى بمنحصر الحــد
واصــيد مــن علــيا ذؤابــة هاشــم ... لــه أحمــد جد فبورك من جــد
وكــاظم غــيظ كاسمــه مــثل جده ... عــن الخصم إذا إرث الأبوة للولــد

فيا جدثا قد ضم بدراً ولجة وشمساً وبدراً بل محجة مستجدي
ليهنك ما قد نلت من مفخر به جررت على أوج العلى فاضل البرد
ومذ غاب بدر الدين بعد كماله وأصبح محجوباً بحيلولة اللحد
بإسقاط سبع أرخوا عام فقده (خبا نور مصباح المعالي والمجد)
فيا سيداً قد أثكل الدين فقده وغادره في حيز العدم المردي
بكتك المعالي يا بن بجدها أساً عليك بدمع سح عن مقل رمد
وأندية للعلم أحييت ميتها بحكم يميت الخصم ذا الحجج اللد
ومحراب تمجيد إذا الليل غورت كواكبه تحييه بالنفل والورد
فو الله لا ننساك لو بعد المدى ولا خير في ود يغير بالبعد
فقدناك فقدان الحيا فحياتنا لفقدك لا تحلو لمطعمها النكد
بمن نلتجيء إذ شتت الدهر جمعنا عقيبك لا تحلو لمطعمها النكد
سقى الله أرضاً ضمنتك من الحيا بأوطف محلول الوكا غدق العد
وجرت عليها للنسيم مطارف معطرة الأذيال بالمسك والند
فكم حجبت فيها بدور لأحمد كوامل إذ كانت لها فلك السعد
بجدك طابت أرضها فتأرجت بطيب شذاه إذ زكى بشذا الورد
فيهنيك أن أمسيت فيها ضجيعة ويهن ثراها الفوز بالابن والجد
ورح قد عداك العتب من متحمل نوى سفراً لا نرتجيه من البعد
لأجدادك الأبرار في خير منزل بخير مقام من حبى الصمد الفرد
ولا زال عفو الله يغشاك ما جرت مدامع مزن عند قهقهة الرعد

عقائد السيد الرشتي قدس سره

للعقـــائد أهمـــية عظيمة في حياة الإنسان ، وخير ما يفصح عنها صـــاحبها ؛ إذ إنها سر فؤاده ، وإليك ما سطره يراع السيد كاظم الرشتي قدس سره في بيان عقيدته :

(أمـــا الـــذي نحن عليه فهو الذي عليه جميع الشيعة الموحدين من الاثني عشرية من المؤمنين الممتحنين .

[السيد والتوحيد :

توحيد الذات] :

أما في التوحيد فنقول : إن الله سبحانه واحد في ذاته ، يعني ليس له شريك في القدم ، ولا في الوجوب ، ولا في الوجود ، وتوحيده الذاتي عين ذاته سبحانه .

[توحيد الصفات] :

وهـــو تعالى واحد في الصفات ، بمعنى أنه لا شريك له في صفة من صـــفاته ، في عـــلمه ، وفي قدرته ، وفي حياته ، وفي سمعه ، وفي بصره ، وسائر صفاته الذاتية ، وصفاته تعالى عين ذاته بلا فرق بحال من الأحوال .

فعلمه ذاته ، وقدرته ذاته ، وسمعه وبصره ذاته ، وحياته ذاته ، بلا فرق لا في المعنى ، ولا في المفهوم ، ولا في المصداق ، هو أحدي الذات ، أحـــدي المعـــنى ، لا كثرة في ذاته ، ولا في صفاته ، يعلم بما يسمع به ، ويسمع بما يبصر به ، ويبصر بما يقدر عليه ، من غير اختلاف جهة وجهة، وكيف وكيف ، وحيث وحيث .

ونعـــتقد أن الله سبحانه عالم بكل شيء من الكليات والجزئيات ، والذاتـــيات والعرضيات ، والمجردات والماديات ، والعلويات والسفليات ، وكـــل شيء ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وعلمه قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق ، لا يتغير علمه ولا يتجدد ، ولا يتبدل ولا يختلف .

والعـــلم الحادث يراد به مخلوقاته ، مثل : اللوح المحفوظ ، والقلم ، والإمام ، والقرآن . فإذا قلت : إن الإمام عيبة علم الله ، فهل يراد به عيبة ذات الله ؟ .

وقد عنون الكافي باباً في أن لله علمين : علم علمه أولياءه ورسله ، وعلم استأثر به في علم الغيب عنده[1] ، فهذا الذي علمه أولياءه من علمه فهل هو ذاته أو غيره ؟ ، فالأول محال بضرورة الإسلام ، فوجب أن يكون غيره ، وكل ما هو غير الله فهو حادث مخلوق ، وهذا هو العلم الحادث ، وليس معناه أنه لا يعلم ثم علم ، ولكنه تعالى سمى خلقاً من مخلوقاته علماً له .

[الصفات الذاتية والفعلية] :

ونعتقد أن الصفة على قسمين :

صفة ذاتية .

وصفة فعلية .

فـــالأولى : هي ذاته ، وهي تثبت له سبحانه ولا يثبت له ضدها ، كما تقول إن الله عالم ولا تقول إنه جاهل ، وتقول إنه بصير ولا تقول إنه أعمى ، وتقول إنه سميع ولا يصح أن تقول إنه أصم ، وتقول إنه حي ولا تقول إنه ميت .

---

(١) الكـــافي ، الكليني : ١/ ٢٥٥ ، كتاب الحجة ، باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام .

وأما الصفة الفعلية : فهي التي تثبت وتنفى ، ويوصف الله بها وبضدها ، كما تقول : أراد ، شاء وكره ، أحيى وأمات ، أعطى ومنع ، أنجى وأهلك ، تفضل وانتقم ، خلق ولم يخلق ، ورزق ولم يرزق ، وأمثالها من الصفات التي تثبت وتنفى .. .

[توحيد الأفعال] :

ونعتقد أنه سبحانه واحد في أفعاله ، بمعنى أنه لا شريك له فيها ، ولا يشاركه في فعله أحد ، ولا يؤازره أحد ، ولا يعينه أحد ، ولا يحتاج في إحداث خلق من مخلوقاته ، ولا مدخلية لأحد في إحداث مصنوعاته ، بل هو سبحانه المتفرد في الخلق والرزق ، والحياة والموت ، والمنع والعطاء ، وهو الفاعل وحده لا بمشاركة ولا بمؤازرة ، ولا التفويض إلى خلق من مخلوقاته .

فالذي يعتقد أن محمداً وعلياً والأئمة بأجمعهم أو كل واحد منهم عليهم السلام خالقون أم رازقون ، يحيون أو يميتون ، بالاستقلال أو بالشركة أو بالتفويض ، كتفويض الموكل أمره إلى وكيله في إجراء ذلك الفعل ، وكالمولى عبده في فعله من الأفعال ، فإن ذلك عندنا كافر كفر الجاهلية الأولى .

وكذلك لو قال بمدخلية الملائكة أو النجوم أو الكواكب في إحداث شيء من الأشياء ، وموجود من الموجودات .

ولكن الله جعل العالم عالم الأسباب وأبى أن يجري فعله إلا بالأسباب ، جعل الله سبحانه الأشياء بعضها سبباً للبعض ، كما جعل المطر من أسباب الزرع ، والطعام والشراب من أسباب حفظ البدن ، والرحم من أسباب تربية الجنين ، والأب والأم من أسباب تخلق الولد وتكونه في هذه الدنيا ، وهكذا جميع الأشياء بروابطها وعللها ومعلولاتها ، وقد جعل الله سبحانه محمداً وآله - سلام الله عليهم أجمعين - هو السبب الأعظم في وجود هذا العالم ، كالملائكة المدبرات والمقسمات ، والحافظات والمعقبات ، غيرهم .

[توحيد العبادة] :

ونعتقد أنه تعالى واحد في عبادته ، وأنه المعبود وحده ، لا يجوز لأحد أن يقصد غيره تعالى في العبادة ، فمن فعله إن كان عن اعتقاد فذلك كفر كعبدة الأصنام الذين عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى ، أو عن غير اعتقاد فإن ذلك فسق مبطل للعمل ، كأهل الرياء الذين يوقعون العبادة لأجل ملاحظة الغير .

وكذلـــك لـــو توجه بالعبادة إلى أحد من الأئمة عليهم السلام فلا تصح عبادته ، ولا تقبل بحال من الأحوال ، وطور من الأطوار .

ومـــن اعـــتقد أن الضمائر القرآنية الراجعة إلى الله ترجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، أو لأحد الأئمة عليهم السلام فذلك ضال مضل ، كافر مفترٍ .

فمـــن يـــزعم أن الضمير في قـــوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[1] يراد به أمير المؤمنين عليه السلام ، وهكذا غيره من سائر الخطابات الإلهـــية التي في القرآن وفي غيره لو أرجعها إلى أحد من المخلوقين لا سيما أمير المؤمنين عليه السلام كل ذلك زخرف من القول وزورا .

وكذلـــك كل من يقول أن المراد من سورة التوحيد - ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** .. ﴾ - هو أمير المؤمنين عليه السلام ، هو كافر بالله العظيم ، وكذا من يقول أن أمير المؤمنين هو الذي لم يلد ولم يولد ، كذا سائر ما كان من هذا القبيل ، فكذلك كل ذلك زور وافتراء ، وكذب وتلبيس .

[السيد والنبوة] :

وأمـــا في النـــبوة ، فنعتقد أن الأنبياء كلهم مبعوثون من قبل الله ، طيـــبون طاهرون معصومون ، ولا تحصل منهم العيوب ، هم المعصومون الذين تولى طهارتهم وعصمتهم علام الغيوب .

---

(١) سورة الفاتحة : ٥ .

وأن الخمسة منهم أولو العزم ، وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، عيسى ، ومحمد ﷺ .

ستة منهم أولو الشرائع ، وهم هذه الخمسة بإضافة آدم عليه السلام .

وأن الشرائع الخمس منسوخات ما سوى الشريعة السادسة ، ونعتقد أن الشريعة السادسة حاملها محمد ﷺ وأنها ناسخة لجميع الشرائع وأنها غير منسوخة أبداً .. .

ونعتقد أنه ﷺ أتى بالمعجزات البينات وخوارق العادات ، ما تصدق به نبوته ، وتظهر به شريعته ، فمنها : القرآن المجيد ، الذي ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[1] ، وهو أكبر المعجزات ، وأبين الآيات ، وهي الباقية بعد محمد ﷺ مادامت نبوته ، التي لا تنقطع أبداً ، ولا تبطل سرمداً .

منها : شق القمر .

ومنها : قلب العصى ثعباناً .

ومنها : المعراج ؛ فقد عرج بجسمه الشريف ، بل ببشريته ، بل بكثافة بشريته ، وبثيابه ونعليه ، إلى أن صعد السماوات والكرسي والعرش، وخرق الحجب والسرادقات ، فالذي يعتقد أنه ﷺ عرج بروحه ، أو بجسم مثالي ، أو بجسم آخر غير الذي في الدنيا فقد كذب

---

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

وافترى ، وضل وغوى ، وكان من الأخسرين ، ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ** ﴾[١] .

[السيد والإمامة] :

وأما في الإمامة ، فنعتقد أن كل نبي لما [كملت] أيامه ، ونفدت حياته ، عين له وصياً قائماً مقامه من الله سبحانه وتعالى ، يقوم بأمره في رعيته ، ويحكم بعدله في أمته .

ونعتقد أن رسول الله ﷺ قد أوصى إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ونصبه خليفته لنفسه على أمته يوم غدير خم ، وأمر الناس أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين .

ونعتقد أن الله تعالى جعل الإمامة كلمة باقية في عقب أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا تزال الدنيا إلا وفيها إمام في دولة محمد ﷺ ، من ذرية أمير المؤمنين عليه السلام ، فتدوم الدنيا بدوامهم ، وتضمحل وتفسد إذا انتقلوا عنها، فهي بهم باقية ، وعنهم مستمدة ، وهم حاملوا عطاء الله الذي قال تعالى: ﴿ **كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾[٢] . . .

---

(١) سورة الكهف : ١٠٤ .

(٢) سورة الإسراء : ٢٠ .

ونعتقد أن الأئمة عليهم السلام مبعوثون على كل المكلفين ، ممن يصح أن يقـــع عليه التكليف ، كائناً ما كان ، وبالغاً ما بلغ ، وأنهم حجج الله على الخلق .

وأن الله تعالى لم يفوض إليهم أمر خلقه ، ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لا يَسْـــبِقُونَهُ بِـــالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَنْ يَقُـــلْ مِـــنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِـــهِ فَذَلِكَ نَجْـــزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْـــزِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1] .

أو كـــل مـــن ادعى منهم خلق ، بمعنى أن يدعي فيهم الاستقلال والشـــركة مـــع الله ، أو تفويض الأمور إليهم باعتزال الله ، أو يعتقد أنهم أفضـــل من رسول الله ، أو يساوونه في جميع المزايا والأحوال ، فذلك هو الغلو والارتفاع ، الذي معتقده كافر بالله .

ونعـــتقد أن مـــن نـــزّلهم من مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، وأنكر فضـــلهم ، وجعـــل أحداً من المخلوقين أولى منهم من فضيلة وكرامة ، أو ساوى غيرهم بهم ، فذلك ملعون منافق ، خارج عن مذهب الحق ، وليس له طريق إلى الصدق .

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ — ٢٩ .

ونعتقد أن الحسين ابن أمير المؤمنين عليه السلام قد قتل مظلوماً شهيداً سعيداً لحكم ومصالح .. .

[السيد والمعاد] :

وأما في المعاد ، فنعتقد أن الله سبحانه يحشر الأجساد والأرواح ، ويجعل الأرواح في الأجساد الدنيوية الموجودة في الدنيا المحسوسة المرئية الملموسة ، فيبعثها في القيامة ، ويجري عليها الثواب والعقاب .

ومن اعتقد أنها هذا البدن الدنياوي الموجود في الدنيا لم يبعث يوم القيامة فذلك كافر ملعون مردود ، بل المحشور يوم القيامة هو هذا البدن الدنياوي ، لكنه على صور مختلفة من حسن وقبح وغير ذلك .. .

[السيد والعلماء] :

ونعتقد في العلماء المجتهدين أصحابنا الماضين المرضيين من أهل الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى من مبدئها إلى منتهى زماننا هذا ، كالمفيد وعلم الهدى ، والشيخ الطوسي وابن طاووس ، والمحقق والعلامة ، وابن البراج والشهيدين ، وسائر علمائنا الفقهاء ، هم أساطين الدين ، والحكام على المؤمنين ، وأن طاعتهم واجبة على مقلديهم ، ولا يعذرون بعدم

التقليد ، ويجب على الجاهل أن يسأل العالم ، ويأخذ دينه عنه ، ويعتمد في علمه عليه ، وإلا كان عمله باطلاً ، وسعيه غير مشكور .

[السيد واستنباط الأحكام] :

وإن عملنا في كيفية استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية ما عليه أصحابنا المجتهدون ، على النهج المقرر في الكتب الأصولية ..)[١] .

---

(١) رسالة الحجة البالغة (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٢/ ٣١٩ .

البابية والبهائية

في عـــام (١٢٦٠هـــ) ظهر شخص اسمه علي محمد بن محمد رضا الشيرازي (١٢٦٥هـــ) ، ادعى أنه باب الإمام المهدي عليه السلام[١] ، وفي عام (١٢٦٤هـــ) ادعى أنه الإمام المهدي[٢] ، وبعد ذلك ادعى أنه نبي[٣] ، وفي نهاية الأمر ادعى الألوهية[٤] ، فظهر بذلك دين جديد اسمه البابية .

وفي الأيـــام الأولى لهـــذا الدين الجديد أراد واضعوه[٥] انتشاره في أسرع وقت ، وعند أكثر عدد ، وفي أكبر بقعة في الأراضي الإسلامية .

ومـــن هذا المنطلق نسبوا أنفسهم إلى الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره (١٢٤١هـــ) ، والسيد كاظم الرشتي قدس سره (١٢٥٩ هــــ) ؛ لأن أتباع فكر الشيخ الأحسائي منتشرون في كثير من البلدان الإســـلامية ، وهم كثيرو العدد ، ومنهم العلماء وأهل المناصب الحكومية

---

(١) الآيات البينات ، آل كاشف الغطاء : ١١٢ . البابيون والبهائيون ، همتي : ٣٨ .

(٢) البابيون والبهائيون ، همتي : ٤٢ . الآيات البينات ، آل كاشف الغطاء : ١١٣ .

(٣) البابيون والبهائيون ، همتي : ٤٦ . الآيات البينات ، آل كاشف الغطاء : ١١٥ . موسوعة الأديان والمذاهب ، أسود : ٣/٢٩٥ .

(٤) البابيون والبهائيون ، همتي : ٤٨ .

(٥) قد تم وضع هذا الدين من قبل روسيا ، بإشراف كينياز دالكوركي ، وتنفيذ الشيرازي . البابيون والبهائيون ، همتي : ٣٠ .

ومختلف طبقات المجتمع[1] ، فإذا اقتنع أتباع فكر الأحسائي بهذا الدين ، انتشر عندهم وعند غيرهم .

ولنفس هذه الأهداف قال البهائية إن الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره (١٢٨١هـ) لم يرض بإصدار فتوى تكفر البهائية ؛ لأنه لم ير منهم ما ينافي الكتاب المبين ، ولم يكتف بذلك بل أرسل إلى البهاء اعتذاره عما جرى من العلماء في حق البابية ، وعرض عليه حمايته[2] .

ولو نظر شخص إلى بعض ما كتبه الشيرازي يرى الفرق الواضح بين ما كتبه وبين ما كتبه الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي ، إذ أن مصنفاهما اتسمت بالعمق والتنوع والسلاسة ، وأما مصنفات الشيرازي اتسمت بالضحالة الفكرية ومخالفة الفطرة الإنسانية .

فالبابية والبهائية لا تمت بأدنى صلة للشيخ الأحسائي قدس سره والسيد الرشتي قدس سره ، وكذلك للشيخ الأنصاري قدس سره ، إذ أنها مخالفة لهما في العقيدة وغيره ، وهنا أحب أن أتكلم عن بعض الأمور :

١- أنهما يقولان إن اسم الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام[3] ، وأما الشيرازي يقول إن اسمه علي محمد بن محمد رضا

---

(١) الشيخية ، الطالقاني : ١٥٣ ، ١٦٤ . انظر : .

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، الوردي : ٢/٢٢٤ .

(٣) حياة النفس ، الأحسائي : ١٦٦ . أصول العقائد ، الرشتي : ٢٤٠ .

الشيرازي[١] .

٢- إن الـباب يدعي النبوة[٢] ، والشيخ والسيد يقولان بأن النبوة ختمـت بالرسـول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ ، فلا نبي معه ، ولا بعده[٣] .

٣- إن البابية والبهائية قد ادعوا أن الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي قالا بقرب ظهور الإمام الحجة عليه السلام ، وقد حثّا أتباعهما على البحث عنه ، فانتشر الأتباع في الأرض في سبيل ذلك[٤] .

إن هـذا الكـلام لم يذكر مصدره من كتب الشيخ والسيد ، ولم ينقله إلا من يصب في مصلحتهم ، وهم البابية والبهائية ومن ينقل عنهم ، ومـن المعلوم أن النقل إذا كان يصب في مصلحة الناقل ، لا يأخذ عنه ، وخصوصاً إذا وجد ما يخالف ذلك ، وكان الناقل لا يتورع .

هـذا بالإضـافة إلى أنـه يخالف عقيدة الشيخ الأوحد الأحسائي والسيد الرشتي ، حيث أهما يقولان :

---

(١) البابيون والبهائيون ، همتي : ٤٥ . الآيات البينات ، آل كاشف الغطاء : ١٢٥ .

(٢) البابيون والبهائيون ، همتي : ٤٦ . الآيات البينات ، آل كاشف الغطاء : ١١٥ . موسوعة الأديان والمذاهب ، أسود : ٣/٢٩٥ .

(٣) حياة النفس ، الأحسائي : ١٥٠ . أصول العقائد ، الرشتي : ٢١١ .

(٤) البهائية تاريخها وعقيدها ، الوكيل : ٨٥ . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، الوردي :٢/ ١٣٢ .

أولاً : بعدم توقيت خروجه عليه السلام ، وأن المؤقت كاذب[١] .

وثانياً : أن مكان خروجه عليه السلام مكة المكرمة[٢] ، فكيف لم يحددا المكان في كلامهما .

٤- إن أول من تصدى وحارب البابية هم تلامذة الشيخ الأوحد الأحسائي والسيد الرشتي ، كَمُلا محمد حجة الإسلام الممقاني (١٢٦٩ هـ)[٣] ، الذي أفحم الباب وحكم بكفره ووجوب صَلبِه ، وميرزا حسن گوهر (١٢٦٦هـ) ، وهو الذي أخرج قرة العين من العراق[٤] ، والشيخ محمد تقي الهروي الأصفهاني (١٢٩٩هـ)[٥] ، والحاج محمد كريم خان الكرماني[٦] ، وغيرهم .

٥- إن الباب بعد أن حاربه أتباع الشيخ والسيد أخذ في الطعن فيهما ، وفي أتباعهما ، وحرم قراءة كتبهما ، وإليك ما قاله في كتابه البيان في معرفة اسم القدوس :

---

(١) شرح الزيارة الجامعة ، الأحسائي : ٨٧/٣ ، (مصدق برجعتكم) .

(٢) حياة النفس ، الأحسائي : ٢٠٨-٢٠٩ . الرجعة ، الأحسائي : ١٠٨ . أصول العقائد ، الرشتي : ٢٦٧ .

(٣) عقيدة الشيعة ، الإحقاقي : ٧٩ . البهائية تاريخها وعقيدها ، الوكيل : ١١٥ .

(٤) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، الوردي : ١٦٩/٢ .

(٥) الذريعة ، الطهراني : ٤٤٥/٤ .

(٦) الذريعة ، الطهراني : ١٧٥/١٠ .

(مـــن الـــيوم الذي قُرئ عليكم كتاب ربكم - كتاب البيان - حرمـــنا عليكم يا حروف كلمة البيان ومظاهر النقطة السائرة في هويات الظهور النظر إلى تفسير الزيارة وشرح الخطبة ، وكلما كتب الأحمد بيمناه ، والكـــاظم بيمناه ، كما حرمنا على الذين من قبلكم النظر إلى عورات أمهاتكم ، وإن هذا من فضلنا عليكم وعلى الناس لعلهم يحذرون .

قـــل لـــو أنتم تنظرون إلى حرف مما حرمنا عليكم على قدر لمحة البصـــر أو ما هو أقرب ليحجبنكم الله عن مشاهدة من يظهره ، وهو يوم قيامتكم ، فاتقوا الله يا أهل البيان لعلكم تفلحون) .

ثم يقول : (قل إن الأحمد والكاظم والفقهاء لن يقدرون أن يفهموا ويتحملوا سر التوحيد بأفعالهم وكينوناتهم ؛ إذ هم أهل التحديد ، وما هم عند الله بعالمين) .

إلى أن قال : (يا أهل الذكر والبيان ، قد حرم عليكم اليوم بمثل ما حرمـــنا الـــنظر إلى أساطير الأحمد والكاظم والفقهاء القعود والجلوس مع الذين اتبعوهم في الحكم ؛ لئلا يضلوكم ، فتكونوا إذاً لمن الكافرين .

واعلموا - يا أهل الفرقان والبيان - أنكم اليوم أعداء الذين اقتدوا بالأحمد والكاظم ، وهم لكم عدو ، وليس لكم على الأرض منهم ولا لهم مـــنكم أشد عداوة ، ولقد أَلقى بينكم البغضاء والشحناء ، وهو الله ربكم الرحمن قد كان بكل شيء محيطاً ، وبما يعامل مع عباده عليماً حكيماً .

فمــــن يخطر على قلبه سبع سبع عشر عشر رأس خردل من حب هؤلاء فليذيقنهم يوم القيامة من يطهره الله بنار أليم)[١] .

وهـــذا الكلام يصور لنا قوة مقاومة أتباع الشيخ والسيد للبابية ، ويبين لنا خطر الدور الذي قاموا به في سبيل إخماد هذا الانحراف .

وخلاصة الكلام أن الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي لا علاقة لهما بالبابــية والبهائـــية ، إذ عقائدهما تخالف عقائدهم ، وأن من نسب البابية والبهائية لهما غرضه إما جلب الأنصار ، وإما النقل مع عدم التأكد .

---

(١) حقائق علمية وتاريخية ، الموسوي : ٥٢ .





الحمدلله الذى اجلى (اخلى خ‌ل) افئدة العارفين لتجلّيات ظهوره و انار قلوب السالكين لاشراقات نوره و شرح صدور العالمين لتشعشع لمعات بدوره و الصلوة على سيّدنا محمّد ﷺ الذى به استقرّ عرشه و كرسيّه و هو الاسم الّذى استقرّ فى ظلّه فلايخرج منه الى غيره و هو الاسم الاعظم المكنون و النور الانور المخزون به نوّرت الانوار و به ظهرت الاسرار و به اشرق النور من صبح الازل و به وجدت الموجودات ماقلّ و جلّ و على آله و اصحابه شموس الهدى و بدور الدجى و اعلام التقى و ذوى النهى و اولى الحجى و كهف الورى و وَرَثة الانبياء عليهم صلوات الله مادامت الارض و السماء.

امّا بعد: فيقول العبد المسكين المحتاج المستكين الغريب فى وطنه البعيد عن اهله و مسكنه اقلّ الناس جرماً و عملاً و اكثرهم جُرماً و زللاً افقر العباد من الاقاصى و الادانى ابن محمّدقاسم محمّدكاظم الهاشمىّ النبوىّ العلوىّ الفاطمىّ الحسينىّ الموسوىّ المكّىّ المدنىّ الرشتىّ انّ هذه كلمات وجيزة كتبتها على آية الكرسى و شرحت بعض خفاياها التى ماعثرت عليها افهام مفسّريها و شارحيها و كتبتها على طريق التأويل و الباطن و اعرضت عن الظاهر لانّ العلماء ملأوا كتبهم من ذلك و هو مُغنٍ لمن يريد القشر و الظاهر و مارأيت احداً تكلّم فى الباطن و اصاب الحق على مايوافق مذهب اهل الحق ﷺ و الفقير فى سنّ الشباب بعد مُضىّ عشرين سنةً من سنّه لمّاوفّقنى الله تعالى للتوجّه الى جانب بيت‌الله الحرام و السفر اليه خلج ببالى

١

الصفحة الأولى من (م)

العقل المرتفع و العقل المستوى و العقل المنخفض و العقل المتعلّق بالروح فالسماء السابعة من جهة حامليّتها لمظاهر الروح و اثارها مادّتها من الذهب و من جهة حامليّتها للعقل المرتفع مادّتها من الذهب الاحمر اى الاكسير الشمسى و من جهة عبادته و خضوعه و خشوعه و حامليّتها له من هذه الجهة مادّتها من الفضّة الصافية و من جهة حامليّتها للثالث العقل و حقيقة الغالبة عليه المرّة السوداء فمادّتها قبضة من تراب بيت المقدّس و هو الجسد الجديد و هو الحىّ الذى لايموت و لايبيد

و امّا السماء السادسة فمن جهة انّها حاملة للعلوم المرتسمة فى اللوح المحفوظ و هى الصورة فالغالب على ظاهرها البرودة و الرطوبة و على باطنها البرودة و اليبوسة و فى الباطن الممتزج بالظاهر حرارة لتقوية الروح و تصفية البدن فكانت مادّتها من الفضّة البيضاء فى الظاهر و من الطلق فى الباطن لانّ حكم الباطن لايظهر فى مقام حكم الظاهر بخلاف ساير السموات.

و امّا الخامسة فمن جهة انّها حاملة لاثار الطبيعة كانت مادّتها من الياقوتة الحمراء فى الظاهر دون الباطن و لذا قالوا انّه شيخ كبير قاعد على كرسىّ من الدم.

و امّا الرابعة فمن جهة حامليّتها للانوار الاربعة و الطبايع المختلفة كانت مادّتها ....

هذه غاية ماوجد من النسخ الموجودة عندنا (المطبوعة و المخطوطة)

الصفحة الأخيرة من (م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من (ح)

الصفحة الأخيرة من (ح)



تفسير آية الكرسي

بحوث معمقة في المضامين والدلالات لمعاني آية الكرسي

تأليف

آية الله العظمى

السيد كاظم الحسيني الرشتي "قدس سره"

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عبد المنعم العمران

الجزء الأول

مؤسسة المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث

دار المحجة البيضاء





الحمـــد لله الذي أخلى[١] أفئدة العارفين لتجلّيات ظهوره ، وأنار قلـــوب السالكين لإشراقات نوره ، وشرح صدور العالمين لتشعشع لمعات بـــدوره ، والصـــلاة عـــلى سيّدنا محمّد ﷺ[٢] ، الذي به استقرّ عرشه وكرسيّه ، (**وهـــو الاسم الذي استقرّ في ظلّه ، فـــلا يخـــرج منه إلى غـــيره**)[٣] ، وهـــو الاسم الأعظم المكنون ، والنور الأنور المخزون ، به نـــوّرت الأنوار ، وبه ظهرت الأسرار ، وبه أشرق النور من صبح الأزل ، وبه وجدت الموجودات ما قلّ وجلّ ، وعلى آله وأصحابه شموس الهدى ، وبـــدور الدجى ، وأعلام التقى ، وذوي النهى ، وأولي الحجى ، وكهف الورى ، وورثة الأنبياء ، عليهم صلوات الله ما دامت الأرض والسماء .

---

(١) في (م) : أجلى .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) انظر : مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٨١٥ ، رجب /٨٧٧ /٢٠ .

أمّـا بعد .. فيقول العبد المسكين ، المحتاج المستكين ، الغريب في وطـنه ، البعيد[٤] عن أهله ومسكنه ، أقلّ الناس جرِماً وعملاً ، وأكثرهم جُـرماً وزللاً ، أفقر العباد من الأقاصي والأداني ، ابن محمّد قاسم ، محمّد كـاظم ، الهـاشميّ النبويّ ، العلويّ الفاطميّ ، الحسينيّ الموسويّ ، المكّيّ المدنيّ ، الرشتيّ :

إنّ هـذه كـلمات وجيزة ، كتبتها على آية الكرسي ، وشرحت بعض خفاياها ، التي ما عَثرتْ عليها أفهام مفسّريها ، وشارحيها ، وكتبتها عـلى طريق التأويل والباطن ، وأعرضت عن الظاهر ، لأن العلماء ملأوا كتبهم من[٥] ذلك ، وهو مُغنٍ لمن يريد القشر والظاهر ، وما رأيت أحداً تكلّم في الباطن وأصاب الحق ، على ما يوافق مذهب أهل الحق عليهم السلام .

والفقير في سنّ الشباب بعد مُضيّ عشرين سنة من سنّه ، لمّا وفّقني الله تعالى للتوجّه إلى جانب بيت الله الحرام ، والسفر إليه ، خلج ببالي /م٢ أن أكتب على تلك الآية الشريفة ، ما لم يكتب في كتاب ، ولم يذكر في خطـاب ، مع اغتشاش البال ، واختلال الأحوال ، وأنا[٦] أسأل الله تعالى أن يـلهمني الصـواب ، ويجعلني وجميع المؤمنين الطالبين من المقتبسين من

---

(٤) في (ح) : والبعيد .

(٥) في (ح) : عن .

(٦) لم ترد في (م) .

فصل الخطاب ، وإليه المرجع والمآب ، [و لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على خير المرسلين محمّد ، وآله الطيبين الطاهرين .

وها أنا أشرع في المقصود ، بإعانة مفيض الخير والجود .

فأقول - واثقاً بالله الملك العلاّم ، وجاعلاً نفسي هدفاً لسهام طعن أغاليط الأوهام -](٧) :

---

(٧) في (ح) : فأقول .



[القرآن الكريم]

[القرآن الكريم رمز بين الحبيب والمحبوب]

اعلموا – وفّقكم الله تعالى – أن القرآن رمز بين الحبيب والمحبوب، لا يعرفه[1] – بحقيقة مراده – سواهما ، وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل نبـيّه – صلوات الله علـيه وآله – رسولاً إلى جميع خلقه ، من الأوّلين والآخـرين ، من الدرّة إلى الذرّة ، لنصّ الآيات والروايات[2] ، ولا ينكره إلاّ جـاهل ، أو جاحد معاند ، فهو قبل المرسل إليه بالذات والرتبة ، وإلاّ يلزم تقديم الأخسّ على الأشرف ، وإمارة الوضيع على الشريف ، وهذا لا يجوّزه عاقل .

---

(١) في (ح) : لا يعرف .

(٢) قـال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ .سورة الفرقان : ١ .

قـال رسول الله ﷺ : (**الحمد لله على آلائه وبلائه عندنا أهل البيت ، وأستعين الله عـلى نكبات الدنيا وموبقات الآخرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني محمداً عبده ورسوله ، أرسلني برسالته إلى جميع خلقه ...**) .

تفسير فرات الكوفي ، الكوفي : ٣٠٦ ، سورة الشعراء /٤١٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسـي : ٣٧٤/١٦ ، ك تاريخ الرسول الأعظم ﷺ ، ب١١ فضائله وخصائصه ﷺ وما امتن الله به على عباده /٨٥ .

[مراتبه ﷺ علل للمراتب الجزئية]

فــإذا كان هو مقدّماً في الوجود ، وواسطة في الإيجاد ، ولا يصل أحد إلى[١] مقامه ، ومرتبته ، لامتناع اتّحاد الرتبة ، على ما برهنّا عليه في كـثير من رسائلنا ومباحثاتنا[٢] ، فكل ما تحته من شعاعه وفاضل نوره ، والرشح الذي رشح منه ﷺ ، والحقيقة [٣] المحمدية - صلى الله عليها - علّـة للحقايق والذوات ، كما قال نفسه ﷺ[٤] : (**أنا ذات الذوات ، أنا الذات في الذوات للذات**)[٥] .

وعقلـه الشريف الكلّي علّة للعقول الجزئية ، كلاً وطرّاً ، وروحه الشـريف علّة للأرواح[٦] ، ونفسه الشريفة المقدسة علّة للنفوس الجزئية ، وطبيعته الشريفة[٧] علّة للطبايع .

وهو معنى ما قال العالم عليه السلام : (**العرش مركّب من أربعة أنوار : نـور أحمـر ، مـنه احمـرّت الحمرة ، [ونور أخضر ، منه اخضرّت**

---

(١) في (م) : في .

(٢) رسالة جبل عامل (مجموعة رسائل) ، السيد الرشتي : ٢/٢٣٣ .

(٣) في (م) : فالحقيقة .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ٣١ .

(٦) في (ح) : الأرواح .

(٧) في (ل) : المقدسة .

الخضـــرة][1] ، ونور أصفر ، منه اصفرّت الصفرة ، ونور أبيض ، منه ابيضّ البياض ، ومنه ضوء النهار)[2] .

الأول إشـــارة إلى الرابع ، والثاني إلى الثالث ، والثالث إلى الثاني ، والرابع إلى الأول .

[القرآن الكريم هو علم الرسول الأعظم ﷺ]

وهـــو ﷺ لّمـــا خلقه اللّه تعالى علّمه علم كلّ ما في الوجود ، وفـــوّض إليه أمر جميع الخلق ، فقال : ﴿ **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـــاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾[3] /م ٣ ، فهو ﷺ كان عالماً بجميع[4] المراتب ، في جميع المراتب ، بل هو علم اللّه بالخلق ، وعلمه بنفسه .

وعـــلمه هو القرآن في جميع المراتب ، قال اللّه تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ**

---

(١) ما بين المعكوفين يأتي في (ح) بعد قوله : الصفرة .

(٢) الكـــافي ، الشيخ الكليني : ١٢٩/١ ، ك التوحيد ، ب العرش والكرسي /١ . تفسير نور الثقلين ، الحويزي : ٧٣٢/١ ، سورة الأنعام /١٣٤ .

(٣) سورة الحشر : ٧ .

(٤) في (ح) : لجميع .

جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1] ، وهو القرآن بلا اختلاف .

وكما أنّ لرسول اللّه ﷺ ظهوراً في كلّ العوالم ، كذلك القرآن أيضاً ، [لأنه حكم اللّه ، الذي][2] يحكم به على عباده في العوالم ، عالم الأسرار ، وعالم الأنوار ، وعالم الأرواح ، وعالم الأشباح ، وعالم الأجسام.

وأمّا في عالم اللاهوت ، فلا كلام ، ولا اسم ، ولا رسم ، وهو واقف في ذلك المقام تحت عرش ربّه ، ساكت لا يتكلّم ، لمحوه في جماله ، وفنائه في بقائه ، وسكره في صحوه ، إذ كشف سبحات الجلال ، ووصل إلى مقام الجمال ، وجلس على سرير الكمال ، أين الكلام من[3] ذلك المقام ؟ ، وأين الثريّا من يد المتناول ؟ ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ** ﴾[4] وتصديق العالم عليه السلام بذلك ، لمّا سُئل

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

(٢) في (ح) : له حكم ، لأن الله .

(٣) في (ح) : في .

(٤) سورة الشورى : ٥٢ .

عـــن ذلك[1] ؛ لأن تحت ذلك المقام مقام الكلام ، وما كان جاهلاً حجة اللّه /ح ٣ على الأنام .

فـــأوحى اللّه تعالى إليه في مقام الأنوار ، وأرسله إلى خلقه في ذلك العـــالم ، وكان أهله كلّهم قائمين ، واقفين ببابه ، لائذين بجنابه ، وكان القـــرآن في ذلك العالم نوراً أبيض ، في كمال التلألؤ واللمعان ، كالدرة البيضاء .

[تنزل القرآن الكريم إلى العوالم]

ولـمّـــا كان أهل ذلك العالم من فاضل نوره ، وكانت إدراكاتهم ، ومشاعرهم ، كلها من فاضل ظهوره ﷺ ، فلا يدركون ، ولا يعرفون ، ما يعرف رسول اللّه ﷺ ، فلا يفهمون القرآن ، لأن القرآن بقدر فهمه وعقله ، وأين فهمهم من فهمه ؟ وإدراكهم من إدراكه ؟ .

ثمّ أنزل اللّه تعالى الخلق من ذلك العالم إلى عالم الأرواح ، فأرسل اللّـــه رسوله إليهـــم ، مبشِراً ونذيراً ، وأوحى إليه القرآن ، فنـــزل النبي

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني : ٢٧٤/١، ك الحجة، ب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام /٥. بصـــائر الدرجات ، محمد بن الحسن الصفار : ٤٧٨/٩ ، ب١٧ ما يسأل العالم عن العلم الذي يحدث به ... /١ . ينابيع المعاجز ، البحراني : ٧٢، ب التاسع .

ﷺ ، وتنــزّل القرآن إلى ذلك العالم ، وهو [حينئذ][1] نور أصفر في كمـــال الصفرة ، ونشر رسول اللّه ذلك النور في ذلك العالم ، على أهل ذلك[2] العالم ، فأشرق على الكلّ ، بقدر ما فيه من القوّة والاستعداد .

وهذا الانتشار كان بالرشح لا بالأصل ، لما قلنا لك آنفاً ، فعرفوا الرشح والقشر ، وبقي اللّب /م ٤ والأصل ، محجوباً في حجاب الخفاء ، ومقنّعاً بالحجب والأستار ، بل ما فهموا ما فهم أهل العالم الأول المكلّفين، فهـــم أصل بالنسبة إلى هؤلاء ، ومعرفتهم قشر بالنسبة إلى معرفة[3] النبي ﷺ ، فلهم قشر القشر بالنسبة إلى القرآن الأصل .

ثمّ أنزل الله الخلق من ذلك العالم إلى عالم النفوس ، ومقام النقوش ، فأمر نبيّه ﷺ بالنـــزول إليهم ، فنـــزل بكلامه ، الذي هو القرآن ، إلى ذلـــك العالم ، فقال لهم عن الله تبارك وتعالى : (**ألست بربكم ، ومحمّد نبيّكم ، وعليّ وليّكم ، والأئمّة أولياءكم .**

قالوا : بلى)[4] .

---

(١) في النسختين : إذن .

(٢) في (ح) : هذا .

(٣) في (ح) : إلى ما عرف .

(٤) مختصـــر بصـــائر الدرجات ، الحلي : ١٦٧ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٣٦/٥ ، أبـــواب العـــدل ، ب ١٠ الطينة والميثاق /١٢ . تفسير القمي ، القمي : ٢٤٧/١ ، سورة الأعراف : ١٧٢ .

فسعد من سعد ، وشقي من شقي ، (**السعيد سعيد في بطن أمّه ، والشقي شقي في بطن أمّه**)[1] .

والقرآن حينئذٍ نور أخضر ، كالزمرّدة الخضراء ، فنشر النور على أهل ذلك العالم ، أي قرأ القرآن عليهم ، ففهموا حكم الله ، وعرفوا أمر الله ، فأجاب من أجاب ، وأنكر من أنكر ، لكن ما عرف هؤلاء قشر لمعرفة أهل عالم الأوراح ، الذي معرفتهم قشر لمعرفة أهل عالم الأنوار ، الذي معرفتهم قشر لمعرفة النبي ﷺ ، فمعرفة أهل هذا العالم قشر قشر القشر بالنسبة إلى معرفة النبي ﷺ القرآن الأصل .

ثمّ أنزل الله تعالى الخلق من ذلك العالم ، إلى عالم الأجسام ، مقام النقش والارتسام ، أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يدعوهم ، ويأمرهم ، وينهاهم ، فأظهر ﷺ الأنبياء والرسل بإذن الله تبارك وتعالى على حكم القرآن ، بمقتضى ذلك الزمان في عالم الأجسام ، من أوّل آدم إلى زمان بروزه وظهوره ، وتشعشع نوره ﷺ ، فتنزّل القرآن من عالم الأنوار إلى عالم الأجسام ، ومن الغيب إلى الشهادة ، فظهر بمقتضى ذلك الزمان إلى آخر الزمان ، فكان ألفاظاً وعبارات ، وقصصاً وحكايات ، كما ترى.

---

(١) التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٣٥٦ ، ب ٥٨ السعادة والشقاوة /٣ . تفسير القمي ، القمي: ١/٢٢٧ ، سورة الأعراف : ٣٠ .

[القرآن الكريم وشموليته]

فكلّ الكتب المنــزلة على الأنبياء والمرسلين ، إنّما هي نسخة من القــرآن ، وحكم من أحكامه ، والقرآن سرّها ، ولبّها ؛ ولذا قال العالم عليه السلام : (**وسرّ الكتب المنــزلة في القرآن**)[1] .

وقــد روي أنّ القرآن فيه جميع ما في الكتب المنــزلة وزائداً[2] ، وقــيل : الــزائد هــو الحواميم السبع[3] . ونعما قال ، لكن ببيانه يرتاب الجاهلون ، والكناية أبلغ من التصريح .

ففــي القــرآن جميع الأحكام ، والأخبار ، واللغات ، من الهنديّة والتركــيّة ، والروميّة والسريانيّة ، واليونانيّة و /م ٥ العبرانيّة ، وغيرها من اللغــات ، وجمــيع الأشعار بجميع الألحان ، من العربيّة والعجميّة ، وفي القــرآن الإخبار بما في الغيب ، وما وقع ، وما سيقع ، إن شاء الله تعالى ، على سبيل الحتم .

---

(١) بيان الآيات ، الجيلاني : ٣٣ . نقلاً عن تفسير المحيط الأعظم ، الآملي : ٢١١/١ .

(٢) مجمــع البــيان ، الطبرســي : ٤١/١ . مرآة العقول ، المجلسي : ٤٨١/٢ . الدر المنثور ، السيوطي : ٣٤٤/٥ .

(٣) مجمــع البــيان ، الطبرسي : ٤٢/١ . مرآة العقول ، المجلسي : ٤٨٢/١٢ . الدر المنثور ، السيوطي : ٣٤٤/٥ .

وفي القرآن جميع العلوم على سبيل الاستغراق ، ما[١] وصل إلينا ، وما[٢] لا يصل ، وهو مكنون عند الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقرّبين ، وما لا يصل إليهم أيضاً ، وهو مكنون عند الملائكة الكروبيّين ، وما لا يصل إليهم أيضاً ، وهو مكنون عند الملائكة العالين ، الذين ما سجدوا لآدم عليه‌السلام ، قال الله تعالى لإبليس : ﴿ **أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾[٣] .

وكلّ الأدعية والمناجات ، التي جرت على لسان نبيّ من الأنبياء ، ووصيّ من الأوصياء ، والملائكة المقرّبين ، وكلّ شيء مما وجد ، وما لم[٤] يوجد إلى يوم القيامة ، وفيه الجفرة الجامعة ، ومصحف فاطمة صلوات الله عليها ، ولذا قال تعالى : ﴿ **وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[٥] .

خذها[٦] قاعدة كلّيّة ، فتعرف منها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ**

---

(١) في (ح) : مما .

(٢) في (ح) : مما .

(٣) سورة ص : ٧٥ .

(٤) في (ح) : ولم .

(٥) سورة يوسف : ١١١ .

(٦) في (ح) : هذا .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[١] .

يا أخي - وفّقك الله تعالى - اقرأ القرآن ، ولا تدعه ، فإنّه أحسن لك من كلّ شيء ، إذا واظبت عليه ترى سرّ ما أقول لك .

[العلم بالقرآن الكريم مختص به ﷺ وأهل بيته عليهم السلام]

فـإذا فهمـت هذه المذكورات ، عرفت مبلغاً من علم القرآن ، وفهمـت أنّه لا يجوز أن يتمنّى ذلك ، كما هو ؛ لأنّه حرام على المسلمين والمؤمنين ، لأنّه تمنّي رتبة النبي ﷺ وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وهـذا لا يجوز لأحد حتّى الملك المقرّب ، والنبي المرسل ، وإلاّ لاحترق ، ولـبعد عن ساحة القرب والعزّ ، (**رحم الله امرأً عرف قدره ، ولم يتعدّ طـوره**)[٢] ، و (**من خرج عن زيّه فدمه هدر**)[٣] ، وقد قال العارف بمقامهم ورتبتهم :

---

(١) سورة الأنعام : ٥٩ .

(٢) شرح مائة كلمة ، ابن ميثم البحراني : ٥٩ ، القسم الثاني ، ف١ في المباحث المتعلقة بالعقل والعلم ... ، الكلمة الخامسة . شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ، عبد الوهاب : ٣٥/٣٠ . عـيون الحكم والمواعظ ، الواسطي : ٢٦١ ، ب١٠ ، ف١ . شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١١٨/١٦ .

(٣) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٢٨/٦٠ ، ك السماء والعالم ، ب٢ حقيقة الجن وأحوالهم /١١٦ . كشف الخفاء ، العجلوني : ٢٤٣٣/٢٣٩/٢ (باختلاف يسير) .

أ گر يكسر موى برتر پَرَم   فــروغ تجلّى بسوزد پَرَم

ولا يغـــررك مـــا عندك من الفهم القليل ، أن تدّعي فهم القرآن ، لأنّـــك (مـــا أوتيت من العـــلم إلاّ قليلاً)[1] ، ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِـيمٌ** ﴾[2] ، ولا تـــنكر على من قال شيئاً ، واستدلّ بالقرآن بخلاف ما فهمت وعـــرفت ، إذا لم تر له منافياً ، ومعانداً في الأحـــاديث ، وإجماع الفـــرقة المحقّة ، على التفصيل الذي ذكرنا في رسالتنا (مقامات العارفين) فاطلبه ، وانظر إليه ، ليظهر لك /م ٦ الحق الحقيق بالتصديق والتحقيق .

[مراتب فهمنا للقرآن الكريم]

فـــإذا فهمـــت أن حقيقة القرآن رمز لا يعرفه إلاّ الله تعالى ، ومن أرســـله إلـــيه ، وأهل بيته ، وأهل البيت أدرى بالذي فيه ، فاعلم : أنّا لّما سمعـــنا منه ﷺ القرآن في عوالم عديدة ، وفهمنا منه بقدر أفهامنا ، من الرشح في ذلك العالم ، وهذه العوالم متفاوتة في اللطف والغلظة ، والشرافة والكثافة ، والتجرّد والمادّية ، فيختلف فهم القرآن باختلاف أفهامنا .

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ ، سورة الإسراء : ٨٥ .

(٢) يوسف : ٧٦ .

فنسمّي[١] ما فهمنا من القرآن بعد تنــزّله إلى عالم الأجسام /ح ٤ بالظاهر ، وما فهمنا في عالم الأشباح بالباطن ، وما فهمنا في عالم النفوس بباطن الباطن ، وما فهمنا في عالم الأرواح بباطن باطن الباطن ، وما فهمنا في عالم الأنوار بباطن باطن باطن الباطن ، وعلى هذا (**كلّما رفعت لهـم علماً ، وضعت لهم حلماً ، ليس لمحبّتي غاية ، ولا نهاية**)[٢] .

وكلّ ذلك قشر وظاهر بالنسبة إلى مبدئنا ، وأوائل جواهر عللنا ، فإذا[٣] كان كذلك قلنا أيضاً طريق إلى الباطن بأقسامه ، إلاّ أنّ هذا الباطن قشـر وظاهـر بالنسبة إليهم ، ولهم أيضاً هذه المراتب ، وعندهم بواطن وتأويلات ، لأنّ عقلنا من فاضل جسمهم .

وقـس عليه كلامهم ، كما أنّ لنا كلاماً عقليّاً ، وكلاماً روحيّاً ، وكلاماً نفسيّاً ، وكلاماً مثاليّاً ، وكلاماً جسميّاً ، كذلك لهم عليهم السلام أيضاً.

---

(١) في (ح) : فسمّي .

(٢) إرشاد القلوب ، الديلمي : ١٩٩ ، ب٥٤ ، فيما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله ربه ليلة المعراج . الجواهـر السـنية ، الحر العاملي : ١٩١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢١/٧٤ ، ك الروضة ، ب٢ مواعظ الله عزّ وجلّ في سائر الكتب ...٦/ (باختلاف يسير) .

(٣) في (ح) : فإن .

وما تسمع في الأحاديث[١] من أنّ الباطن مخصوص بالنبـــي ﷺ و أهل بيته عليهم السلام ، ليس لأحد فيه نصيب ، يراد بها الباطن على الحقيقة ، وأمّـــا[٢] الـــباطن الـــذي عندنا ، ظاهر بالنسبة إلى غيرنا ، وأمّا الباطن الذي ليس ظاهراً ، فهو مخصوص بهم[٣] ، وليس لأحد فيه نصيب .

ومـــا تسمع في الأحاديث أنّ شيعتهم يعلمون ، مثل قولهم : (**إنّ حديثنا صعب مستصعب ، لا يحتمله إلاّ الملك المقرّب ، والنبيّ المرسل ، والمؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان**)[٤] ، فهو إشارة إلى الباطن بالمعنى الأعم ، كما لا يخفى .

[مراتب الباطن]

قلنا أيضاً بعون[٥] الله وقوّته ، مراتب في الباطن :

---

(١) الكـــافي ، الكلـــيني : ١/٢٢٨ ، ك الحجة ، ب أنه لم يجمع القرآن كله ... /٢ . بصائر الدرجـــات ، الصـــفار : ٤/٢١٦ ، ب ٧ في أن الأئمـــة أنهم اعطوا تفسير القرآن الكريم والتأويل /٧ . تفسير العياشي ، العياشي : ١/١١ ، تفسير الناسخ والمنسوخ ... /٥ .

(٢) في (ح) : فإن .

(٣) في (ح) : لهم .

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق : ٢٠٨ ، ب الأربعة .../٢٧ . معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق: ١٨٩ ، ب معـــنى المديـــنة الحصـــينة /١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٢/٣١٨ ، ك الإمامة ، تاريخ الإمام المهدي عليه السلام ، ب ٢٧ سيره و أخلاقه ... /١٧ .

(٥) في (ل) : بفضل .

المرتبة الأولى : مرتبة السرّ المقنّع بالسرّ ، وبها نعرف أسرار النقطة بالرشح .

المرتبة الثانية : مرتبة السرّ المستسرّ بالسرّ ، وبها نعرف أسرار الألف الممتدّ من النقطة بالرشح ، قال في هذا المقام ، ونعم ما قال /م ٧ :

نقطة باكوز ظلّ وحدت حق شد پد يد
مبدء[١] خطّ الف گرديد بى گفت وشنيد
أز الف پيدا حروف أز حرف قرآن مجيد
پس به[٢] هر حرف أز كلام واحد وفرد وحيد
شاهد موجود بر يكتائي مولا علي أست

المرتبة الثالثة : مرتبة السرّ المستسرّ بالظاهر ، وبها نعرف أسرار الحروف ، والسحاب المزجى .

المرتبة الرابعة : مرتبة الكلمة التامّة ، وهي مرتبة الجلد ، ولها مراتب :

المرتبة الأولى : مرتبة الأوبار ، وأشرفها وأعلاها وأعظمها وأقدمها.

المرتبة الثانية : مرتبة الأصواف .

---

(١) في (ل) : منشأ .

(٢) لم ترد في (ح) .

المرتبة الثالثة : مرتبة الأشعار .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِـــينٍ** ﴾[١] ، وكلّ هذه المراتب رشح من مبدئنا ، يرشح علينا ، ولذا قال العالم عليه السلام عند قول القائل : أولست بصاحب سرّك ؟ .

قال : (**نعم ، ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي**)[٢] .

فافهم ، وكن به ضنيناً ، وهذا[٣] الذي ذكرنا لك من الوجوه التي تذكر[٤] في هذا المقام .

[زيادة بيان في مراتب فهمنا للقرآن الكريم]

وإذا أردت أزيد من ذلك ، فاعلم : أنّه قد دلّت الآيات والروايات[٥] ، ودلّ العقل السليم – المستمدّ من الفؤاد ، الناظر بنور ربّه ،

---

(١) النحل : ٨٠ .

(٢) جامع الأسرار ، الآملي : ٢٨ . التحفة السنية ، السيد عبد الله الجزائري : ٨ .

(٣) في (ح) : وهو .

(٤) في (ح) : نذكر .

(٥) عوالي اللئالي ، ابن جمهور الأحسائي : ٤/١٠٧ ، الخاتمة ، الجملة الأولى /١٥٩ . المحاسن ، البرقي : ٢/٣٠٠ ، ك العلل /٥ . تفسير العياشي ، العياشي : ١/١١ ، تفسير الناسخ والمنسوخ ... /٢– ٨ . بصائر الدرجات ، الصفار : ٤/٢١٥ ، ب/٧ ٥ ، ٧ .

الذي قال فيه العالم عليه السلام : (**اتقوا فراسة المؤمن ، فإنّه ينظر بنور الله**)[(١)] - أنّ للقـــرآن ظاهـــراً وباطناً ، وتأويلاً ، وللظاهر ظاهر ، وله ظاهر إلى سبعة، وللباطن – وهو أمير المؤمنين عليه السلام - باطن ، وباطن باطن ، وباطن باطن باطن ، إلى سبعة .

وللـــتأويل تـــأويل ، وتأويل تأويل ، إلى سبعة ، ولباطن التـــأويل بـــاطن ، وبـــاطن باطن ، إلى سبعة ، والقول في معرفة جميع المراتب على التفصـــيل لا يســـع المقام لذكرها ، لكنّي أبيّن بتوفيق الله وقوّته ، وحسن إعانته ، هذه التفاسير ، ممّا أذن لنا بالبيان .

[أ- الظاهر] :

أمّـــا الظاهر : فظاهر ، لأنّه التفسير على وضع اللغة العربيّة ، مع ملاحظـــة جمـــيع تركيـــباته الـــنحويّة ، من تقديم العامل على المعمول ، وبـــالعكس في مواضـــع عديدة ، وإذا كان المعمول ظرفاً ، أو جارّاً و[(٢)]

---

(١) بصائر الدرجات ، الصفار : ٣٧٧/٧ ، ب١٧ في الأئمة عليهم السلام أنهم المتوسمون في الأرض... /١٠ . الكـــافي ، الشيخ الكليني : ٢١٨/١ ، ك الحجة ، ب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام .../٣ . الأمالي ، الشيخ الطوسي : ٢٩٤ ، المجلس الحادي عشر /٢١ .

(٢) في (م) : أو .

مجـــروراً ، وأمثال ذلك ، وتقديم المبتدأ على الخبر ، وأمثال ذلك ، ممّا هو المقرّر عند النحويّين .

وعدم صرف اللفظ عن معناه اللغوي إن أمكن ، و /م ٨ صرفه إلى المجـــاز ، والكــنايات ، والاستعارات ، إن دلّ الدليل العقلي ، والحديث النـــبوي ، على بطلان صرفه إلى المعنى اللغوي ، وأمثالها ممّا هو المقرّر عند أهل المعاني[1] والبيان ، وهذا هو المعروف عند المفسّرين ، بل لا تكاد تجد غيره[2] ، فلو تكلّمت بغيره أنكروك ، لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له .

[ب- التأويل] :

[المعنى الأول للتأويل] :

وأمّـــا[3] التأويل : فهو أن لا تلاحظ هذه الأمور ، بل تأخذ بعض الكلام مجرّداً عن ملاحظة ارتباطه بما قبله ، أو بما بعده ، مثل قوله تعالى : ﴿ يُغْـــنِ اللَّـــهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ ﴾[4] أي إذا خرج القائم عليه السلام[5] ، ويمتاز

---

(١) في (ح) : المعان .

(٢) في (ح) : غيرها .

(٣) في (ح) : أما .

(٤) النساء : ١٣٠ .

(٥) في (م) : دابة الأرض .

الأخيار من الأشرار ، ويعزّ الأخيار ، ويذلّ الأشرار ، ينبسط العلوم ، وتنتشر المعارف ، بحيث لا يحتاج[١] إلى أن يتعلّم العلم والمعرفة[٢] ، فإذاً العالم والمتعلّم بمنزلة سواء ، ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِه ﴾ .

وهذا إذا قطعت النظر عن أوّلها وآخرها ، لأنّك إذا لاحظتها مع ذلك ، لا يفيد المعنى الذي قلنا .

وكذا يشترط فيه أن يكون المعنى معنىً باطنيّاً ، خلاف ما يعرفه أهل الظاهر ، كما عرفت من المثال ، وهذا المعنى عام كلّي ، لا يتخصّص بشيء دون شيء .

[المعنى الثاني للتأويل] :

وقد يطلق التأويل ويراد به ما كان في العالم الإنساني ، من الأحكام القرآنيّة ، لأنّ الإنسان الصغير هو نسخة العالم الكبير ، وفيه ما في العالم .

أتزعم أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر[٣]

---

(١) في (ح) : لا يحتاج أحد من .

(٢) مختصر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ٢٠١ ، تتمة ما تقدم من أحاديث الرجعة . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٣/٨٦ ، تاريخ الإمام المهدي عليه السلام ، ب٢٩ الرجعة /٨٦ .

(٣) التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ١/٩٢ ، سورة البقرة /٢. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، ابن الدمشقي : ٢/١٣٦ ، ب٦٥ في ذكر شيء من شعره عليه السلام . ديوان أمير المؤمنين عليه السلام ، الطباع : ٧٣ .

والأحكام القرآنية في الظاهر في الإنسان الكبير ، ولك أن تؤوّلها في الإنسان الصغير ، إذ كلّ ما فيه فيه أيضاً ، وكذا في الإنسان الوسيط ، أي المولود الفلسفي ، إذ كلّ ما فيه فيه أيضاً فيطابق[١] .

مثل : قوله تعالى : [﴿ وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾[٢] هذا خطاب في التأويل للعقول ، يعني يا أيّها العقول][٣] ، ﴿ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ﴾ أي : النفوس الأمّارة بالسوء ، أي لا تجعلوها صديقة لكم، وتحبّونها ، وتفعلون بمقتضاها ، ﴿ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾ أي : تطمئنّ[٤] في طاعة الله سبحانه ، ولا تريد الشرّ ، وتصير تابعة للعقل .

ولك أن تقول : إنّ[٥] هذا خطاب للطيور ، التي هي الديك والحمامة والطاووس ، التي هي الأبيض الغربي ، والأصفر الشرقي ، والأحمر الشرقي ، يعني[٦] لا تدخلوا في الأرض المقدّسة ، التي فيها[٧]

---

(١) في (ح) : فتطابق .

(٢) البقرة : ٢٢١ .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) في (ح) : يطمئن .

(٥) لم ترد في (ح) .

(٦) لم ترد في (ح) .

(٧) في (ح) : فيه .

الكثافات ، والأوساخ ، و /م ٩ عليها الرذائل ، ﴿ **قَوْماً جَبَّارِينَ** ﴾[١] وهو ريش الغراب ، [لأنّ ريشه منتن ، لا يمكن][٢] الدخول فيه ﴿ **حَتَّى يُؤْمِنَّ** ﴾ : أي تطهر تلك الأرض ، بإرسال الأبيض الغربي إليها ، وتكون كسحالة الفضّة أو الذهب .

فأمر بنكاحهنّ /ح٥ بعد إيمانهنّ بطريق مفهوم المخالفة ، فيزوّجون: أي الأربعة ، بملاحظة ، والثلاثة بملاحظة أخرى ، والاثنين بملاحظة أخرى.

الأوّل : بأن تقول الأبيض الغربي ، والأصفر الشرقي والأحمر الشرقي ، والأنفحة يسقونها بالأرض المقدّسة بعد التصفية .

والثاني : مع[٣] قطع النظر عن الأنفحة .

والثالث : بأن تقول الطيّار وشيء يشبه البرقا ، قال العالم الكبير عليه السلام :

خذ الطيّار والطلقا ... وشيئاً يشبه البرقا
إذا مزّجته سحقا[٥] ... ملكت الغرب والشرقا[٤]

---

(١) المائدة : ٢٢ .

(٢) في (ح) : ولا يمكن .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) في (ح) : الشرق والغربا .

(٥) في (ح) : السحقا .

فافهم ، وكن به ضنيناً .

فالقرآن من أوّله إلى آخره بهذه الوتيرة والنمط ، كيف يكون وصف الله التدويني ، مخالفاً لوصفه التكويني ، ﴿ **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ** ﴾[١] .

و ﴿ **لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً** ﴾[٢] ، ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾[٣] ، ﴿ **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾[٤].

[المعنى الثالث للتأويل] :

وقد نطلق التأويل ، ونريد به[٥] ما كان المؤوّل إليه ، ويؤل الأمر إليه ، وهو الذي يرجع الأمور ، وتعود[٦] إليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۞ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا**

---

(١) الملك : ٣ .

(٢) طه : ١٠٧ .

(٣) النساء : ٨٢ .

(٤) البقرة : ٢٦٩ .

(٥) لم ترد في (ح) .

(٦) في (ح) : ويعود .

حِسَابَهُمْ ﴾[1] ، فلنقبض عنان القلم خوفاً من فرعون وملئه أن يفتنهم ، آه آه :

وفي النفس لبانات	إذا ضاق لها صدري
نكتّ الأرض بالكفّ	وأبديت لها سرّي
فمهما تنبت الأرض	فذاك النبت من بذري[2]

هذا مجمل القول في معنى تفسير التأويل ، وكلّ ذلك ورد عن الشرع ، لا[3] بالتصريح ، بل بالإشارة والتلويح ، لا يعرفه إلاّ العالم ، [أو من علّمه إيّاه العالم][4] ، قال الحافظ الشيرازي بالفارسيّة ونعمّا قال /م ١٠ :

نه هركه چهره برافروخت دلبرى داند
نه هركه آينه سازد سكندرى داند

---

(١) الغاشية : ٢١-٢٦ .

(٢) فضل الكوفة ومساجدها ، محمد المشهدي : ٦٥ ، ذكر الصلاة والدعاء ... . بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٤٤٩/٩٧ ، ك المزار ، أبواب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ... ، ب٧ مسجد السهلة ... ، فضل مسجد الجعفي والصلاة والدعاء فيه /٢٦ . المزار ، المشهدي : ١٥٣ ، ب٩ ذكر الصلاة والدعاء بمسجد جعفي .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) لم ترد في (ح) .

نه هركه طرف كله كج نهاد وراست نشست
كــلا هــدارى وآيــين ســرورى دانــد
هــزار نكــتة باريكــتر زمــو اينجاســت
نــه هــركه ســر نتراشــد قلــندرى داند

[**ج- الباطن**] :

وأمّــا الــباطن : فهو أن تلاحظ الصورة العربيّة كما في الظاهر ، وتلاحــظ التقديم والتأخير كما في الظاهر ، حرفاً بحرف ، لكن تقصد منه المعنى الباطن ، الذي لا[1] يكون مدلوله على خلاف ما يعرفه أهل الظاهر، وأهل الباطن يدعون المجاز ، ويأخذون الحقيقة ، ويجعلون الحقائق متعدّدة ، كالصلاة حقيقة للولاية[2] ، وحقيقة بعد حقيقة للأركان المخصوصة .

وكمــا في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ** ﴾[3] ، الماء ماء الوجود ، وسرّ الحقّ المعبود ، وظهور الربّ الودود ، وهو النازل

---

(١) في (ح) : ما .

(٢) الكافي ، الكليني : ١/٤١٩ ، ك الحجة ، ب فيه نكت ونتف من التنــزيل في الولاية /٣٨.
تأويل الآيات ، الحسيني : ١/١٩ ، مقدمة الكتاب /٢ .

(٣) الأنبياء :٣٠ .

مـــن سحاب المشيئة ، الواقع على أرض الجرز ، فيكوّن ماء ثاني به وجود الموجودات المقيّدة ، وظهور الأفعال المحكمة المتقنة .

ولمّـــــا أشـــرق شمس اسم الله القابض على ذلك الماء ، صعدت الأبخـــرة ، فامتزجت مع جوهر الهباء ، المنبثّ في هواء الإمكان ، الخاصّ باسم الله البديع والحيّ ، فصارت سحاباً مزجى .

ثمّ تراكمـــت ، فأشـــرق عليه شمس اسم الله القابض مرّة أخرى ، فـــتقاطر ماء ، وقع على قابليّات النفوس ، فتكوّن ماء ثالث ، وهكذا إلى هذا الماء[١] ، الذي هو الجسم البارد السيّال .

فـــإطلاق الماء عليه ليس على سبيل المجاز ، لأنّ أهل العربيّة وضعوا ذلـــك لذلك ، وإطلاقه على الماء الأوّل والثاني والثالث إلى آخـــرها ليس مجـــازاً ، إذ لا يتصوّر المجاز قبل الوضع ، لقولهم إنّ المجاز يستلزم الوضع ، وإن لم يستلزم الاستعمال ، ولا يتصوّر وضع اللفظ قبل وجود المعنى .

فثبت بالدليل أنّ إطلاق الماء على هذا الماء من قبيل إطلاق الحقيقة بعد الحقيقة ، فالحقيقة الأوّلية للـــوجود ، وهو المـــراد من قـــوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْـــنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾[٢] ولفظ كلّ سور موجبة كليّة ،

---

(١) في (ح) : المعنى

(٢) الأنبياء : ٣٠ .

يفيد الاستغراق والعموم ، ولا ريب أنّ /م ١١ حياة المجردات[١] ليس من المـــاء ، الذي هو العنصر المخلوق تحت الكرة الهوائيّة ، ولعمري أنّ حياة الهواء والنار ، والأفلاك ، وغيرها من العلويّات ، ليس من هذا الماء ، فأين الكليّة المستفادة من الآية الشريفة ؟ .

فيجـــب أن يحمل على الوجود ، إذ به يمتاز العابد من[٢] المعبود ، والخالق من المخلوق ، فالحقيقة الأوّلية للوجود ، والحقيقة الثانويّة للعقل ، والحقيقة الثالثيّة[٣] للنفس ، وأمثال ذلك .

وهـــذا معـــنى مـــا قلنا لك : إنّ أهل الباطن يأخذون الحقائق ، ويتركون المجاز ، ويقولون إنّ المجاز قنطرة الحقيقة ، والطريق الموصل إليها ، بـــل هو شعيرة[٤] الحقيقة ، وليس عندهم الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضـــع له ، بل الحقيقة عندهم : ذات كاملة ، لطيفتها زائدة على ذاتها ، فـــالذات هي الحقيقة ، واللطيفة هي المجاز ، ولمّا كانت اللطيفة على هيئة الذات فتكون مثالها ، فافهم[٥] ، ولا تكن من الغافلين .

---

(١) في (ح) : الموجودات .

(٢) في (ح) عن .

(٣) في (ح) : الثالثة .

(٤) في (ح) : شعرة .

(٥) في (م) : الذات ومثالها فتكون هي الحقيقة فافهم .

فـــأهل الـــباطن يراعون الظاهر حرفاً بحرف ، ويقصدون معنى لا يخالفـــه في عـــين المخالفة ، وكلّ باطن يخالف الظاهر كذلك ، فهو باطل مردود ، كما سيجيء إن شاء الله تعالى[1] .

[د- ظاهر الظاهر] :

أمّـــا ظاهـــر الظاهر : فهو أن تأخذ مادة الكلمة من غير ملاحظة الوضع اللغوي ، وتصرّف فيها بما شئت على النهج المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً** ﴾[2] قالوا : إنّ الجبال جمع جبلّة ، وهي الطبيعة ، وهذا على تفســـير ظاهـــر الظاهر ؛ لأن الجبال جمع جبل في الظاهر ، ولا يجمع على الجبلة ، وفي الباطن : الجبال جمع جبل ، وهو الأجسام ، فلاحظت المناسبة الظاهريّة في الباطن ، وما لاحظتها في ظاهر الظاهر ، كما لا يخفى .

---

(١) انظر : ١/١٤٠ .

(٢) النحل : ٦٨ .

[هـ - باطن الباطن] :

وأما باطن الباطن : فهو مما أمرنا بكتمانه ، وعدم إظهاره ، لأن من الناس من يحتمل ، ومنهم[1] من لا يحتمل ، وقال العالم الحكيم عليه السلام : (**لا كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال حان وقته ، ولا كل ما حان وقته حضر أهله**)[2] ، وقال أيضاً[3] :

إني لأكـــتم من علمي جواهره	كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا
يـــا ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقـــيل لي أنـــت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يـــرون أقـــبح مـــا يأتونه حسنا

/م ١٢ لكـــن لّمـــا كـــان لكلّ شيء بيان /ح٦ بحسبه ، بالإشارة والتلويح ، وأشار العلماء إليه ، نشير إليه ، ونسكت عن غيره .

فـــنقول - ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم - : يا أخي - وفّقك الله تعالى - استمسك بالعروة الوثقى ، واعتصم بحبل الله ، واسلك

---

(١) في (ح) : ومن الناس .

(٢) مختصر بصائر الدرجات ، الحلي : ٢١٢ ، تتمة ما تقدم من أحاديث الرجعة . بحارالأنوار ، العلامة المجلسي : ١١٥/٥٣ ، تاريخ الإمام المهدي عليه السلام ، ب٢٩ الرجعة /٢١ .

(٣) شـــرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢٢٢/١١ . الأصول الأصلية ، الفيض الكاشاني : ١٦٧ . التحفة السنية ، السيد عبد الله الجزائري : ٨ (باختلاف يسير) .

سبيل الله ، وسر في القرى الظاهرة ، كي تصل إلى القرى المباركة الباطنة ، وينكشف لك السرّ في باطن الباطن ، إذا وصلت إلى الباب ، فاعلم أنّه [باطن الباطن ، وإذا وصلت إلى المعاني][١] ، فاعلم أنّه باطن باطن الباطن، وإذا وصلت إلى التوحيد ، فاعلم أنّه باطن باطن باطن الباطن .

وفي[٢] مقامات التوحيد إن وصلت إليها ، ترى العجائب والغرائب، ممّا لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وقل : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾[٣] .

﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾[٤] ، فتفوز فوزاً عظيماً ، بالله عليك لا تنسني إذا وصلت ذلك المقام .

إن فهمت هذا القدر من الكلام ، ينكشف لك السرّ في باطن

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (ح) : وإلى .

(٣) سورة الفاتحة .

(٤) سورة الإخلاص .

الباطن ، وهكذا إلى آخر الكلام ، ونعم ما قال[1] :

وإيّاك واسم العامريّة إنّني أخاف عليها من فم المتكلّم

إن فهمت المراد ، لا تتكلّم إلاّ كما تكلّمنا ، ولا تصرّح بالمراد ، وإلاّ فعليك لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين .

[و- باطن التأويل] :

وأمّا باطن التأويل : فلنعرض عن بيانه ، ولنقبض العنان ، لأنّا لسنا من فرسان هذا الميدان .

[هذه المراتب تعرف بالرشح] :

وهذه المراتب يعرفها العلماء بالرشح ، لأنّ الموجودات من شعاع نور محمّد ﷺ ، والشعاع وإن لم يبلغ إلى مرتبة المنير لكنّه مثاله ، ويشابهه، ولذا ورد في الدعاء : (**لا فرق بينك وبينها ، إلاّ أنّهم عبادك**

(١) المدهش ، ابن الجوزي : ٣٣٦ .

وخلقك)[١] ، فافهم ، لقد كشفت القناع ، لكن ما أظهرت المراد خوفاً من فرعون وملئه ، قال ونعم ما قال :

أخاف عليك من غيري ومنّي ومنك ومن مكانك والزمان /م ١٣

ولـو أنّي جعلتك في عيوني إلى يـوم القـيامة مـا كفـاني

[شروط صحة التأويل والباطن وغيرهما]

فـإذا عرفـت هذه المراتب فاعلم : أن هذه الأمور لا تحصل لكلّ أحـد، ولا يقـدر كلّ الناس ، ممن يدّعون الفضيلة ، أن يعرفوا القرآن ، ويفهمـوا بواطـنه وأسراره ، بل يحتاج إلى شروط لا بدّ من ملاحظتها ، وإلاّ لا يصح .

[الشرط الأول : أن لا يكون مخالفاً للظاهر والصورة] :

منها : ألّا يكون مخالفاً للظاهر والصورة ، ومنافياً لما يعتقده العوامّ ، من المسلمين والمؤمنين ، فإنّ النبي ﷺ قد أقرّهم على ذلك ، وما غشّهم،

---

(١) مصباح المتهجد ، الطوسي : ٨٠٣ ، أدعية شهر رجب /٨٦٦/٩ . إقبال الأعمال ، السيد الحسـني : ٢١٤/٣ ، ب٨ فـيما نذكر مما يختص بشهر رجب وبركاته ... ، ف٢٣ فيما نذكره من الدعوات في أول يوم من رجب ... . بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٣٩٣/٩٥، أبواب أعمال السنين والشهور ... ، ب٢٣ أعمال مطلق أيام شهر رجب ... /١ .

ومـــا أضلّهم عن السبيل ، نعوذ بالله منه ، لأنه الهادي إلى السبيل ، والنور الذي يذهب بظلمة الضلال والشكّ ، بل أقرّهم على الهدى ، وهداهم إلى صراط السويّ .

لكنّهم لـمّـا كانوا لا يعرفون الحقائق ، ولا يدركون الدقائق ، وما تصل أفهامهم إلى المطالب العليّة العالية ، فألبسوا عليهم السلام تلك الدقائق لباس الظاهـــر والصـــورة ، وألقوها عليهم ، بحيث إذا اعتقدوا بالظاهر اعتقدوا بالباطن ، لكن لا عن بصيرة ، ولنضرب لك مثلاً في هذا المقام ، فاستمع وطبّق عليه المرام .

فنقول - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - : إنّ العوامّ - مـــثلاً- لا يعـــرفون أنّ كلّ شيء مثلّث الكيان ، ومربّع الكيفيّة ، فذلك ســـبعة، والشيء لا يؤثّر في مرتبة ذاته ، لأنّه فيها هو ، وإذا أراد أن يفعل شيئاً يتنـــزّل[1] في مقام الفعل ، الذي في رتبة المفعول ، ولاشكّ أنّ الآحاد إذا تنـــزّلت مرتبة واحدة تكون العشرات ، فتصير السبعة سبعين ، فالشيء أقوى من أثره بسبعين مرتبة ، فالعلّة أقوى من معلولها بسبعين درجة .

---

(١) في (ح) : ينـــزل .

فالعوام لمّا لم تكن لهم تلك الدقّة قالوا عليهم السلام : (**إنّ الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الستر**)[١] .

ويقولون : إنّ لذّة الجنّة أكثر وأقوى من لذّة الدنيا بسبعين مرتبة[٢]، وذلك كثيرة جداً ، بل لا ترى شيئاً من كلامهم إلّا هكذا ، فكلّ ظاهر له باطن ، لكن لا يخالفه .

ومن هنا تعرف بطلان أقوال الذين أوّلوا القرآن بما يخالف ظاهره ، وقال في قوله تعالى : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾[٣] بالجبت والطاغوت ، ولا يريدون سوى الحق المعبود .

﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾[٤] فلا يعرفون إلّا الحق ، ولا يفهمون /م١٤ إلّا الله ، ﴿ **وَعَلَى سَمْعِهِمْ** ﴾ فلا يسمعون إلّا صوت الله عزّ وجلّ ،

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ٩٨/١ ، ك التوحيد ، ب في إبطال الرؤية /٧ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ١٠٨ ، ب ما جاء في الرؤية /٣ . الفصول المهمة في أصول الأئمة ، الحر العاملي : ١٧٩/١ ، ب١٩ أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر .../٣ .

(٢) لقد ورد ذلك في النار ، انظر : كتاب الزهد ، الكوفي : ١٠١ ، ب أحاديث الجنة والنار / ٢٧٥ . تفسير القمي ، القمي : ٣٦٦/١ ، سورة الرعد ، آية : ٣٥ . مسند زيد ، زيد بن علي : ٤١٦ ، ك الفرائض ، باب .

(٣) سورة البقرة : ٦ .

(٤) سورة البقرة : ٧ .

﴿ **وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ** ﴾ ، فلا يرون إلّا نور الله .

﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ قال : إنّه مشتقّ من العذب ، وهو الحلاوة واللّذة ، نعم لهم في الخلوة مع محبوبهم لذّة ، لا يعادلها شيء من لذّات الدنيا والآخرة[1] .

وأمثال ذلك من التأويلات ، وكلّ ذلك يخالف ظاهر الآية ، وينافي مراد الله ﷻ ، ونحن من ذلك الباطن وأهله براء ، ببراءة الله ورسوله منه ، فافهم .

---

(١) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٩٤ .

[الشرط الثاني : أن لا يخالف العقول السليمة] :

ومنها : ألّا يخالف العقول السليمة ، فإنّ العقول من أظلّة عقل النبي ﷺ ، وأشعّته ، والشعاع لا يخالف المنير ، وفيه تفصيل ، ذكرناه في كتابنا[1] مقامات العارفين ، فلترجع إليه ، لتعرف حق المراد ، ولا تنظر إلى ظاهر الكلام ، فإنّ غلط العقل ليس من المنير ، بل من القابليّة ، فافهم ، فإنّا قد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب .

[الشرط الثالث : أن لا يخالف الآفاق والأنفس]

ومنها : ألّا يخالف العالم من الآفاق والأنفس ، فإنّه صفة تعرّف الحق للخلق بالتكوين ، والقرآن صفة تعرّف الحق[2] للخلق بالتدوين ، والكتاب التدويني لا يخالف الكتاب التكويني ، فإذا وجدت المخالفة ، فاعلم أنّ ما فهمت ضلّة من عقلك ، وسفه من رأيك ، ما أصبت الحق البتّة .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) لم ترد في (ح) .

[الشرط الرابع : ألّا يخالف الأحاديث الشريفة]

ومنها : ألّا يخالف الأحاديث والروايات ، فإنّ أهل البيت عليهم السلام ما قصّروا في التبليغ والأداء ، وذكروا كلّ ما يحتمله الناس ، بجميع أقسامهم ، من البواطن والأسرار ، فنبّهوا على البواطن في مواضع بالتصريح، وفي الأخرى بالإشارة ، وفي الأخرى بالتلويح ، ولذا ورد في الحديث أنّه (**ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنّة**)[1] .

إيّاك إيّاك وأن تأوّل القرآن ، أو تكلّم فيه بحسب الباطن ، وليس لك سند /ح ٧ من الحديث والرواية ، لأنك جاهل ، لا تعلم القرآن ، ولا تفهم[2] الآيات ، فإنّ التفسير بالرأي - أي بما لم يكن له سند من الحديث - من قبيل الهذيان والزندقة ، لا يصغى إليه .

فلو اتّفق أنّ الرجل تكلّم بالباطن بدون السند ، وبعد ذلك وجد السند ، فقد أخطأ ، يعذّبه الله تعالى على ذلك ، أو يعفو عنه ، فإنّه ذو

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ١/٥٩ ، ك فضل العلم ، ب الرد إلى الكتاب والسنة ... /٤ . الفصول المهمة في أصول الأئمة ، الحر العاملي : ١/٤٨٠ ، أبواب الكليات المتعلقة بأصول الفقه ... ، ب ٧ أن كل واقعة تحتاج إليها الأمة لها حكم شرعي ... /١ ، بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢/٣٠٤ ، ك العلم ، ب ٣٤ البدع والرأي والمقاييس /٤٨ .

(٢) في (ح) : تعلم .

الفضل العظيم ، والمنّ الجسيم ، لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، اللهّمّ صلّ على محمّد وآل محمّد .

والسند لا ينحصر بالتصريح في كل موضع ، والتخصيص /م ١٥ في كلّ مطلب ، بل تكفي العمومات ، والإشارات ، والتلويحات ، وأمثال ذلك ، بل أقول : إذا تأمّل الإنسان ، وتدبّر في القرآن، والأحاديث ، رأى الأشـــياء كلّها مصرّحة مفصّلة ، كيف يقول الحق سبحانه : ﴿ **وَتَفْصِيلاً لِكُـــلِّ شَـــيْءٍ** ﴾[1] وهو مجمل ، والله سبحانه أصدق القائلين ، [﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾[2]][3] ، ولكن نحن كما قال الشاعر نقول[4] :

چـــو نيست بينش به[5] ديده دل	رخ أر نمـــايد تراچه حاصل
كه هست يكسان به چشم كوران	جـــه نقش پنهان چه آشكارا

وإذا رعيـــت هذه الشروط ، أصبت الحق ، ووصلت إلى مطلوبك ومقصـــودك ، هذا هو الباب الذي أمر الله تعالى عباده أن يأتوا منه ، قال

---

(١) الأعراف : ١٤٥ .

(٢) النساء : ١٢٢ .

(٣) لم ترد في (ح) و (ل) .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) في (ح) بد .

تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾[1] ، فافهم ، فهّمك الله .

[النسب بين التفاسير]

وأمّا النسب التي بين هذه التفاسير :

[أ- النسبة بين التأويل والباطن] :

فاعـــلم : أنّ التأويل والباطن بينهما تساوٍ كلّي ، أي يصدق كلّ منهما على جميع ما يصدق عليه الآخر ، هذا إذا أردنا بالباطن والتأويل ما يخـــالف الظاهر ، وبينهما تباين كلّي على المعنى الذي ذكرنا لك في هذا المقام .

وبيـــنهما عمـــوم وخصوص من وجه على المعنى الثاني للتأويل ، لتصـــادقهما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى ﴾ : وهو العقل الناظر إلى نور ربه سبحانه ، ﴿ لِقَوْمِهِ ﴾ الموكلين بالخيرات والحسنات والأنوار المتشعشعة من نور الأعمال الصالحات .

﴿ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكـــاً ﴾ متصـــرّفين ، ومدبّرين في العالم ، في الأبدان ، كيف شاء الله

---

(١) البقرة : ١٨٩ .

سبحانه وتعالى ، ﴿ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1] : من القوة والشوكة ، والفضل العظيم ، والنور الجسيم[2] .

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[3] ، والأرض المقدّسة : هي أرض النفوس قبل تصفيتها ، وإزالة أوساخها من المعاصي ، بمعنى[4] إذا كانت النفس أمّارة بالسوء ، أو لوّامة[5]، قبل أن تصل إلى مقام الاطمئنان.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾[6] : وهي المعاصي والسيّئات ، والشهوات النفسانيّة ، والعلائق الجسمانيّة .

و ﴿ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ : لأنّ النور لا يدخل في مقام الظلمة إلاّ وذهبت ، فلا يجتمع النور والظلمة في موضع واحد .

﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ ﴾ : أيّها /م ١٦ العقل .

﴿ وربّك ﴾ : أي مربّيك ، وممدّك ، الذي هو الوجود .

---

(١) المائدة : ٢٠ .

(٢) في (ح) : والفضل الجسيم والنور العظيم .

(٣) المائدة : ٢١ .

(٤) لم ترد في (م) .

(٥) في (م) : أو ملهمة أو لوامة .

(٦) المائدة : ٢٢ .

﴿ فقاتلا ﴾ أي طهّرا تلك الأوساخ والكثافات[1] .

﴿ إِنَّـــا هَاهُـــنَا قَاعِدُونَ ﴾[2] : نحن في مكاننا لا نقدر أن ندخل عليهم ، إلاّ إذا ذهبتما ، وطهّرتما .

﴿ قَـــالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ﴾ : وهما[3] يوشـــع بـــن نون ، وكالب[4] بن يوحنّا[5] ، أي تأثير فلك زحل ، وفلك المشتري ، أو بالعكس .

﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[6] ، فالإنسان إذا عمل بعلمه تنوّر[7] ، وكلّما يعمـــل يزداد نوره ، إلى أن تصل نفسه إلى مقام الاطمئنان ، فإذاً[8] تصير صالحة لدخول الأنوار ، المشرقة من شمس الوجود ، وتصير منبراً للملائكة، هذا في الإنسان الصغير .

---

(١) في (ح) : الكثافة .

(٢) المائدة : ٢٤ .

(٣) الاختصاص ، المفيد : ٢٦٥ . تفسير العياشي ، العياشي : ٣٠٣/١ ، سورة المائدة /٦٨ . تفسير مجمع البيان ، الطبرسي : ٣١١/٣ ، سورة المائدة : ٢٣ .

(٤) في (ح) : ظالب .

(٥) في المصادر : كالب بن يوفنا .

(٦) المائدة : ٢٣ .

(٧) في (ح) : بعمله يتنور .

(٨) في (ح) : وإنما .

وأمّا في الإنسان الوسيط ، فكذلك أيضاً ، وهذه الآيات تأوّل إليه، وموسى في ذلك العالم إشارة إلى الصبغ الأحمر ، المأخوذ من الثفل في الآخر ، بعد ما تصبّ الماء الرقيق الأولي عليه فيخرج موسى ، وإنّما سمّوه موسى لأنّه مادّة أكسير الأحمر ، وهو الشمس ، وهي النبوّة ، لأنّ الذهب إنّما يتكوّن بنظر الشمس ، فيشيرون بالشمس إلى النبوّة ، وبالقمر إلى الولاية ، ويشيرون بالشمس في ذلك العالم إلى الأحمر ، أي الصبغ الأحمر الشرقي ، وبالقمر إلى الأبيض الغربي ، وهو الماء ، أشبه الأشياء بالزئبق في الغلظ والبياض ، لأنّ طبعه بارد رطب طبع القمر وفلكه ، سيما جوزهرّه، وهو يوشع بن نون ، وهو الذي يدخل في الأرض المقدّسة ، التي هي الثفل، ويطهّرها ، ويجعلها صالحة لدخول أقوام موسى ، وهي المياه المأخوذة من الماء ، بعد إتمام الأنفحة .

فافهم من هذه الكلمات تأويل هذه الآيات في هذا العالم [١] ، والتفصيل لا يناسب المقام .

وفي هذه الآيات اجتمع الباطن والتأويل ، أمّا الباطن : فمن جهة مراعاة الظاهر حرفاً بحرف ، وقصد معنى غير ما يعرفه أهل الظاهر ، وأمّا التأويل : فمن جهة أنّها مؤوّلة بالإنسان الصغير والوسيط .

---

(١) في (ح) : هذه العوالم .

ويفارق التأويل في قوله تعالى : ﴿ **يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ** ﴾[1] إذا أريد بها الإنسان الصغير والوسيط ، كما لا يخفى .

ويفارق الباطن في قـوله تعالى : ﴿ **حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[2] .

وبـيان باطن هذه الكلمات لا يحسن في هذا المقام ، فافهم ، وكن به ضنيناً /م ١٧ .

وكـذا بـين الـتأويل بـالمعنى الثالث والباطن عموم من وجه ، لتصـادقهما في قـوله تعالى : ﴿ **الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[3] الآيات .

ويفـارق الباطن في قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا**

---

(١) النساء : ١٣٠ .

(٢) الدخان : ١-٤ .

(٣) البقرة : ١-٥ .

كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[١] .

إذا أردت بالمشكاة الجسد /ح ٨ ، المشبّك بشباك الحواس ، الذي يخرج نور العقل من خلالها ، وبالمصباح هو العقل ، والزجاجة هو القلب ، والشجرة المباركة هي الحقيقة المحمّديّة صلوات الله عليه وآله[٢] البرزخيّة الكبرى[٣] .

﴿ لا شرقيّة ﴾ : لا قديمة لحدوثها .

﴿ ولا غربيّة ﴾ : لا حادثة ، لأن حدوثها بنفسها[٤] ، فهي فاعلة، ومفعولة الكاف المستديرة على نفسها[٥] .

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ : [قابليتها ، أي العقل][٦] .

﴿ يُضِيءُ ﴾ : [يظهر في الوجود][٧] .

---

(١) النور : ٣٥ .

(٢) المزار ، الشيخ المفيد : ١٥ ، ب ٥ فضل الفرات /٥ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٧ /٢٢٩ ، أبـواب زيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ... ، ب١ فضل النجف وماء الفرات /١٣ .

(٣) الرسالة التوبلية (جوامع الكلم) ، الشيخ الأحسائي : ٢٥/١ ، القسم الثاني .

(٤) في (ح) : بها بنفسها .

(٥) في (ح) : بنفسها .

(٦) لم ترد في (ح) .

(٧) لم ترد في (ح) .

﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ المشيئة ، فالمصباح مركّب من مسّ النار والقابليّة التي هي الزيت ، ومسّ المشيئة هو الوجود ، الذي هو جوهر العقل .

ولك أن تجعل هذه الآية الشريفة مادّة الاجتماع ، ومحلّ التصادق ، إذا أردت منها التأويل المذكور في الأحاديث المعنيّ من ﴿ الم ﴾ ، فافهم ، فتّش تجد إن شاء الله تعالى .

ويفارق التأويل في قوله تعالى : ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ إذا أردت منها ما في الحديث[1] .

واعلم أنّ للباطن عندنا إطلاق آخر ، وهو المعنى الثالث للتأويل ، حيث ما يطلق الباطن نريد به هذا المعنى ، وحيث ما يطلق التأويل نريد به المعنى الثاني له ، فإذاً تنقلب النسبة ، فاستخرج من الذي ذكرنا لك نسبة معاني التأويل بعضها مع بعض ، ونسبة الباطن بالمعنى المذكور آنفاً[2] مع معاني التأويل ، فإنّ بالبيان يطول الكلام ، ولسنا بصدده .

---

(١) سبق تخريجه : ١٢٦/١ .

(٢) في (ح) : سابقاً .

[النسبة بين التأويل وظاهر الظاهر والباطن وباطن الباطن] :

والنسبة بين التأويل وظاهر الظاهر التباين ، والنسبة بين الباطن وباطن الباطن نسبة الظاهر إلى الباطن ، وإن شئت قلت التباين ، وإن شئت قلت التساوي ، والضدان يجتمعان فيه ، لكن لا في موضع واحد ، بل في موضعين ، كما لا يخفى على الفطن العارف .

والنسبة بين التأويل وباطن الباطن كالنسبة بين التأويل والباطن ، لأنّه يشترط /م ١٨ في باطن الباطن مراعاة الظاهر ، كما في الباطن البتّة[١]، فتتّحد النسبة من هذه الجهة[٢] ، وتختلف بالتساوي ، والتباين من جهة الظاهر والباطن .

وقولنا : التساوي ، مسامحة ، لأنّ بين الظاهر والباطن المشابهة والمناسبة ، لأنّ الروح[٣] لها علاقة مع البدن الذي تعلّق به ، غير ما كان للبدن الآخر ، ولذا يجيبون بالمحال في المسألة[٤] المشهورة .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) لم ترد في (ح) .

وأمّـــا التباين فمن جهة أنّه المجرّد ، وهو المادّي ، ولا يصدق المجرّد على ما يصدق عليه المادّي[1] ، لأنّه الشريف ، وذلك الكثيف ، وليس بين الشريف والكثيف إلاّ التباين الكلّي .

فافهم ، واغتنم ، وكن من الشاكرين ، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين .

والآن ، وقـــت الشروع في المقصود ، لكن قبل الشروع لا بدّ من مقدّمة مهمّة ، وهي :

---

(١) في (ح) : لا يصدق المادي على المجرد .

[أهمية علم الحروف
في فهم القرآن الكريم]

إنّ القرآن كما عرفت رمز ، وإشارة ، وتلويح على أنحاء مختلفة ، وأطوار متعدّدة ، سيّما على وفق علم الحروف ، فإنّ الله سبحانه أجرى كلامه على ترتيب حروف لها دلالات على مطالب ومراتب .

مثلاً : في ترتيب الحروف وتقديم بعضها على بعض ، [وتأخير بعضها عن بعض][1] ، دلالة على أمر عظيم قد خفي على كثير من الأفهام والعقول ، وكذا في إيراد الحروف المخصوصة ، كالألف ، واللام ، والهاء ، مثلاً ، دون غيرها من الحروف دلالة على شيء .

وكذا في إيراد الحروف الناريّة في الكلمة الواحدة ، أو تكثيرها فيها، وتقليلها فيها ، وكذا في الحروف الهوائيّة ، والمائية ، والترابيّة ، وتكثيرها وتقليلها في الكلمة الواحدة ، وكذا في الحروف النورانيّة والظلمانيّة ، وكذا في الحروف الجبروتيّة والملكوتيّة والملكية[2] ، وكذا إذا أشار بالحروف الجبروتيّة إلى الذوات الملكيّة ، وبالحروف الملكيّة[3] إلى

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) في (ح) ، الملكوتية .

الــذوات الجــبروتيّة ، وكذا إذا حذف حرف أو أدغم في آخر ، أو قدّر بعضها مع إرادها ، وتبديل بعض الحروف ببعض ، وأمثال ذلك .

وفي كـــلّ هذه الأمور إشارة خفيّة ، إلى مطلب عظيم ، وخطب جسيم ، ومن رأى حديث أبي لبيد المخزومي(٤) يظهر له حقيقة الأمر .

يعــرف العارفون من هذا الترتيب أموراً ، وأوضاعاً /م ١٩ بتعليم أئمّــتهم عليهم السلام ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

[قواعد في علم الحروف] :

ولّمــا بلــغ الكلام إلى هذا المقام ، فلا بأس علينا أن نذكر بعض القواعــد في علم الحروف ، ليكون الناظر في هذه الأوراق على بصيرة من أمره .

فنقول - [ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم](٥) - :

---

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٠٦/٥٢ ، ب ٢١ التمحيص والنهي عن التوقيت ... / ١٣ . تفســير العياشي ، العياشي : ٣/٢ ، سورة الأعراف /٣ . التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٩٠/١ ، سورة البقرة ، آية : ١.

(٥) في (ح) : بقوة الله .

[الحروف والعوالم] :

إنّ عالم الحروف عالم مثل عالم الذوات ، حرفاً بحرف ، كما إنّ في الأكوان جبروت وملكوت وملك ، كذا في الحروف أيضاً :

جبروت : وهو الهمزة والهاء ، والعين والغين[٦] ، والحاء والخاء .

وملكــوت : وهو الجيم والدال ، والزاء والطاء ، والياء والكاف ، واللام والسين ، والصاد والقاف ، والراء والشين .

وملـــك : وهو الباء والواو ، والميم والفاء ، والنون والثاء ، والذال والضاد ، والظاء والتاء .

[الحروف والنور والظلمة] :

وكمـــا أن في الأكـــوان نور وظلمة ، [كذلك في الحروف أيضاً نورانيّة وظلمانيّة][٧] ، والحروف النورانيّة أربعة عشر ، وهي المذكورة في فواتــح السور ، إذا حذفت المكرّر ، وهو الصاد والراء ، والألف والطاء ، والعين واللام ، والياء والحاء ، والقاف والنون ، والميم والسين ، والكاف والهاء ، والبواقي ظلمانيّة .

---

(٦) لم ترد في (ح) .

(٧) في (ح) : ونورانية وظلمانية كذلك في الحروف أيضاً .

[الحروف ومنازل القمر] :

وهي بإزاء منازل القمر الثمانية والعشرين ، أربعة عشر منها نورانيّة أبـــداً ، وأربعة عشر منها ظلمانيّة أبداً ، وهذه الأربعة عشر النورانيّة بإزاء اسم الله الوهّاب والجواد ، منها يفيض إلى العوالم السفليّة ، وهذه الحروف لها تأثير كتأثيرها ، من له اطلاع في علم الجفر يعلم كيفيّة العمل .

[الحروف والعناصر الأربعة] :

وكمـــا أنّ في الأكوان عناصر أربعة بسائط ، وكذا في الحروف ، فإنّهـــا تنقســـم إلى هـــذه الأقسام الأربعة : الناريّة ، والهوائيّة ، والمائيّة ، والترابيّة ، على هذه الترتيب[٨] :

النارية	حمل	أسد	قوس	أ	هـ	ط	م	ف	ش	ذ
الهوائية	جوزا	ميزان	دلو	ب	و	ي	ن	ص	ت	ض
المائية	سرطان	عقرب	حوت	ج	ز	ك	س	ق	ث	ظ
الترابية	ثور	سنبلة	جدي	د	ح	ل	ع	ر	خ	غ

(٨) في (ح) المائية مقدمة على الهوائية .

/م ٢٠ تدبـــر ، فافهم ، واضبط هذه القواعد ، فإنّها تنفعك كثيراً فيما سيأتي ، والكلام في الحروف طويل الذيل ، لكنّا اختصرنا /ح ٩ بقدر الحاجة ، والآن أوان الشروع في المرام ، بإعانة الله الملك العلاّم ، فأقول – ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم – :

[تفسير قوله تعالى : ﴿ اللهُ ﴾]

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اللهُ ﴾ .

اعــلم أنّ هــذه الكــلمة الشريفة ، قد تشوّشت فيها الأفهام ، واضطربت فيها الأحلام[1] والأوهام ، في لفظها ، والمعنى المراد منها ، وقد كتبوا في هذا الباب رسائلاً وكتباً .

أمّــا أهــل الظاهــر : فتكلّموا في لفظها ، هل هو عربيّ ؟ ، أم عــبريّ[2]؟ ، أم سريانيّ[3] ؟ ، وهل هو عَلَم ؟ ، أو صفة[4] ؟ ، وهل هو

---

(١) في (ل) : العقول .

(٢) في (ح) : عبراني أو عربي .

(٣) تفســير كتر الدقائق ، المشهدي : ٣٨/١ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٤ . تفسير الرازي ، الرازي : ١٦٩/١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٢٦/٤ .

(٤) التبيان ، الطوسي : ٢٧/١ . الجامع ، القرطبي : ١٠٢/١ . تفسير كتر الدقائق : ٣٧/١ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٥ . تفسير الرازي ، الرازي : ١٦٢/١ .

مشـــتقّ أو جامد[١] ؟ ، وهل هو كلّي أو جزئيّ[٢] ؟ ، وأمثال ذلك ، من الأمور الظاهريّة ، المتعلّقة بالألفاظ والنقوش[٣] .

وأمّـــا أهل الباطن : فتكلّموا في المعنى المراد منها ، هل هو الاسم الأعظـــم ؟ ، أم لا[٤] ؟ ، وهـــل هـــو بإزاء الذات ؟ ، أم لا[٥] ؟ ، وهل الحـــروف الـــتي فـــيها إشارة إلى أيّ شيء[٦] ؟ ، وأمثال ذلك من الأمور الباطنيّة ، المخفيّة على أهل الظاهر .

والفقـــير الحقير ، المعترف بالقصور والتقصير ، أذكر – بعون الله تعالى ، وحسن توفيقه – في مقام الظاهر ، تحقيقاً شريفاً ، دقيقاً أنيقاً ، ممّا أفاضـــه الله تعالى على عبده المسكين المحتاج ، المفتقر إلى الله ، يقول العالم

---

(١) العين ، الفراهيدي : ٩١/٤ ، (أله) . التبيان ، الطوسي : ٢٧/١ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٥ . معاني القرآن ، النحاس : ٥٢/١ .

(٢) روض الجنان ، الشهيد الثاني : ٣ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٦ .

(٣) رســـالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٦ . الجامع ، القرطبي : ١٠١/١ . تفسير الرازي ، الرازي : ١٦٢/١ .

(٤) تفســـير كنز الدقائق ، المشهدي : ٣٩/١ . الجامع ، القرطبي : ١٠٢/١ . تفسير الرازي ، الرازي : ١٢٣/١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٣١/٤ .

(٥) تفســـير كنز الدقائق ، المشهدي : ٣٧/١ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٥ . تفسير القـــرآن الكـــريم ، الشيرازي : ٣١/٤ . تفسير سورة التوحيد (مجموعة رسائل فلسفية) ، الشيرازي : ٤٤١ .

(٦) تفسير كنـــز الدقائق ، المشهدي : ٤٢/١ .

عليه‌السلام في الدعـــاء : (**كيف أستعزّ وفي الذلّ أركزتني ، وكيف لا أستعزّ وإلـــيك نسبتني**)[١] ليظهر أنّ هذا اللفظ المقدّس علم أو صفة ، كلّي أو جزئيّ ، ثمّ أتكلّم في الباطن ، إن شاء الله تعالى .

فأقول - ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم - :

---

(١) إقبال الأعمال ، الحسني (الطبعة الحجرية) : ٣٥٠ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٥/ ٢٢٧ ، أبـــواب أعمـــال السنين والشهور ، أبواب ما يتعلق بشهر ذي الحجة ... ، ب٢ أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها ... /٣ .



[لفظ الجلالة ومقام الظاهر]

[لفظ الجلالة
هل هو علم أم صفة وهل هو كلي أم جزئي]

فأقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

إنّ الــذي يقول إنّه علم[١] يريد به أنّ هذا اللفظ إنّما وضع للذات المقدّسة أوّلاً وبالذات ، مثل زيد ، للشخص المعيّن .

والــذي يقول إنّه صفة كلّي[٢] يريد به أنّه موضوع لمفهوم كلّي ، هــذه الذات المقدّسة أحد أفرادها ، بحيث لو وجد فرد آخر لاستحقّ هذا الاســم ، لكنّه كلّي منحصر في الفرد ، مثل القادر والعالم ، لمن له القدرة والعلم ، وهــو كلّي ، شامل لجميع أفــراده ، والله أيضاً لمن له الألوهيّة ، وهــو أيضاً كلّي عامّ ، شامل لجميع الأفراد ، لكن لمّا لم يوجد من له هذه الصفة ، اختصّ الحقّ به .

---

(١) سبق تخريجه : ١٦١/١ .

(٢) سبق تخريجه : ١٦٢/١ .

[الألفاظ موضوعة بإزاء المصداق الخارجي] :

وتصـــديق هـــذا الكلام ، يحتاج إلى معرفة قاعدة كلّيّة ، وهي أن الألفـــاظ هل هي /م ٢١ موضوعة بإزاء المفهوم الذهني(١) ؟ ، أو المصداق الخارجي ؟ ، [أو موضوعة بإزاء](٢) الماهيّة لا بشرط ؟ .

لا سبيل إلى الأوّل ، لأنّ المفهوم الذهني ظلّ للمصداق الخارجي ، كما برهنّا عليه في كثير من رسائلنا ومباحثاتنا(٣) ، فإذا كان كذلك يلزم أن يكون اللفظ المستعمل في الذات مجازاً ، وفي الظلّ حقيقة ، لأنّه إذا كان موضوعاً للأمر الذهني ، كان الاستعمال فيه استعمال اللفظ فيما وضع له ، ولا نعـــني بالحقـــيقة إلاّ هذا ، واستعماله في الأمر الخارجي استعماله في خلاف ما وضع له ، وهو المجاز ، ولا يجوّزه جاهل فضلاً عن فاضل .

وكذا لا سبيل إلى أنّ اللفظ موضوع بإزاء الماهيّة لا بشرط ، لأنّ معـــناه : أنّ الماهيّة غير مقيّدة بكونها في الذهن ، أو في الخارج ، والاسم للماهيّة المعرّاة عن جميع المشخّصات الخارجيّة والذهنيّة .

---

(١) تفســير الــرازي ، الرازي : ٣١/١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٣٢/٤ . تحرير القواعد المنطقية ، الرازي : ٤٤ .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) رســالة الميرزا محمد باقر البهبهاني (مجموعة رسائل) ، السيد الرشتي : ٣٤٧/٢ . رسالة السيد علي (مجموعة رسائل) ، السيد الرشتي : ٧٢/١ .

وهـــذا الكلام مبنيّ على أنّ الماهيّة الموجودة الخارجيّة هي الموجودة في الذهـــن ، بالمشخّصـــات الذهنيّة[1] أم لا ، بل الموجودة في الذهن هي الصـــورة ، والشـــبح ، والظـــلّ للأمر الخارجي[2] ، لا سبيل إلى الأوّل ، للـــبراهين القطعـــيّة العقلـــيّة المذكورة في محلّه ، فيتحقق الثاني ، فإذا كان كذلـــك، فـــلا طريق لهذا القول ، كما لا يخفى على العاقل ، العارف ، الفطن .

فـــإذا عرفت فساد هذين القولين ، فاعلم أنّ الحقّ هو الثاني ، وهو أنّ الألفـــاظ موضوعة بإزاء الأمر الخارجي ، ويطلق على الوجود الذهني عـــلى سبيل الظلّ والرسم ، يعني يطلق على الذات أوّلاً وبالذات ، وعلى الصـــورة والشـــبح ثانياً وبالعرض ، لا بالاشتراك المعنوي ، بل الاشتراك اللفظي ، كما نبيّن لك[3] إن شاء الله تعالى ، ولا قوّة إلاّ بالله .

---

(١) غايـــة المـــأمول في شرح زبدة الأصول ، الكاظمي : ٢٦ . شرح المنظومة ، السبزواري : ١٢٢ . درر الفوائد ، الآملي : ١/٩٤ .

(٢) الأســـفار ، الشيرازي : ١/٣١٤ . شرح الفوائد ، الشيخ الأوحد : ١٨٨ ، الفائدة ١٠ . شرح العرشية ، الشيخ الأوحد : ٣/٢٩٥ .

(٣) انظر : ١/١٧٢ .

وتصـــديق ذلك ، ما روي في الحديث : (**يا هشام ، الخبز اسم للمأكول ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس**)[1] الحديث، وهذا صريح في المراد .

[أسماء الله تعالى والاشتراك اللفظي والمعنوي] :

فـــإذا فهمـــت هـــذه المقدّمـــة - أنّ الموضوع له اللفظ هو الأمر الخـــارجي- فاعلم أنّ الأسامي التي تطلق على الله سبحانه ، وعلى غيره ، هـــل هو من قبيل الاشتراك اللفظي[2] ، أو المعنوي[3] ؟ ، مثل : القادر ، والعالم ، والموجود ، وأمثال ذلك .

---

(١) الكـــافي ، الشـــيخ الكلـــيني : ١/١١٤ ، ك التوحيد ، ب معاني الأسماء واشتقاقها /٢ . التوحـــيد، الشيخ الصدوق : ٢٢١ ، ب٢٩ أسماء الله تعالى .../١٣ . الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ٧٢/٢ ، احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام .

(٢) مـــناهج المتقين ، الحلي : ١٠ . إرشاد الطالبين ، السيوري : ٣٨ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٣٩/١ .

(٣) نهاية المرام ، الحلي : ٣٠/١ . شرح المواقف ، الجرجاني : ٢٣٣/١ . الأسفار ، الشيرازي : ٧٧/١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٣٩/١ .

والمراد بالاشتراك المعنوي[١] : هو أن يكون اللفظ موضوعاً لحقيقة واحدة ، سارية في حقائق مختلفة ، بحيث يكون إطلاق /م ٢٢ اللفظ على الأمور المختلفة بمعنى واحد .

مثل : الحيوان ، فإنّه موضوع لحقيقة واحدة ، سارية في الإنسان ، والفرس ، والبقر ، والغنم ، وأمثال ذلك ، بحيث يكون صدق الحيوانيّة على الجميع بمعنى واحد على الظاهر ، هذا هو الاشتراك المعنوي .

وهل الأسامي التي تطلق على الله تعالى من هذا القبيل ؟ ، أم لا ؟ .

لا سبيل إلى الأوّل ، لأنّ الحقيقة الواحدة لا تجمع بين الحق والخلق، والواجب والممكن ، وإلاّ يلزم المشابهة ، ويلزم أن يكون الحق والخلق في صقع واحد ، وينقلب الممكن إلى الواجب ، والواجب إلى الممكن ، ويلزم المناسبة والمشابهة ، والتركيب من ما به الاشتراك ، وما به الامتياز ، وأن يكون للحق والخلق حال واحد ، وهذا لا يجوّزه أحد من العقلاء .

وأمّا القول بأنّ الاشتراك في المفهوم ، لا في المصداق ، فقول زور ، وتوهّم كاسد ، يقوله من لم يعرف حقيقة الأمر ، ولم يشاهد المطلوب إلاّ أنّ الحكماء العلماء عليهم السلام لمّا تكلّموا بشيء من باب الرموز والأسرار ، أخذوا ظاهر الكلام ، وما عرفوا المرام ، فكانوا كما قال الشاعر :

قد يطرب القمري أسماعنا   ونحن لا نفهم ألحانه

---

(١) شرح المواقف ، الجرجاني : ١/٢٣٣ . إرشاد الطالبين ، السيوري : ٣٧ .

فظهر لك من هذا البيان أنّ القول بالاشتراك المعنوي في الألفاظ ، التي تطلق على الله وعلى الخلق ، باطل ، فيكون الاشتراك لفظياً ، لفقدان الجهة الجامعة ، وهذا الكلام يجري في جميع الأسماء والصفات ، التي تطلق على الله /ح ١٠ تعالى ، لا اختصاص له بالوجود وحده ، وقد ملأ العلماء كتبهم من أنّ الوجود هل هو مشترك لفظيّ ، أو معنويّ[(١)] ؟ ، هذا ظاهر القول .

وأمّا حقيقة الأمر : فاعلم أنّ الله سبحانه هو الذات البحت ، والمجهول المطلق ، والذات الساذج ، وذات بلا اعتبار ، والكنز المخفي ، وشمس الأزل ، ومجهول النعت ، لا يُعلم كنه ذاته ، ولا يُدرى حقيقة صفاته ، وهو على ما هو عليه في عزّ صفاته ، لا يعلم كيف هو إلاّ هو ، (**الطريق مسدود ، والطلب مردود**)[(٢)] ، فلا اسم له ، ولا رسم له ؛ لأنّ في الاسم اعتبار المسمّى ، وهو ينافي كونه ذاتاً بحتاً ، ولأن الاسم إنّما وضع ليعرف المسمّى به ، والمجهول المطلق لا يعرف ، فلا اسم .

فهذه الأسماء التي تطلق عليه تعالى باعتبار /م ٢٣ ظهوراته ، وتجلّياته في مرايا القوابل والاستعدادات ، فبكلّ ظهور ظهر اسم من

---

(١) مناهج المتقين ، الحلي : ١٠ . إرشاد الطالبين ، السيوري : ٣٨ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ١/٣٩ . نهاية المرام ، الحلي : ١/٣٠ . شرح المواقف ، الجرجاني : ١/٢٣٣ . الأسفار ، الشيرازي : ١/٧٧ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ١/٣٩ .

(٢) مجموعة الرسائل (رسالة ملي) ، الخطبة اليتيمية : ١٥٤ .

الأسماء، وبكلّ تجلّ ظهرت صفة من الصفات ، فالاسم للظهور ، والصفة للتجلّي .

مثلاً : لّما ظهر بالألوهيّة سمّي بالله ، فالله اسم لجهة ظهوره بالألوهيّة ، ولّما ظهر بالرحمة الواسعة سمّي بالرحمن ، ولّما ظهر بالرحمة المكتوبة سمّي بالرحيم ، ولّما ظهر بالقدرة سمّي بالقادر ، ولّما ظهر بالعلم سمّي بالعالم ، ولّما ظهر بالحياة سمّي بالحي ، وأمثال ذلك .

وهذه الأسماء أسماء أفعال ، لا مدخليّة لها بالذات تعالى وتقدس ؛ لأنّ مقام الذات ليس مقام الصفة والاسم ، (**كمال التوحيد نفي الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة على أنّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف على أنّه غير الصفة ، وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث**)[1] .

وهذه الأسماء تختلف باختلاف الظهورات ، فعموم الظهور يستلزم خصوص الاسم ، مثل الله والرحمن ، لأنّهما الجامعان لجميع لأسماء والصفات ، إلاّ أنّ الرحمن أنزل من الله بمرتبة ، لأنّ الظهور بالرحمة الواسعة أخصّ من الظهور بالألوهيّة ، فأوّل ظهوره بالألوهيّة ، وقد ملأ جميع

(١) انظر : التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٣٥ ، ب٢ ، ب التوحيد ونفي التشبيه /١ . الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ١٧٤/٢ ، خطبة الإمام الرضا عليه‌السلام في التوحيد في مجلس المأمون . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٢٨/٤ ، ك التوحيد ، أبواب أسمائه تعالى وحقائقها وصفاتها ومعانيها ، ب٤ ، جوامع التوحيد /٣ .

الممكـــنات والموجودات ، ثمّ ظهر بهذا الظهور بالرحمانيّة ، أي الرحمة التي وســـعت كـــلّ شـــيء ، ولذا لا يجوز إطلاق الله والرحمن على غير الحق سبحـــانه ، لأنّ الظلّ لا يكـــون له هذا الظهور الكلّي ، ليكون له هذان الاسمان بالتبعيّة .

وخصوص الظهور يستلزم عموم الاسم ، مثل ما قال لعيسى عليه السلام ﴿ **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُــبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي** ﴾[1] ، ولا يجوز إطلاق هذه الأسامي ، التي تطلق على الله سبحانه على غيره بذلك المعنى ؛ لعدم الجهة الجامعة لما قلـــنا لك ، من[2] أنّ الله سبحانه كان قادراً ، وعالماً ، وسميعاً ، وبصيراً ، وسائر الصفات الكماليّة ، قبل أن يخلق الخلق ، ويوجد الموجودات ، فأين الحقـــيقة الواحـــدة الجامعة ، فالإطلاق بالاشتراك اللفظي مثل ما أنّك إذا سمّيت الجدار خالقاً ، عالماً ، سميعاً بصيراً .

وأمّـــا الـــنقض بيا أرحم الراحمين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا خير الـــرازقين ، و/م ٢٤ يـــا أحسن الخالقين ، وأمثالها مما يدل على الاشتراك المعنوي .

---

(١) المائدة : ١١٠ .

(٢) لم ترد في (م) .

فمدفوع ، بإرادة التبعيّة من الأسماء الفعليّة لا الذاتيّة ، كالسراج ، فإنــه يقال له أنّه أنور من الأشعّة ، لكن ليس له إطلاق النور عليهما بمعنى واحــد ، لفقــدان الجهة الجامعة ، فإنّ الأشعّة أظلّة السراج فلا تجمعهما حقــيقة واحدة ، لكن من جهة بروزه ، وإظهار نوره ، وتعريفه للأشعة ، جعــلها على هيئة ظهوره ، ومثال تجلّيه ، وبروز نوره ، بحيث إذا عرفوا أنفسها عرفوا السراج ، (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**)[1]، (**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**)[2] ، فافهم ، واشرب عذباً صافياً ، هنّاك الله .

[لفظ الجلالة والعلمية] :

وإذا فهمت هذا القدر من الكلام ، فاعلم : أنّ القول[3] بأنّ لفظ الله علم للذات المقدّسة ، ووضع بإزائها كلفظ زيد ، الموضوع بإزاء ذاته ،

---

(١) جواهــر المطالب في مناقب الإمام علي ، ابن الدمشقي : ٢/١٥٠ ، ب٦٦ ، في ما يروى عنه عليه السلام من الكلمات المنثورة المأثورة .../٦٠ . نهج الإيمان ، ابن جبر : ٣٧١ ، ف ١٩ ، في ذكر الهداية . المناقب ، الخوارزمي : ٣٧٥ ، ف٢٤ ، في بيان شيء من جوامع كلمه ... /٣٩٥ . عــوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور : ١٠٢/٤ ، الخاتمة ، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه / ١٤٩ .

(٢) الجواهــر الســنية ، الحر العاملي : ١١٦ ، ب١٠ . الاقتصاد ، الطوسي : ١٤ ، القسم الأول، الأصول الاعتقادية ، ف في ذكر بيان ما يتوصل به إلى ما ذكرناه . روضة الواعظين، النيسابوري : ٢٠ ، ب الكلام في النظر وما يؤدي إليه ، مجلس في معرفة الله ... .

(٣) سبق تخريجه : ١٦١/١ .

ولا يشترك فيه معه أحد ، إنْ أريد بالذات الذات البحت القديم - تعالى شأنها وتقدّس - فغلط ؛ لأنّ الألفاظ والمعاني - على ما هو الحق عند أهل الحق - لابدّ وأنْ يكون بينهما مناسبة ذاتية ، والمناسبة ، والمرابطة بين الحادث والقديم منفيّة رأساً ، وأصلاً .

والقائل به على حدّ الشرك من الدين ، قال الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾[١] ، وأنّ الشرك في هذه الأمة له دبيب ، أخفى من دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصمّاء ، في اللّيلة الظلماء[٢] ؛ لأنّ العقل لا يجوّز شيئاً خلق حين كونه لم يخلق ، وما خلق ، وما لم يخلق .

وإن لم تسلم هذه المقدّمة ، من أنّ بين الألفاظ والمعاني لا بدّ من المناسبة الذاتيّة ، بل تكفي الوضعيّة ، نقول : أنّ الاسم إنّما وضع ليعرف المسمّى به ، ولذا ترى أنّ الشخص إذا كان في مكان خال ، لا يكون هناك أحد يحتاج إليه ، وتدعوه الحاجة إلى دعوته ، لا يحتاج إلى اسم قط ، لأنّه يعرف نفسه ، ولا يحتاج إلى أن يدعوها .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٦ .

(٢) شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٤٧/٨ ب الإخلاص . عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ٧٤/٢ ، ب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه ... ، المسلك الرابع / ١٩٨ .

فثبت أنّ الاسم لجهة المعرفة ، ومعرفة الذات الواجب – تعالى وتقدّس – ممتنعة باتّفاق المسلمين ، فلا اسم لها ، نعم الاسم لجهة المعرفة ، وهي جهة الظهور والتجلّي ، وهي حادثة لا قديمة ، ولذا قال عليه السلام : (**الطريق إليه مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ووجوده إثباته**)[1].

وقال عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله**)[2] .

وقال عليه السلام : (**إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها**)[3] /م ٢٥ .

وأيضاً هل الواضع له الاسم الخلق ، أم ذاته ؟ .

والأول باطل ؛ لأن مَن لم يعرف المسمّى بوجه لا يمكن أن يضع له الاسم ، وقد صحّ أنّ الله تعالى هو المجهول المطلق .

والثاني لا يصحّ ؛ لأنّ الاسم إنّما هو للخلق ليعرفوه ، وهو سبحانه وتعالى لا يحتاج في مرتبة ذاته المقدّسة إلى اسم ، وقد نصّ الله سبحانه بأنه

---

(١) الخطبة اليتيمية : ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الاحتجاج ، الطبرسي : ٢٩٩/١ . التوحيد ، الصدوق : ٣٩ ، ب٢ ، التوحيد ونفي التشبيه/٢ . نهج البلاغة ، الإمام علي عليه السلام : ٢/ ١٢٠ ، من خطبة له عليه السلام في التوحيد ... /١٨٦ .

لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها[١] ، فلا يكلّف الخلق بمعرفة حقيقة ذاته ؛ لأنّه تكليف بما لا يطيقه الخلق ، وهو قبيح ، فكلّفهم بما يطيقون ، فوضع الاسم بإزائه ، (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله**)[٢] ، ولذا قيل - في ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ** ﴾[٣] - : إنّ شهادة الحق للحق بالحق حق ، وشهادة الحق للخلق بالحق خلق ورسم .

بـه عقـل[٤] نـازى حكـيم تـاكى	به فكـرت أيـن ره نمى شود طى
بـه كـنه ذاتـش خـرد بـرد پـى	اگـر رسـد خس به قعر دريـا
چـو نيست بينـش به[٥] ديـده دل	رخ أر نمـايد تـراچه حاصـل
كـه هست يكسان به[٦] چشم كوران	چـه نقـش پنهـان چه آشكارا

فإذا فهمت هذا ، فهمت أنّ القول بأنّ لفظ الله موضوع بإزاء الذات المقدّسة ، من حيث هي الواجبة القديمة ، باطل مردود ، لاعترافهم

---

(١) قال تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ . البقرة: ٢٨٦ .

(٢) سبق تخريجه : ١٧٧/١ .

(٣) آل عمران : ١٨ .

(٤) في (ح) : بعقل .

(٥) في (ح) : بد .

(٦) في (ح) : بچشم .

بـــأنّ مرتبة الأحديّة لا اسم لها ، ولا رسم ، ولا عبارة عنها ، ولا إشارة إليها[١] .

وإن أريــد بــه أنّــه موضوع بإزاء الذات الظاهرة [بالألوهيّة ، والمتجلّية لها[٢] ، فحقّ لا شكّ فيه ، ولا ريب يعتريه .

وهــذه الــذات الظاهرة][٣] بالأسماء ، والصفات : هي[٤] مقام المقامـــات والعلامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان ، قال صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين في دعاء رجب : (**اللّهمّ إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك ، المأمونون على سرّك**) ، إلى أن قال : (**فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان ، يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عـــبادك وخلقك ، فتقها ورتقها بيدك ، بدؤها منك ، وعودها إليك ،**

---

(١) تفســير المحيط الأعظم ، الآملي : ٣٢١/١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٣٤/٤ . الأسفار ، الشيرازي : ٢٨٤/٦ .

(٢) الرسالة الرشيدية (جوامع الكلم) ، الأحسائي : ٢٣٤/١ .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) في (م) : هو .

أعضـــاد وأشهاد ، ومناة وأذواد ، وحفظة وروّاد ، فبهم ملأت سماءك وأرضك ، حتّى ظهر أن لا إله إلاّ أنت)[١] .

وإيّـــاك واســـم العامـــريّة إنّني أخـــاف عليها من فم المتكلّم[٢]

ونعم ما قالت ليلى العامريّة[٣] /م ٢٦ :

بـــاح مجـــنون عامـــر بهـــواه وكتمـــت الهوى فمتُّ بوجدي
فإذا كـــان يوم القيامة نودي من قتيل الهوى تقدّمت وحدي

وهـــذا القـــول الأخير ، أي كون لفظ الله ، وغيره من الأسماء ، موضـــوعة بـــإزاء الذات الظاهرة بتلك الأمور ، لا الذات البحت ، هو المختار عند الفقير ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

---

(١) مصـــباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٨٠٣ ، شهر رجب /٩ . إقبال الأعمال ، السيد بن طاووس الحسني : ٢١٤/٣ ، ب٨ ، شهر رجب ، ف٢٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٩٣/٩٥ ، أبـــواب ما يتعلق بشهر رجب المرجب ... ، ب ٢٣ ، أعمال مطلق أيام شهر رجب ولياليها وأدعيتها /١ .

(٢) المدهش ، ابن الجوزي : ٣٣٦ .

(٣) رسالة الغفران ، المعري : ٤١٨ . ديوان الصبابة ، ابن أبي حجلة : ٦٤ .

من قرأ القرآن بالتدبّر والنظر ، وتتبّع الأحاديث ، ورأى آيات اسم[1] الله تعالى في الآفاق والأنفس ، بمعونة العقل السليم ، لا يشكّ في حقيقة هذا الكلام ، ويراه حقّاً كالشمس في رابعة النهار .

[لفظ الجلالة والكلية] :

وأمّا القول بأنّ لفظ الله كلّي[2] ، صار الآن علماً بالغلبة ، فغلط ناشئ من سوء التدبّر والتفكّر ، لما عرفت من المقدّمتين المذكورتين ، فمجمل القول :

هو أنّ جميع الأسماء والصفات ، التي تطلق على الله سبحانه خاصّة لجهة ظهوراته ، لا يشاركه فيها أحد ، من الدرّة إلى الذرّة ، بالاشتراك المعنوي[3] ، لفقدان الجهة الجامعة ، لأنّ الجهة الجامعة لا بدّ وأن تكون حقيقة واحدة ، لا حقيقتين مختلفتين بالتابعيّة والمتبوعيّة ، والأثريّة والمؤثّريّة، متشابهتين تشابه الأثر مع صفة المؤثّر وفعله ، ولا يتحقّق هذا في أسماء الله تعالى ، وأسماء المخلوقين ، لأنّ حقائقهم موجودة بهذه الأسماء ، وأسماؤهم

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) انظر : ١/١٦٢ .

(٣) انظر : ١/١٧٠ .

متأخّرة عن إيجاد حقائقهم ، فكيف تجمعها حقيقة واحدة ، كرّرت العبارة لتبيّن المراد ، ويهتدي[١] السالك إلى سبيل السداد .

والاسم والصفة واحد ، لا فرق بينهما ، كما سئل العالم عن الاسم فقال عليه السلام : (**الاسم صفة لموصوف**[٢])[٣] ؛ لأنّ الاسم هو الدالّ المخبر عن المسمّى والعلامة له ، والصفة هي هيئة المسمّى ، الدالّة على الموصوف ، فإذاً كلّ الموجودات أسماء لله وصفات له ؛ لأنّه تعالى إنّما يعرف بها ، فهي المخبرة عنه ، والهيئة الدالّة على صفاته الكماليّة ، وأسمائه الجلاليّة والجماليّة .

پادشاهان مظهر شاهىّ حق   عارفان مرآت آ گاهىّ حق

/م ٢٧ ولذا قال الحكيم : (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**)[٤] ؛ لأنّه خلق على هيكل التوحيد ، وهو النور المشرق من صبح الأزل ، الذي

---

(١) في (ح) : يُهدى .

(٢) في (ح) : الموصوف .

(٣) الكافي ، الشيخ الكليني : ١/١١٣ ، ك التوحيد ، ب حدوث الأسماء/٣ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ١٩٢ ، ب٢٩ أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها .../٥ . معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق : ٢ ، ب معنى الاسم /١ .

(٤) سبق تخريجه : ١/١٧٥ .

يلوح على هياكل التوحيد آثاره[١] .

إلاّ أنّ الأسماء مختلفة في الخصوص والعموم ، والإجمال والتفصيل ، فكــلّ عامّ خاصّ ، وكلّ خاصّ عامّ ، فاسم الله إنّما اختصّ به لعمومه ، وكــذا اسم الرحمن ، وأمّا باقي الأسماء فلخصوصها عمّت ، على وفق ما بيّنّا لك ، من أنّ الأثر على هيئة صفة المؤثر ، أي جعله المؤثر على هيئته[٢] ، إذا عــرفه عرفه ، فله العلم ، وله القدرة ، وله السمع ، وله البصر ، وله الحياة ، وله الخلق ، وله الكرم ، وكلّ ذلك من ظلّ الأسماء الفعليّة الإلهيّة .

وأمّــا الألوهيّة والرحمانيّة فليستا للأثر ، لامتناع ذلك فيهم ؛ لأنّ الألوهــيّة هــي الجامعــة لجميع الصفات والأسماء ، من القدس والإضافة والخلق.

والرحمانــيّة هي الجامعة لجميع صفات الإضافة والخلق ، ولا يصحّ هــذا لأحــد من المخلوقين ، ولو بالتبعيّة والأثريّة ، بخلاف سائر الأسماء والصفات ، فإنّها ليست بهذا العموم .

فــافهم ، واشــرب عذباً صافياً ، فإنّه جرعة ، وشربة من حوض الكوثــر ، فإن شربته لا ترى الظمأ أبداً ، (**لا تنظر إلى من قال ، وانظر**

---

(١) جامع الأسرار ، الآملي : ٢٨ . نور البراهين ، السيد الجزائري : ٢٢٣/١ ، ب٢ التوحيد ونفي التشبيه/٣٧ .

(٢) في (م) هيئة .

إلى مـــا قال)(١) ، ولا تقلّد ، فإنّ هذه المذكورات خلاف ما يعرفه أهل الظاهـــر من ظاهر معتقداتهم ، بل هو معتقد العلماء الحكماء المعصومين ، الذيـــن لا يســـهون ، ولا يغفلون ، ولا ينسون ، بل مؤيّدون ومسدّدون بروح القدس .

إن أردت [أن] تعـــرف الحـــق في المـــرام ، فانظر في أحاديثهم وكـــلماتهم ، ســـيّما عيون أخبار الرضا ، والكافي ، والوافي ، والتوحيد ، ومعاني الأخبار ، وأمثال ذلك من الكتب المؤلّفة في هذا الشأن .

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيراً ، حسبنا الله ، ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير .

[الخلق ليسوا من سنخ الحق] :

إيّـــاك وإيّـــاك أن تتوهّم(٢) من كلامنا الظلّ والسنخ ، وأن تكون الموجودات على مثال الحقّ وصورته ، نعوذ بالله /ح ١٢ من هذا الاعتقاد، وأنا براء منه ، وممّن يقول به .

---

(١) عيون الحكم والمواعظ ، الواسطي : ٢٤١ ، ب٧ ، ف٢ اللفظ المطلق . جواهر المطالب في مناقـــب الإمـــام علي عليه السلام ، ابن الدمشقي : ١٥١/٢ ، ب ٦٦ فيما يروى عنه عليه السلام من الكلمات المنثورة ... /٦١ .

(٢) في (ح) : تعرف .

كـيف لا ، وإنّ الله تعـالى لا ظلّ له ، ولا شيء يشبهه ، ومن سـنخه، وهـو الواحد ، المتفرد في أزليّته ، لا يشبهه شيء ، [ولا يوافقه شـيء][1] ، ولا يخالفه شيء ، ولا يضادّه شيء ، ولا ينادّه شيء ، و /م ٢٨ لا يشـاركه شيء ، ولا هو من شيء ، ولا في شيء ، ولا كشيء ، ولا عن شيء ، ولا منه شيء .

وهـو الأحد ، الفرد الصمد ، الذي ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾[2] .

لا يعـلم كيف ذلك ، ولا يدري ما هنالك ، (**إن قلت هو هو ، فالهاء والواو كلامه ، صفة استدلال عليه ، لا صفة تكشف له .**

وإن قلت الهواء نسبته ، فالهواء من صنعه ، رجع من الوصف إلى الوصف ، ودام الملك في الملك ، انتهى المخلوق إلى مثله ، وأجأه الطلب إلى شكله)[3] .

ولّما أراد أن يعرف ، وأحبّ أن يعبد ، خلق الوجود المطلق ، لا من شيء ، ولا كشيء ، بل اخترعه اختراعاً ، وابتدعه ابتداعاً ، وهو الفعل ،

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) الإخلاص : ٣-٤ .

(٣) سبق تخريجه : ١٧٧/١ .

والولاية المطلقة ، والأزليّة الثانية ، وعالم (**فأحببت أن أعرف**)[(١)] .

ولا مناسبة بينه وبين الذات الواجب – تعالى وتقدّس – أبداً ، ولا مرابطة بينهما ، ولا نسبة بينهما ، لأنّ النسبة فرع وجود المنتسبين ، ولا تتحقّق إلاّ إذا تحقّقا ، فإذاً يجب إمّا أن يكون النسبة حادثة ، أو الخلق قديماً، وتعدّد القدماء باطل عندنا وعندكم ، فثبت الأوّل .

والقول بأنّ مباين الشيء لا يصدر عنه ، كالحرارة من الماء ، والرطوبة من الأرض ، وأمثال ذلك ، فلا بدّ من مناسبة ومرابطة ، تصحّح صدور ذلك الأمر منه .

مدفوع ، بأنّ كلّ ما يجب في الخلق يمتنع في الله ، وكلّ ما يمتنع في الخلق يجب في الله ، قال العالم عليه السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه**)[(٢)] .

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٩٩/٨٤ ، ب١٢ ، كيفية صلاة الليل والشفع ... /٦ . اثنا عشر مسألة (رسائل الكركي) ، المحقق الكركي : ١٥٩/٣ ، المسألة ١٢ .

(٢) التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٣٦ ، ب التوحيد ونفي التشبيه /٢ . بحار الأنوار : العلامة المجلسي : ٢٢٨/٤ ، ك التوحيد ، أبواب أسمائه تعالى ... ، ب٤ جوامع التوحيد . عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الصدوق : ١٣٦/٢ ، خطبة الرضا عليه السلام في التوحيد /٥١ . الاحتجاج، الطبرسي : ١٧٦/٢ ، خطبة الإمام الرضا عليه السلام في التوحيد في مجلس المأمون . (باختلاف يسير) .

وصـــدور مباين الشيء عنه يمتنع في الخلق ، فيجب في الله ، مع أنّ الله تعالى لا يباينه شيء ، ولا يساويه شيء ، ولا يشابهه شيء ، وهو على ما هو عليه في عزّ صفاته .

نعـــم ، لا بدّ من المناسبة والمشابهة ، بين فعله وأثره وخلقه ، لأنّه تعـــالى إنّما أوجد الموجودات بفعله لا بذاته ، ولفعله رؤوس ، كلّ رأس يختصّ بموجود من الموجودات ، فهو ملك له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق ، مـــا[1] وجد ، وما[2] لم يوجد ، وسيوجد إلى يوم القيامة ، وبعده إلى ما شاء الله .

فـــأوجد الموجودات بفعله ، وخلقه بنفسه ، فهو الكاف المستديرة على نفسها ، تدور على نفسها على خلاف التوالي ، ونفسها تدور عليها على التوالي[3] .

فكان الفعل في أوّل ظهوره نقطة جوهريّة ، لا تقبل القسمة أبداً في جميع الجهات ، لا فرضاً ، ولا عقلاً ، ولا وهماً .

ثمّ حـــرّكها الله ســـبحانه بنفسها ، فصار ألفاً ، قابلة للقسمة في الطول لا في العرض ، /م ٢٩ ولعمري إنّ الألف هي النقطة .

---

(١) في (ح) : مما .

(٢) في (ح) : مما .

(٣) في (ح) : بالتوالي .

ثمّ حرّكها الله تعالى بتحرّكها[١] بنفسها ، فصارت حروفاً عاليات، ثمّ جمع بين الحروف المتفرّقة وألّف بينها ، فصارت كلمة ، فأنزل من سحاب تلك الكلمة ماء الدلالة ، وهي الظهور ، والتجلّي للخلق بالخلق ، على أرض القابليّات ، فنبت شجرة الوجود المقيّد ، فكان أوّل من ذاق الباكورة في جنان الصاقورة روح القدس ، قال العالم عليه السلام : (**روح[٢] القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة**)[٣] .

والصاقورة : هي الاسم الأعظم ، والكلمة التامّة ، والعرش الأكبر الأعلى ، والسرّ المقنّع بالسرّ ، فكلّ الموجودات ثمرات تلك الشجرة ، وأغصانها وأوراقها ، وكلّها تشابهها تشابه الأشعّة بالسراج .

فالأسماء الكماليّة التي للخلق من ظلّ أسماء تلك الذات المقدّسة ، التي هي من الأسماء الفعليّة الإلهيّة ، والمشابهة بالتبعيّة إنّما تكون لحادث مع حادث ، والقديم – تعالى شأنه – منزّه عن كلّ ذلك ، ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[٤] .

---

(١) في (ح) : بتحريكها .

(٢) في (م) : إن روح .

(٣) بحار الأنوار : العلامة المجلسي : ٢٦/٢٦٥ ، ك الإمامة ، ب٥ جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام /٥٠ . قرة العيون ، الكاشاني : ٤٠٦ .

(٤) سورة الصافات : ١٨٠-١٨٢ .

ولمـــا أرانا الله سبحانه مثاله ، الذي هو آياته في الآفاق والأنفس ، لـــيكون شـــاهد صـــدق على ألوهيّته وقدرته ، فنضرب لك مثلاً في هذا المطلـــب ، لتكون على بصيرة من الأمر ، فنقول - ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم - :

إنّ الـــنار هـــي المؤثّرة في الأشعّة ، والموجدة لها ، إذ لها الفاعليّة ، وللدهن القابليّة ، فمسّت الدهن الذي هو ظهوره وتجلّيه ، فوجد السراج ، فالسراج مركّب من مسّ النار ومن الدهن ، وهذا الاشتعال والضياء خلقته النار لا من شيء ، [ولا كشيء][1] ، ولا مناسبة بينه وبين النار أبداً ، إذ ليس في النار الإضاءة والإشراق .

فـــلمّا خلقت السراج بنفسه جعلته عرشاً لاستوائها عليه بالنور ، فأعطـــت كلّ ذي حقّ من الأشعّة حقّه ، وساقت إلى كلّ مخلوق رزقه ، فالأشـــعّة كلّهـــا على مثال السراج وهيكله ، الذي هو هيكل التوحيد ، فحقيقتها مركّبة من ظهور السراج ، وقابليّتها التـــي هي الحدود المعيّنة لها في حـــدّ خـــاصّ ، ومكان معلوم ، وإلاّ فأمر السراج واحد ، ما ترى فيه اختلافاً أبداً .

انظر في حقيقة الأشعّة ، هل يعرفون غير السراج ؟ ، وهل يعلمون سواه ؟ ، لأنّ حقيقتها من أثره وظلّه ، والشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه ،

---

(١) لم ترد في (ح) .

مع أنّ كلّها /م ٣٠ معترفة بأنّ السراج وجه النار ، وبه يتوجّهون إليها ، وبه يستمدّون منها ، وكلّها واقفة سائلة بباب النار ، الذي هو السراج ، والفقراء اللائذون بجنابها ، وأسامي السراج وصفاتها كلّها لها ، لكن بالتبعيّة والأثـريّة ، سـوى الشـمول الكلّي ، والعموم الحقيقي ، وسريان النور المثالي[1] ، الذي هو مفاد اسم الله تبارك وتعالى .

تأمّل يا أخي ، وتدبّر فيه ، فإنّه من غوامض الأسرار ، فإذا فهمته يفتح لك باب من العلم ، ينفتح منه ألف باب بفضل الله ملهم الصواب .

فـإذا أردت تفهّـم حقيقة المسألة ، فاعلم أنّ النار مثال للوجود المطلـق ، والكلمة التامّة ، التي هي النقطة ، ومسّها /ح ١٣ مثال للوجود المقـيّد ، الـذي هو الماء النازل من سحاب المشيئة ، والسراج إشارة إلى العقـل الكلّـي ، والنور المحمّدي صلوات الله عليه وآله ، والأشعّة مثال للموجودات المقيّدة ، فكلّ ما للموجودات من الصفات الكماليّة من أظلّة تلك الصفات الكماليّة ، وأشعّتها ، لا دخل لها في ذات الحقّ القديم تعالى شأنه وتقدّس .

---

(١) في (ح) : في المثال .

فافهم ، واغتنم ، وكن من الشاكرين ، هداك الله وإيّانا إلى الصراط المستقيم ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾[1] .

هـذا مجمل الكلام في ظاهر لفظ الجلالة ، ممّا سنح بخاطري الفاتر في حـال الكتابة ، ولنقبض العنان من هذا الميدان ، ولنشرع في بيان باطن هذه الكلمة الشريفة ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

---

(١) الفاتحة : ٧ .



[لفظ الجلالة ومقام الباطن]



[لفظ الجلالة ومقام الباطن]

اعلم أنّ الكلام في باطن هذه الكلمة الشريفة إنّما يتمّ ببيان أمور :



الأوّل
في حقيقة الاسم والموضوع له هذا اللفظ

[**اشتقاق الاسم**] :

اعلم أنّ الاسم مشتقّ من السمة ، وهي العلامة[١] ، فالاسم علامة المسمّى[٢] ، وبه يعرف المسمّى ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**الاسم ما أنبأ**

---

(١) الإنصاف ، الأنباري : ٦/١ . الجامع ، القرطبي : ١٠١/١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٣٢/١ .

(٢) عن علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، قال : (**سألت الرضا علي بن موسى عليهما السلام عن بسم الله .**

قال : **معنى قول القائل بسم الله ، أي أَسِمُ على نفسي سمة من سمات الله عزّ وجلّ ، وهي العبادة .**

قال : **فقلت له : ما السمة ؟**

فقال : **العلامة**) .

التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٢٢٩ ، ب٣١ معنى : بسم الله الرحمن الرحيم /١. معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق : ٣، ب آخر في معنى بسم الله /١.

عن المسمّى)[1] ، وقد صحّ أنّ الموجودات بحذافيرها ، إنّما تدلّ على الله سبحانه وصفاته وأسمائه ، فكلّها أسماء له .

[أقسام الأسماء] :

[أ - تقسيم الأسماء إلى ذوات وصفات] :

ولّما نظرنا في الأسماء رأينا أنّها على قسمين : ذوات ، وصفات ، وهي عبارة عن الحروف والأصوات والنقوش .

[ب - تقسيم الذوات والصفات إلى حسنى وسوأى] :

وكلاهما على قسمين : أسماء حسنى ، وأسماء سوأى .

فالأسماء الحسنى بالإطلاق من تحت /م ٣١ العرش إلى الأرض ، والأسماء السوأى من تحت الثرى إلى الأرض الدنيا أيضاً ، فهذه الأرض هي مجمع البحرين ، وملتقى العالمين ، ومحلّ الاجتماع .

والأسماء الحسنى هي الدالّة على مسمّياها الحسنة الكماليّة الجماليّة ، الدالّة على كمال الصانع ، وجماله وجلاله .

---

(١) الفصول المختارة ، الشيخ المفيد : ٩١ . كنز العمال ، المتقي الهندي : ٢٨٣/١٠ ، حرف العين ، ك العلم ، ف في العلوم المذمومة والمباحة /٢٩٤٥٦.

والأسماء السوأى هي الدالّة على مسمّياها الخبيثة ، النجسة المجتثّة ، الدالـــة عـــلى تـــنـــزّه الصانع ، وتقدّسه عن جميع النقائص ، والسلوب والأعدام .

فلو أنّه تعالى ما خلق هذه الحقائق الخبيثة لما سألوه أن يخلقها كذا ؛ لمـــا عرفت تنـــزّه الصانع عن صفات النقص ، إذ الممكن لا يعرف إلاّ ما فيه ، ولا يقرأ إلاّ حروف نفسه ، ولذا ورد في الحديث أنّه تعالى إنّما خلق الضـــدّ ، لـــيعرف أن لا ضدّ له[1] ، فلو أنّه ما خلق تلك الحقائق الطيّبة ، والـــذوات الحسنة ، لما عرف الصانع[2] الكامل سبحانه بالكمال ، فخلق الزوجين ، وجعل الشيء مركّباً منهما ، ﴿ **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[3] .

فكـــلّ شـــيء هكـــذا ، لأنّ العلّة الغائيّة من إيجاد الأشياء المعرفة الكاملـــة، وهي لا تتحقّق إلاّ بإثبات الصفات الكماليّة ، وسلب النقائص

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له**) . نهج البلاغة : ٢/ ١٢٠ ، خطـبة /١٨٦ . الكـافي ، الشيخ الكليني : ١/١٣٩ ، ك التوحيد ، ب١ جوامع التوحيد /٤ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٣٧ ، ب٢ التوحيد ونفي التشبيه /٢ .

(٢) في (ل) : اتصاف .

(٣) الذاريات : ٤٩ .

الخلقـــيّة الممكنة ، وهي أيضاً لا تتحقّق إلاّ بمعرفتهما[1] ، ولا يعرف شيء شيئاً لم يخلقه الله تعالى .

فخلق العلم ، وخلق ضدّه الجهل ، وخلق القدرة والعجز ، وخلق الحياة والموت[2] ، وخلق العزّة والذلّة ، فالإنسان بقدرته يستدلّ على قدرة الحقّ ، وبعجزه يستدلّ على أنّه تعالى ليس بعاجز ، وإلاّ لكان ممكناً ، وهو مـــن معـــاني قوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَـــيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[3] وقوله عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عـــرف ربه**)[4] .

فحينئذٍ تكون الأسماء على أربعة أقسام :

أسماء حسنى حقيقة ذاتيّة .

وأسماء حسنى اسميّة لفظيّة .

وأسماء سوأى حقيقة ذاتيّة مجتثّة .

وأسماء سوأى اسميّة لفظيّة .

---

(١) في (ح) : بمعرفتها .

(٢) في (ح) : وخلق الموت والحياة .

(٣) فصلت : ٥٣ .

(٤) سبق تخريجه : ١٧٥/١ .

[رُتب الأسماء]

ثمّ إنّـــه لمّا كانت الحقائق مترتّبة ، لبطلان الطفرة ، وامتناع صدور الكـــثرات من الواحد من جميع الجهات ، لضعف قابليّة الصادر المحدث ، كذلك[١] كانت الأسماء أيضاً مترتّبة ، ولذلك اختلف بالعالي والداني .

[أ – الأسماء الحسنى الحقيقية الذاتية] :

[١- الاسم الأعظم الأعلى] :

فالاسم الأعظم الأعلى هو المخلوق أوّلاً ، المالئ بنوره وظهوره[٢] جميع فضاء الإمكان ، فما بقي في الإمكان مكان إلاّ /م ٣٢ وقد وسعه[٣] ذلك النور العظيم .

ولا يجـــوز أن يكون خلق في مرتبته ومقامه ، وإلاّ لكان هو ، لأنّ المرتـــبة من المشخّصات ، واتّحاد المشخصين مع تغاير المتشخّصين ممتنع ، كما برهنّا عليه في مكانه .

---

(١) في (ح) : لذلك .

(٢) في (ح) : بظهوره وبنوره .

(٣) في (ح) ، (ل) : يسعه .

ولا يجـــوز أن يكون خلق لا بواسطته ، لاستلزام الطفرة الباطلة ، إلاّ عند المسفسطين ، فيجب أن يكون ذلك الخلق[١] الآخر من نور الأوّل، ومستضيئاً[٢] منه ، كاستضاءة الضوء من الضوء .

ولّما كان أعلى الموجودات ، وأشرفها ، وأقدمها ، المعنى المجرّد عن المـــادّة النفسانية والجسمانيّة ، والمدّة الملكوتيّة[٣] والزمانيّة ، يجب أن يكون أوّل الموجــــودات ، وأوّل الأسمـــاء ، وإلاّ يلـــزم أن يكـــون الأخسّ قبل الأشرف، وقد قام البرهان على بطلانه وخلافه[٤] .

[٢ – صورة الاسم الأعظم الأعلى] :

ولّما كان المعنى لا يتمّ في الظهور إلاّ بالصورة المشخّصة ، المميّزة ، وإلاّ لا يظهر شيئاً ، ولا يعرف أحد صاحبه ، يجب أن تكون الصورة ثاني الموجـــودات ، فـــتمّ الموجود بالمادّة والصورة ، وقد ملأا الفضاء ، ووسعا الأرض والســـماء ، فكلّ ما في الوجود بعدهما من جزئيّاهما وأشعّتهما ، خلقت مادّهّا من نور الأوّل ، وصورها من نور الثاني .

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) في (ح) : ومستفيظاً .

(٣) في (ح) : النفسانية والمثال الملكوتية .

(٤) لم ترد في (م) .

والأوّل هو نور الله، والثاني هو نور رحمته، قال العالم عليه السلام : (**إنّ الله خلق المؤمنين من نوره ، وصبغهم في رحمته ، فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمّــه ، أبوه النور ، وأمّه الرحمة**)[1] ، ولهذين المخلوقين الشريفين هيمنة وتسلّط على جميع الموجودات والمخلوقات :

فــالأول : هــو الاســم الأعظم الأعلى ، الجامع لجميع الصفات الكماليّة :

[الصفات الكمالية]

القـــدس : وهو الصفات الجبروتيّة التنـــزيهيّة ، الغير المقارنة بشيء أصـــلاً ، لا ذاتـــاً ، ولا فعلاً ، وهو اسم السبحان ، والقدّوس والعزيز ، وأمـــثال ذلك ، وهو نفس ذلك الاسم الأكبر صلى الله عليه وآله ، وهو معنى ما قال النبي صلى الله عليه وآله في خطبة يوم الغدير ، في مقام الثناء على الله سبحانه : (**الذي ملأ الدهر**[2] **قدسه**)[3] الخطبة ، لأنّ ذلك الاسم الشريف المبارك على ما

---

(١) فضـــائل الشيعة ، الشيخ الصدوق : ٢١/٢٦ . مختصر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ١٦٣ . مجمع البحرين ، الشيخ الطريحي : ٥٠/١ ، ب الألف .

(٢) في (ح) : الأرض .

(٣) الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ٧١/١ ، احتجاج النبي صلى الله عليه وآله . نهج الإيمان، ابن جبر : ٩٣، ف ٢ في حديث يوم الغدير . اليقين ، السيد الحسني : ٣٤٧ .

ذكـــرنا ، لكونـــه أوّل المخلوقات ، قد ملأ الإمكان ، وما بقي مكان في الإمكان /ح ١٤ إلاّ وقد ظهر ذلك النور العظيم فيه .

والإضـــافة : وهـــي الملكوتـــيّة ، ذات الإضافة العرضيّة الفعليّة لا الذاتيّة، وهو اسم العلم والقدرة ، والسمع والبصر ، وأمثال ذلك ، وهذه الأســـامي لا تعلّـــق لها بشيء من الأشياء /م ٣٣ أبداً ، إذا أردت منها الذاتيّة، ولا تعتبر الإضافة في ذلك ، وإنّما الإضافة في آثارها الفعليّة ، عند ظهورها في المجالي الإمكانيّة بفعلها[١] ، فافهم .

والخلـــق : وهي الصفات الملكيّة ، ذات المقارنة الذاتيّة والفعليّة ، كالخالق والرازق ، والمحيي والمميت ، وأمثال ذلك .

والاســـم الشـــريف المبارك الثاني ، لمّا كان في مرتبة ثانية كان له الاجتماع لجميع المراتب من الأسماء والصفات ، إلاّ ما اختصّ به الأوّل ، وهـــو نفســـه ، وذاته المختصّة به ، والسراج الوهّاج ، الذي استضاء منه ذلك[٢] السراج الوهّاج ، كالضوء من الضوء .

هـــذان الاسمـــان الأعليان هما الأصل للموجودات ، ولهما هيمنة وتسلّط على كلّ الأسامي والصفات ، لأنّ ما عداهما جزئيّات ، ما تصل

---

(١) في (ل) : وفعلها .

(٢) في (ح) : فلك .

رتبتهما[١] في الشمول والإحاطة ، فللأوّل شمول الباطني الثانوي ، الذي هو الظهــور الأولي ، وللثاني شمــول المظاهري[٢] الأولي ، الذي هو الظهور الثانوي ، والبواقي ظهور الظهور ، وشعاع الشعاع ، وأسماء الأسماء ، إلى آخر مراتب الموجودات الإمكانيّة .

هــذا هــو القســم الأوّل من الأقسام الأربعة[٣] التي للأسماء ، ممّا اســتنبطناه مــن الأحاديث بتأييد الله تعالى ، فإنّه ذو فضل عظيم ، ومنّ جسيم ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

[ب - الأسماء الحسنى اللفظية]

[أقسام الحروف والكلمات] :

وأمّا القسم الثاني منها : فاعلم أنّ الحروف والكلمات على أقسام وأنحاء :

مــنها : حــروف معــنويّة ، وهي حروف أهل عالم الجبروت ، وكــلماتهم إذا أرادوا أن يتكلّموا بلغتهم في الخلق[٤] ، من دون غيرهم ،

---

(١) في (ح) رتبتهم .

(٢) في (م) : الظاهري .

(٣) قد ذكرها قدّس سرّه في : ١/٢٠٠ .

(٤) في (م) : الخلوة .

وطبعها في هذا العالم بارد رطب ، فلونها البياض .

ومنها : حروف رقائقيّة ، وهي حروف أهل عوالم البرزخ الأكبر ، الخاصّة بهم ، وطبعها حارّ رطب ، فلونها الصفرة .

ومنها : حروف نفسانيّة صوريّة ، وهي كلام أهل عوالم الملكوت الأعلى ، وطبعها بارد يابس فيه اعتدال ، ولونها الخضرة خلاف طبعه ، وذلك لجهة مانع يمنعها أن تكون على لون طبعها ، وهو اختلاط السواد مع الصفرة ، وذلك يستلزم الخضرة ، فافهم .

ومنها : حروف مثاليّة شبحيّة ، وهي كلام أهل عوالم البرزخ الثاني، ولهم سماء وأرض ، أرضه محدّب محدّد الجهات الجسمانيّ الزمانيّ ، وسماؤه من أسفل /م ٣٤ الدهر ، وآخر[1] الملكوت ، وطبعها من طبع العالم الأوّل ، ولونها كلونها ، إلاّ أنّ لونها يميل إلى السواد ، لكونها ذات صورة مقداريّة ، فافهم .

ومنها : حروف جسمانيّة ، وهي كلام أهل عوالم الأجسام ، وطبعها بارد يابس ، ولونها السواد ، لعدم اختلاطها بالصفرة ، لعدم المجانسة .

---

(١) في (ل) : أسافل الدهر وأواخر .

نوريـــان مر نوريان را طالبند	ناريـــان مـــر ناريان را جاذبند
رو مجـــرّد شـــو مجرّد را ببين	ديدن هر شتئ[1]راشرطست أين

فبقيت على سوادها الأصلي ، هذا أقسام الحروف والكلمات .

[كيفية تكون الحروف]

أمّا كيفيّة تكوّنها ، فاعلم : أنّ المتكلّم في كلّ عالم من هذه العوالم المذكـــورة ، إذا أراد أن يتكلّم يأخذ أربعة أجزاء من الهواء ، ويدخلها في جوفه ، أي على وجه[2] قلبه ، فيكون نقطة جوهريّة مستديرة ، لاستدارة محلّهـــا ، ثمّ تتحرّك ، فتمتدّ النقطة بحرارة تلك الحركة ، فكان خطّاً ألفاً ، ونفساً ممتدّاً .

لكـــن هذه الأجزاء المصّورة ، قبل وصولها إلى فضاء الفم يأمر الله تعالى ملكاً ، من جنود إسرافيل ، أن يأخذ جزءاً من يبوسة هباء المنبثّ في هواء الجوف[3] ، فيمزجه معها ، فيعفّنه في حمّام مارية باسم الله الحيّ ، ثمّ تصـــعد شمس حرارة حركة النفس تلك الأبخرة المعفّنة إلى سماء الفم ، أي الطـــبقة الثالـــثة من طبقات هوائه ، فتصير سحاباً مزجى ، وهو الحروف

---

(١) في (ح) : شيء .

(٢) في (ح) : جوف .

(٣) في (ح) : جوف الهواء .

المقطّعة المناسبة للمعنى المقصود ، المشابهة لهيئة معناه ، ثمّ تراكم ، فتصير سحاباً ثقالاً ، وهو الكلمة التامّة المجتمعة المركّبة من الحروف المقطّعة ، المترتّبة على صفة المعنى .

ولمّا أشرقت عليه حرارة شمس حركة المتكلّم ، للإخراج يذوب ، ويتقاطر منه الماء ، أي الدلالة ، فينزل على أرض الجرز ، والبلد الميّت ، التي هي قلب المخاطب ، فيأخذ الملك جزئين من ذلك الماء ، وجزءاً من يبوسة قلب المخاطب ، فيضعهما في التعفين ، في بطن الفرس ، فتنبت الشجرة ، أي شجرة المعنى ، في أرض قلب المخاطب ، فيتحقّق هنا أربع مراتب :

المرتبة الأولى : مرتبة النقطة ، ولونها أبيض في كمال البياض ، كالدرّة البيضاء ، لكمال البساطة .

والمرتبة الثانية : مرتبة الألف ، والنفس ، ولونها الصفرة[1] ، لاختلاط حرارة المتنزّل مع رطوبة النقطة .

والمرتبة الثالثة : مرتبة /م ٣٥ الحروف المقطّعة ولونها الخضرة ، لاختلاط سواد الكثرة مع صفرة الألف .

---

(١) في (ح) : أصفر .

والمرتبة الرابعة : مرتبة الكلمة التامّة ولونها الحمرة ، لاجتماع بياض النقطة مع صفرة الخطّ في حرارة حكمة[١] التأليف ، والتركيب كالشنجرف[٢] فإنّه مركّب من الزئبق والكبريت ، أو لونها أسود لكمال الكثرة والغلظة .

ثمّ اعلم أنّ هذه المراتب لا تتحقّق إلاّ بفعل الشخص ، وحركته ، ولا شكّ أنّها ما حصلت بالحركة الواحدة ، لأنّ الواحد من حيث الوحدة لا يصدر عنه إلاّ الواحد ، لأنّ بين الأثر وفعل المؤثّر لا بد وأن يكون مناسبة خاصّة ، تصحّح صدور ذلك الأثر منه ، وإلاّ يلزم الترجيح من غير مرجّح ، وهو باطل .

ولا يجوز أن يكون الشيء الواحد مناسباً ومشابهاً لأمور مختلفة متضادّة في حال واحدة[٣] ، إلاّ الواجب تعالى وتقدّس ؛ لأنّ قدرته[٤] غير متناهية ، لا تحيط بها عقولنا ، ولا تدركها أفهامنا ، فنسكت عنه ، ونقول إنّه على كلّ شيء قدير .

---

(١) في (ح) : حكم .

(٢) في شرح الفوائد ، الشيخ الأوحد الأحسائي : (كالزنجفر) : ٦٤ .

(٣) في (م) : واحد .

(٤) في (م) : غير التي بإزاء كل مرتبة /ح١٥ منها والحروف التي بإزاء مراتبها وكيفية إقبالها أو إدبارهما والأسماء السوأى الخبيثة النجسة وكيفية تعاكسها .

فـإذا رأيـنا تعـدّد المفعول نقطع بتعدّد الفعل ، وإن كانت هذه التعدّدات والكثرات رؤوس من[١] ذلك الفعل الكلّي .

[فعل خاص لمراتب الحروف والكلمات]

فثبت أنّه تعلّق بكلّ[٢] مرتبة من هذه المراتب الأربعة فعل خاصّ ، غير متعلّق بالآخر ، فسمّى الفعل المتعلّق بالنقطة المشيئة ، وبالألف الإرادة، وبالحروف القدر ، وبالكلمة التامّة القضاء ، وبالإظهار والإبراز الإمضاء ، وهو لازم القضاء كما لا يخفى .

[ألوان الكلمة] :

وهـذه المراتب الفعليّة هي صبح الأزل ، والمراتب المفعوليّة الأنوار المشرقة عن صبح الأزل ، فالنور الأبيض هو المشرق عن المرتبة الأولى وهي المشيئة ، والنور الأصفر هو المشرق عن المرتبة الثانية وهي الإرادة ، والنور الأخضـر هـو المشـرق عن المرتبة الثالثة وهي القدر ، والنور الأحمر هو المشرق عن المرتبة الرابعة وهي القضاء .

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) في (ح) : لكل .

وكـــلّ مرتـــبة لونها وطبعها من طبع ما صدر عنها ولونها ، فافهم واحفظ فإنّه ينفعك كثيراً في المراتب العالية ، وحلّ الأحاديث المشكلة .

ثمّ إنّ الكـــلمة الـــتامّة المجتمعة لها ألوان أُخَر بحسب العوالم ، لوناً عرضيّاً ، وإن كان لها لون ذاتيّ ، وهو الحمرة أو السواد ، مثل الريح فإنّه هـــو الهـــواء المتحرّك ، وهو بحسب سنخ ذاته حارّ رطب ، لكن باعتبار الأمكـــنة والأزمـــنة يكتسب الطبائع العرضيّة ، فيكون له /م ٣٦ ألـــوان متفاوتة ، كالصبا فإنّه بارد رطب ولونه البياض ، والدبور فإنّه حارّ يابس ولونه الحمرة ، والشمال فإنّه بارد يابس ولونه السواد ، والجنوب فإنّه حار رطب ولونه الصفرة ، وهنا كلام آخر كتبناه في شرحنا على الفوائد .

[الأسماء الحسنى الحقيقية الذاتية أفضل من اللفظية] :

فإذا عرفت حقيقة الكلمة والكلام ، وماهيّتها ومبدأها ومنتهاها ، تعـــرف أنّها لا بدّ وأن تكون متأخّرة عن الذوات ؛ لأنّها فعلها وصفتها واسمهـــا ، فهذه الأسماء اللفظيّة الحرفيّة أسماء لذوات ، هي أسماء الله ﷻ ، لـــبطلان الطفرة ، فمرجع الكلّ إلى الله ، والكلّ له تعالى ، ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٦ .

[أشمل الأسماء الحسنى الحقيقية واللفظية] :

ولّما كان بين الأسماء ومسمّياها على ما هو الحق عند أهل الحق مناسبة ذاتيّة[١] ، فيجب أن يكون أشمل الأسماء الحرفيّة وأعمّها وأعظمها وأقواها الاسم الأول[٢] ، الذي هو المخلوق الأوّل ، الذي هو نور السموات والأرض وعمودها ، وبه قامتا ، وبه تحرّكت السموات ، وسكنت الأرض[٣] ، وتحته شمولاً وإحاطة الاسم الثاني المخلوق ، فهما الاسمان الأعليان اللذان بهما سكنت السواكن ، وتحرّكت المتحرّكات ، وكلّ الأسامي ذاتيّة كانت أو لفظيّة من فروعهما وشعاعهما صلّى الله عليهما وآلهما .

ولّما نظرنا إلى الأسماء الحسنى اللفظيّة ، رأينا لفظ الله في كمال الشمول والإحاطة ، وله هيمنة وتسلّط من حيث اللفظ على جميع الأسماء والصفات ، فعرفنا أنّها كانت موضوعة لتلك الذات الشريفة المقدّسة ، فعرفنا اللطيفة في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، واللطيفة في تفسير مفسّر قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾[٤] أنّه

---

(١) شرح الخطبة ، الرشتي : ١٧١/١ . رسالة عبد الله بيك (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ١/ ٢٣٢ . بيان المختصر ، الأصفهاني : ٢٧٦/١ .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) في (ح) : تحرك السماء ومكّنت الأرض .

(٤) سورة النور : ٣٥ .

محمّـــد ﷺ[1] ، وقد ثبت عند أهل الحق أنّ المشبّه في القرآن عين المشبّه به، فافهم وكن به ضنيناً .

وكذا لفظ الرحمن لمّا رأيناها تحت لفظ الله ، وفوق جميع الأسماء ، عرفـــنا أنّها كانت موضوعة لتلك الذات المقدّسة المخلوقة ثانياً ، فالله اسم للـــذات المســـتجمع لجميع الصفات الكماليّة ، والنعوت الجماليّة الخلقيّة الثلاثة التي هي صفات القدس ، والإضافة ، والخلق ، والرحمن اسم للذات الكاملة المقدّسة الجامعة لجميع الصفات الإضافيّة والخلقيّة على ما فهمت .

وبعـــبارة أخـــرى الله اسم للذات /م ٣٧ الظاهرة[2] بالألوهيّة ، والرحمن اسم للذات الظاهرة[3] بالرحمة الواسعة ، وتلك الذوات كلّها اسم للقـــديم - تعـــالى شأنه - الذي لا اسم له ولا رسم ، وكلّ الموجودات أسماؤه، وكلّ المخلوقات آثاره ، وهو المخفيّ في عين الظهور ، والظاهر في عين الخفاء .

---

(١) بصـــائر الدرجات ، الصفار : ٦/٣١٤ ، ب١١ في أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله ﷺ شـــاركه في العلم ... /٨ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ١٥٩ ، ب ١٥ تفسير قوله — عز وجـــل - : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى آخره /٥ . الاختصاص ، الشيخ المفيد : ٢٧٨ .

(٢) في (ح) الظاهر .

(٣) في (ح) : الظاهر .

خفــيّ لإفراط الظهور تعرّضت لإدراكــه أبصــار قوم أخافش
وحظّ عيون النحل من نور وجهه لإدراكه حظّ العيون الأعامش(١)

فــإذا قلــت : يا الله ويا رحمن ، ما تعني إلاّ الذات القديم تبارك وتعالى ، وتجعل تلك الذوات وجهاً لتعريفك ودعائك ، لأنّك لا تصل إلى الله إلاّ بالوجه لكن لا تلاحظ الوجه قطّ .

فإذا قلت : يا الله ، وقصدت الموضوع له هذا اللفظ فقد أشركت وكفرت كفر الجاهليّة .

وإذا(٢) قلــت : يــا الله ، وزعمــت أنّه موضوع للذات القديم ، وأنكرت الوجه والواسطة فقد كفرت أيضاً وأشركت .

وإذا قلــت : يا الله ، وقصدت القديم تبارك وتعالى وتوجّهت إليه بهذا الوجه ، وجعلته آلة لتوجّهك(٣) إلى حضرته تعالى ، وما رأيت الوجه حين دعائك فأنت موحّد ، كما أراد الله سبحانه وتعالى منك .

مــثاله : أنّــك إذا أردت أن تبصــر شيئاً بهذا البصر الجسماني ما يمكنك إبصاره إلاّ بواسطة هواء لا يصل حدّ الإفراط ، فأنت أوّل ما تبصر هــو الهواء ، وهو واسطة لإبصارك ذلك الشيء ، فهو المبصر أوّلاً ، لكن

---

(١) شرح منازل السائرين ، الكاشاني : ٦١٣ . جامع الأسرار ، الآملي : ١٩٦ .

(٢) في (ح) : فإنه .

(٣) في (ح) : توجهك .

أنت لا تلاحظ الهواء ، ولا يخطر ببالك في حال الإبصار أنّك تبصر الهواء ، مع أنّ الهواء هو الوجه ، لا يمكنك أن تتوجّه إليه إلاّ به .

وهـــذا المثال مقرّب من وجه ومبعّد من جميع الوجوه ، فإنّ ذات الحق لا يمكن الوصول إليه بوجه ، ولو بالوجه إلاّ بالوجه ، وإلى هذه /ح ١٦ الدقيقة أشار العالم عليه السلام بقوله : (**الله مشتقّ من إله ، والإله يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المسمّى ، فمن عبد الاسم دون المسمّى فقد كفر ، ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى بإيقاع الاسم عليه فذاك التوحيد**)[1] .

لقد أخرجت لك لؤلؤ من بحر التوحيد ، ما وصل إليه الغوّاصون ، ﴿ **ذَلِـكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[2] ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، هذا مجمل القول في القسمين الأوّلين، وهو الأسماء الحسنى بكلا قسميه /م ٣٨ .

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ٨٧/١ ، ك التوحيد ، ب المعبود/٢ . التوحيد ، الشيخ الصدوق: ٢٢١ ، ب٢٩ أسماء الله تعالى والفرق بين معانيها ... /١٣ . الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي: ٧٢/٢ ، احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام .

(٢) سورة الجمعة : ٤ .

[ج ، د – الأسماء السوأى الحقيقية واللفظية]

وأمّـــا القسمان الآخران وهو الأسماء السوأى بكلا قسميه ، فاعلم أنك قد عرفت على ما بيّنا لك أنّ لكل شيء ضداً ، فضدّ العالي أسفل ، والمتوســـط متوسط[1] ، إذا نظــرت في الماء رأيت أنّ ظلّ رجلك عند رجلك، وظل رأسك في آخر المراتب .

فكما أنّ[2] المخلوق الأول في كمال النور والضياء والسناء ، بحيث بنوره أشرقت السماوات والأرض ، وكذا ضدّه في كمال الظلمة بحيث إنّ كل ظلمة في العالم من فاضل ظلمته ، وكل شرّ ومعصية وخبث من فاضل شـــروره ومعصـــيته وخباثته ، والصفة تابعة للذات والأسماء ، والمسمّيات بينهما مناسبة ذاتية ، خذها قاعدة وتصرّف فيها ما شئت ، فإنّه باب ينفتح منه تفسير الباطن من القرآن ، وتأويله بالمعنى الثالث من معانيه كما ذكرنا لك سابقاً ، فراجع تفهم[3] .

ولقـــد بيّنا حقيقة الأسماء الحسنى ومبدأها وكيفيّة إيجادها ، وترتّب مراتـــبها ، والأسماء اللفظية التي بإزاء كل مرتبة منها ، والحروف التي بإزاء مراتـــبها ، وكيفـــية إقبالها وإدبارها ، والأسماء السوأى الخبيثة النجسة ،

---

(١) في (ح) : المتوسط .

(٢) في (ح) : فكمال .

(٣) انظر : ١٢٩/١ .

وكيفية تعاكسها ، والأسماء السوأى اللفظية التي بإزائها ، والحروف المعكوسة التي بإزاء مراتبها ، وكيفية إدبارها وعدم إقبالها ، على أكمل تفصيل ، وأتم بيان في شرحنا على الفوائد ، التي صنّفها الأستاذ أدام الله بركاته علينا وعلى العالمين ، من أراد الاطّلاع على حقيقة الأمر فلينظر إليه، وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .



[الثاني
في الفرق بين الألوهية
والأحدية والواحدية والرحمانية]

الثاني من تلك الأمور في الفرق بين الألوهية والأحديّة والواحدية والرحمانية .

قيل : (اعلم أنّ جميع حقائق الموجودات ، وحفظها في مراتبها تسمّى الألوهية ، وأعني بحقائق الموجودات أحكام المظاهر مع الظاهر فيها ، أعني الحق والخلق ، فشمول المراتب الإلهيّة جميع المراتب الكونيّة ، وإعطاء كلّ ذي حق حقه من مرتبة الوجود ، وهو معنى الألوهية ، والله اسم لرب هذه المرتبة ، ولا يكون ذلك إلا لذات[1] واجب الوجود ، فأعلى مظاهر الذات مظهر الألوهية ، إذ له الحيطة والشمول على كل مظهر ، وهيمنة على كل وصف واسم[2] .

فالألوهية هو أم الكتاب ، والقرآن هو الأحديّة ، والفرقان هو الواحدية ، والكتاب المجيد هو الرحمانية .

---

(١) في (م) : ذات .

(٢) في (ح) : أو اسم .

والـــذي عليه اصطلاح /م ٣٩ القوم أنّ أم الكتاب هو ماهيّة كنه الـــذات ، والقرآن هو الذات ، والفرقان هو الصفات ، والكتاب المجيد هو الوجود المطلق ، لا خلاف بين القولين(١) إلا في العبارة ، والمعنى واحد .

فإذا علمت ما ذكرنا تبيّن لك أنّ الأحدية أعلى الأسماء [التي](٢) تحـــت هيمنة الألوهية ، والواحدية أوّل تنـــزّل الحق من الأحدية ، وأعلى المراتـــب التي شملتها الواحدية المرتبة الرحمانية ، وأعلى مظاهر الرحمانية في الربوبية ، وأعلى مراتب الربوبية في اسمه الملك .

فالملكـــيّة(٣) تحـــت الربوبية ، والربوبية تحت الرحمانية ، والرحمانية تحت الواحدية ، والواحدية تحت الأحدية ، والأحدية تحت الألوهية ؛ لأنّ الألوهـــية إعطاء حقائق الوجود وغير الوجود حقّها مع الحيطة والشمول ، والأحدية حقيقة من حقائق الوجود ، فالألوهية أعلى ؛ ولهذا كان اسمه الله أعلى الأسماء ، وهو أعلى من اسمه الأحد)(٤) انتهى كلامه .

أقـــول – و لا حـــول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم – : إنّ هذا الكلام على ما أعرف في غاية المتانة والصحة ، والله أعلم بمراده ، إلا قوله: (والـــذي عليه اصطلاح القوم) ، إلى قوله : (لا خلاف بين القولين إلا

---

(١) في (ح) : القوم .

(٢) من المصدر .

(٣) في (ح) : فالملك .

(٤) الإنسان الكامل ، الجيلي : ٤٢ .

في العبارة) ، فإنّه في غاية الاغتشاش والاضطراب ، بل عندنا هذا الكلام باطل ، لكن ظاهر عبارة هذا القائل في بيان المراد صحيح ، فإن كان مراده هو الذي قال لا خلاف إلا في العبارة فالمراد باطل ، والعبارة صحيحة ، وإلا فكلاهما صحيحان ، فافهم ، والله أعلم بمراده ، وسنزيد لك الكلام في هذا الباب[1] عند بيان قوله تعالى : ﴿ **لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾[2] .

---

(١) انظر : ٢/٤٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .



الثالث

في لطائف الأسرار المودعة في هذا اللفظ [1] الشريف

اعــلم هداك الله وإيّانا سواء الطريق ، وسقانا الله وإيّاك من رحيق التحقــيق ، أنّ هذه الكلمة الشريفة هي الكلمة التامة الكاملة ، التي تشمل جميع مراتب الإمكان والأعيان من البدء إلى العود ، والبرازخ التي بينهما ، وتثبت الحق وتميت الباطل ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولذا كان أعظــم أسماء الله الحسنى وأشرف صفاته ، ولذا أمر نبيّه ﷺ أن يقوله[2] ويعــرض عن كل باطل ، وقال تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[3] وبيانه بالإجمال /م ٤٠ [على أنحاء :

[أ – سر في ترتب حروف الجلالة]

مــنها][4] : أنّ الهمزة هي الألف المتحرّكة ، وهي أول الحروف وأصلها وأسّها واسطقسّها ، وبها ظهرت الحروف ، ومنها بدأت ، وإليها

---

(١) في (ح) : اللفظة .

(٢) في (ح) : يقولها .

(٣) سورة الأنعام : ٩١ .

(٤) في (ح) : هو .

عـــادت ، وطولها ألف ألف ذراع ، وهي إشارة إلى أول الوجود ، وسر الحـــق المعبود ، الذي به خلق العالم ، واستضاء منه آدم ، وهو الماء الثاني المظهـــر لـــلماء الأول ، بل الماء الأول عينه ، وآدم الثاني حقيقته ، فاتّحد الأول والـــثاني في عين الافتراق ، وافترقا في عين الاجتماع ، وظهرا معاً ، /ح ١٧ ووجدا متقدّماً ومتأخراً .

وهـــو مبدأ الوجود ، والباء في بسم الله الرحمن الرحيم ، (**ظهرت الموجـــودات مـــن باء بسم الله الرحمن الرحيم**)[١] ، (**وسرّ البسملة في الباء ، وسرّ الباء في النقطة ، وأنا النقطة تحت الباء**)[٢] .

أصرّح ولا أخاف إذ ليس فيه اغتشاش ، ولا اختلاف ، وهو نبيّنا محمد ﷺ لنص قوله : (**أول ما خلق الله نوري**)[٣] ، و (**أول ما خلق الله روحي**)[٤] .

---

(١) تفسير المحيط الأعظم ، الآملي : ١/٢١٠ ، جامع الأسرار ، الآملي : ٦٩٥ .

(٢) انظر : إحقاق الحق ، المرعشي : ٧/٦٠٨ .

(٣) عـــوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور : ٤/٩٩ ، الخاتمة ، الجملة الأولى /١٤٠ . بحار الأنوار ، المجلسي : ١/٩٧ ، ك العقل ، ب حقيقة العقل ... /٧ . اختيار معرفة الرجال ، الطوسي : ١/٢٣٢ . ينابيع المودة ، القندوزي : ١/٤٥ ، ب ١ في سبق نور رسول الله ﷺ /٤ .

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٥٤/٣٠٩ ، ب١ . نور البراهين ، الجزائري : ١/١٧٩ . الأنـــوار النعمانية ، الجزائري : ١/١٣ . ينابيع المودة ، القندوزي : ١/٤٥ ، ب١ في سبق نور رسول الله ﷺ /٤ .

فأشـــار إلى الـــبدء ، أي بدء الأعيان[١] بالمطابقة ، ولمّا كان هو السراج الوهّاج فأشار إلى مس النار بالتضمّن ، وهو الماء الأول المتقاطر من سحاب النار ، فأشار إلى المشيئة التي تلك الحقيقة المقدّسة محلها ، ومكان ظهور نورها بالمظهر ، وإن شئت قلت بالالتزام ؛ لأنّ الدلالة الالتزامية أعزّ الدلالات ، وأمنعها وأشرفها ، فأشار إلى الموجودات الإمكانية ، والأعيان الثابـــتة ، والوجودات العدمية المخلوقة الحادثة بالالتزام ، لأنّ الإمكان محل المشيئة وماهيّتها ، فافهم .

فأشـــار الحـــق ســـبحانه بالألف إلى جميع هذه المراتب بالإشارة الواضـــحة الصريحة الغير الخفيّة ، إلا عند غير أهلها ، فالألف هي النبّوة ، وهـــي بدء ظهور الإسلام والإيمان والكتب المنـــزلة[٢] ، والسنة في الباطن والظاهر .

ولّمـــا كانـــت النبوّة لا تستقر بدون الولاية ؛ لأنّها نفسها ، فذكر اللام بعد الألف ؛ إشعاراً بأن الولاية تحت النبوّة ، بمرتبة واحدة ، كما قال عليه السلام : (**أنا أصغر من ربي بسنتين**)[٣] ، أي : أنا الواقع في المرتبة الثانية ،

---

(١) في (ح) : العيان .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) شرح الأربعين ، القمي : ٣٥٥ .

وأشار باللام إليها ، لأنّ اللام لها من العدد ثلاثون ، وهذا إشعار بأنّ الولاية هي القمر ، كما أنّ النبوّة هي الشمس[1] .

وإنّما أشار إلى الولاية بالقمر ، وإلى النبوّة بالشمس ، إشعاراً بأنّ مواد الموجودات من الشمس التي هي النبوّة ، وصورها من القمر الذي هو[2] الولاية ؛ لأنّ /م ٤١ الموجودات الثانوية من الشمس ؛ لأنّ الشمس هي الحارّة اليابسة ، فأثرها من جنس طبع مؤثّره ، وهو أصل الشيء والحياة الثانوية من القمر ؛ لأنّه بارد رطب فأثره من جنس طبع مؤثّره ، وهو صورة الشيء ، ولذا كانت نطفة الرجل حارّة يابسة ، ونطفة المرأة باردة رطبة ، فالأصل والمادة للأب ، والقشر والصورة للأم ، فافهم .

ولمّا كان ظهور الولاية على قسمين :

قسم باطنيّ ، لا ظهور لها ظاهراً إلا قليلاً ، بل لا ظهور لها في الظاهر أصلاً ورأساً .

---

(١) سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ ، قال : (**الشمس رسول الله** صلى الله عليه وآله ... ، ﴿ **وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا** ﴾ ، **قال : ذلك أمير المؤمنين** عليه السلام) .

الكافي ، الكليني : ٥٠/٨ ، ك الروضة /١٢ . تفسير القمي ، القمي : ٤٢٤/٢ ، سورة الشمس . تفسير فرات الكوفي ، الكوفي : ٥٦٣ ، سورة الشمس /٧٢٣ .

(٢) في (ح) : هي .

[وقسم ظاهري] ، وهو ظهور تلك المظاهر المقدّسة ، وبروز تلك الحقائق المنوّرة ، في أوان ظهور النبي ﷺ وبعده في عالم الأعيان الجسمانية .

وقد ظهرت تلك الأقمار الساطعة منخسفة ، وهو ظهورهم الأول، فأشار إليه باللام الأول ، ولمّا كان الحق له حقيقة ولا بدّ أنْ يظهر ، بحيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وجب في الحكمة أن يرجع الله تعالى تلك الذوات المقدّسة في عالم الظهور الجسماني مرة بعد أخرى ، وهو في الرجعة ، فأشار إليها باللام الثانية ، وهنا ولايتان: ولاية ظاهرية ، وولاية باطنية ، ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً** ﴾[١] .

والألف بين اللام الثانية والهاء المطويّة ، نقشاً وظاهراً ، أشار[٢] إلى قيام القائم عليه السلام فإنّ خروجه وظهوره أوّل ظهور الولاية الثانوية ، لكنّه ليس برجعة ؛ لأنّ الرجعة هي الرجوع بعد الموت ، وهو عليه السلام بعد حيّ عند ربه مرزوق ، وهو سرّ الإطواء في النقش دون اللفظ .

---

(١) سورة الكهف : ٤٤

(٢) في (ح) : إشارة .

والهـــاء إشـــارة إلى الهويّة المخفيّة ، التي هذه المراتب المذكورة من مظاهـــرها وآثارها ، وهي تعود إليها بعد بدئها منها ، وهي [القيامة][1] إذا رجع كلّ إلى مبدئه .

فقـــد جمعـــت هـــذه الكلمة الشريفة جميع الموجودات الإمكانيّة والأعيانـــيّة ، وبدءها وعودها ، والحق الذي يجب التمسّك به ، والباطل الـــذي يجـــب الإعراض عنه ، ولذا قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[2] .

يعـــني جميع الكون من حيث الاسميّة تشملها هذه الكلمة ، وما لم يذكـــر فيها لا يجوز التمسّك به ، والاقتداء به ؛ لأنّهم (**همج رعاع ، لم يستضـــيئوا بـــنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**)[3] ، فافهم ، فإنّه أصعب ما يرد على العلماء /م ٤٢ .

---

(١) في (ح) ، (م) : القيمة .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ .

(٣) الخصـــال ، الشيخ الصدوق : ١٨٦ ، ب الثلاثة /٢٥٧ . نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : ٣٥/٤ ، الحكم /١٤٧ . الآمالي ، الشيخ المفيد : ٢٤٧ ، المجلس التاسع والعشرون /٣ .

[ب – لفظ الجلالة وآلاء الله بولاية الولي]

ومنها : أنّ الألف هي آلاء الله على خلقه من النعيم بولاية الولي ، وهذا تمام الوجود وكماله ، والجامع لما جمع جميع القرآن والكتاب الآفاقي والأنفسـي ؛ لأنّ النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده تدور على أقسام أربعة ، لا تزيد ولا تنقص : الخلق ، والرزق ، والحياة ، والموت ، قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُم** ﴾[١] .

والموجودات على ثلاثة أقسام ، في ثلاثة عوالم :

عالم الجبروت .

وعالم الملكوت .

وعالم الملك .

وفي كل عالم من هذه العوالم الثلاثة عشر مراتب ، وهي القبضات التي خلق الشيء منها في كلّ عالم بحسبه ، ولها ثلاث دورات :

دورة معدنيّة .

ودورة نباتيّة .

ودورة حيوانيّة .

فيكون ثلاثين وفي كلّ مرتبة من هذه المراتب هذه الأركان الأربعة، التي هي الخلق ، والرزق ، والحياة ، والموت .

---

(١) سورة الروم : ٤٠ .

وقـــد وكّــل على[١] كلّ ركن من هذه الأركان ملك من الملائكة الكلــيّة ، فالموكّل بركن الخلق جبرئيل ، والموكّل بركن الحياة إسرافيل ، والموكّل بركن الرزق ميكائيل ، والموكّل بركن الموت عزرائيل .

فجـــبرئيل طبيعـــته حارّة يابسة ، لأنّه المستمدّ من الركن الأسفل الأيسر من العرش ، وهو النور الأحمر ، وإسرافيل طبيعته حارّة رطبة ؛ لأنّه المســـتمدّ مـــن الركن الأسفل الأيمن[٢] من العرش ، وهو النور الأصفر ، وميكائـــيل طبيعـــته باردة رطبة /ح ١٨ ؛ لأنّه المستمدّ من الركن الأيمن الأعـــلى من العرش وهو النور الأبيض وعزرائيل طبيعته باردة يابسة ؛ لأنه المستمد من الركن الأيسر الأعلى من العرش ، وهو النور الأخضر .

وتحـــت هذه الملائكة الكليّة ملائكة لا تحصى ، والدبور ملك من جنود جبرئيل ، هلكت عاد بالدبور[٣] ، والصبا ملك من جنود ميكائيل ، (**نصرت بالصبا**)[٤] ، والجنوب ملك من جنود إسرافيل ، والشمال ملك من جنود عزرائيل ، فافهم .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (ح) : الأيمن الأسفل .

(٣) التبـــيان ، الشيخ الطوسي : ٣٩٣/٩ ،سورة الذاريات ، آية : ٤١. تفسير جوامع الجامع ، الشيخ الطبرسي : ٢٩/٢ سورة الأنفال ، آية : ٤٦. تفسير القرطبي ، القرطبي : ١٤٤/١٤، سورة الأحزاب : ٩ .

(٤) انظر المصادر السابقة .

فــإذا ضـــربت الأربعة في الثلاثة يكون الحاصل اثني عشر ، وإذا ضـــربت الاثـــني عشر في الثلاثين يكون الحاصل ثلاثمائة وستّين ، فاعط جبرائيل تسعين ملكاً ، وإسرافيل مثله ، وميكائيل مثله ، وعزرائيل مثله .

أو قل اضرب الثلاثة في الثلاثين فيكون تسعين ، واضرب الأربعة في التســعين فيكون ثلاثمائة وستّين ، هذا تمام الوجود ، وسرّ الحق المعبود ، وكـــلّ ذلــك نعــم أنعم الله تعالى على عباده لولاية الولي[1] ، ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** ﴾[2] . /م ٤٣

فكلّهــا مــن الولاية ، وإلى الولاية ، وللولاية ، وفي الولاية ، ومع الولاية ، وعن الولاية ، وبالولاية .

[النعم بمعنى العباد الثلاثة المُنعم عليهم] :

ولــك أن تجعل النعم نفس المنعم عليه ، والتفرقة بملاحظة الإجمال والتفصــيل ، والجمــع والتفريق ، ولك أن تجعل العباد المنعم عليهم ثلاثة أشـــخاص ، كلّ واحد منهم حاوٍ لما حوى عليه الآخران ، والتفرقة بينهم بالبطون والظهور ، والكمون والبروز .

---

(١) في (ح) : العلي .

(٢) سورة الكهف : ٤٤ .

العبد الأوّل : هو ما تحت العرش الأعظم الأعلى ، الذي هو الصاقورة للجنان التي غرسها الولي ، وذاق روح القدس باكورتها ، إلى ما تحت الثرى ، وهو عبد واحد خلقه الله سبحانه شاهداً وبرهاناً على ألوهيّته وربوبيّته ، وقدرته وصنعه ، وهو العبد الصالح ، الطائع العابد ، المطيع لله تبارك وتعالى ، لا يغفل عن ذكره طرفة عين .

لا إله إلاّ هو ، سبحان[1] من دانت له السموات والأرض بالعبوديّة ، وأقرّت له بالوحدانيّة ، لا إله إلاّ الله الحليم الكريم لا إله إلاّ الله العليّ العظيم ، لا إله إلاّ الله الملك الحق المبين ، سبحان الله ربّ السماوات السبع ، وربّ الأرضين السبع ، وما فيهنّ وما بينهنّ ، وما فوقهنّ وما تحتهنّ ، وهو ربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين فافهم فهّمك الله.

العبد الثاني : هو عبد الواسع وعبد الكريم ، وعبد الله الشابّ ، النقيّ الورع الزكيّ ، الشجاع الذي يهزم الصفوف ، ولا يكترث بالألوف، وله طبع واحد يفعل في الطبائع الأربع ، وحقيقة وجوده ملتئمة من أرض وماء ، والماء منشعب إلى أربع مياه ، بل خمسة ، واجعل هذه المياه ثلاثة وستّة ، وأفلح الأرض بالثلاثة المصلحة الأوليّة ، في كلّ فلاحة يخرج قوم مفسد من التسعة المفسدة .

---

(١) في (ح) : سبحانه .

ولمّا تمّ [الثلاث][1] ظهر القمر ، فأشرق بنوره على ظلمات الأرض ، فتنوّر جميع ما فيها[2] ، لكن فيه شيء من الكدورة ، أهل الشرع سمّوه بالمحو ، وأهل الإشراق سمّوه بالعكس والظلّ ، وأهل الصناعة الفلسفيّة سمّوه بالقوم المفسدين ، وهم ستّة رهط الذين قالوا لشعيب ، هو الصبغ الأحمر : ﴿ **وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ** ﴾[3] ، وهم بأنفسهم كانوا رهط شعيب ، يعني لولا أنّك منسوب إلينا لرجمناك ، فأجابهم وقال : ﴿ **يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ** ﴾[4] .

فطهرت[5] تلك الأرض بالصاعقة التي /م ٤٤ أنزل الله تعالى عليهم بدعاء شعيب ، فصلحت لدخول الملائكة والأنبياء ، والمؤمنين الصالحين ، فصارت طيّبة طاهرة مشرقة ، كالشمس في رابعة النهار ، تشرق على العوالم السفليّة فتعطي كل ذي حق حقّه ، وتسوق إلى كل مخلوق رزقه ، وهو العرش مستوى الرحمن ، فافهم ، واشرب عذباً صافياً هنّاك الله .

---

(١) في (ح) ، (م) : الثلث .

(٢) في (ح) : فيهما .

(٣) سورة هود : ٩١ .

(٤) سورة هود : ٩٢ .

(٥) في (ح) : فظهرت .

العبد الثالث : الكتاب الصغير ، والمختصر الوجيز ، ونسخة اللوح المحفوظ ، وهو الذي قال العالم عليه السلام[١] :

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر
أتزعم أنّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر
وفيك الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

ولك أنْ تجعل العبد عامّاً ، وهو كل ذرّة من ذرات الوجود ، على حدّ ما قال الشاعر[٢] :

كل شيء فيه معنى كل شيء ... فتفطّن واصرف الذهن إليّ
كثرة لا تتناهى عدداً[٣] ... قد طوتها وحدة الواحد طي

والكلام في هذا المقام طويل الذيل ، والاختصار هو المطلوب ، لما قيل : (خير الكلام ما قلّ ودلّ) ، لكن الفقير ، المعترف بالقصور والتقصير ، بإعانة الله العليّ الكبير ، كتبت هذا المطلب ، أي الأمور المشار

---

(١) سبق تخريجه : ١/١٢٦ .
(٢) جامع الأسرار ، الآملي : ١٩٥ . نص النصوص ، الجامي : ٦٨ .
(٣) في (ح) : أبداً .

إليها بلفظ الألف في الله على كمال البسط[1] ، والتفصيل في شرحنا على الفوائـــد للأستاد ، أدام الله بركاته علينا ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين .

[**الوجود التشريعي والتكويني والشرع الوجودي والوجود الشرعي**] :

ولّما أنّ الله سبحانه خلق الخلق ؛ لإظهار رحمته وكرمه ، وإحسانه وامتنانه ، وهو إيصالهم إلى المراتب العالية ، والدرجات المتعالية ؛ لينالوا بها حظوظهم ، وليأخذوا نصيبهم من الرحمة الواسعة ، التي وسعت كلّ شيء، و(**أبى أن يجـــري الأشياء إلاّ بأسبابها**)[2] ، لحكم ومصالح تحيط ببعضها عقولنا ، جعل لكلّ ذات وحقيقة عملاً يكون وصلةً وسبباً لوصولها[3] إلى تلك الدرجات والمقامات .

فكلّفها بها ، وحثّ على فعلها ، وتوعد على تركها ، على تفصيل لا يسعني الآن بيانه ، ونهاها عن أمور يقطع ارتكابها عن البلوغ /م ٤٥ إلى

---

(١) في (ح) : البساطة .

(٢) الكـــافي ، الشيخ الكليني : ١٨٣/١ ، ك الحجة ، ب معرفة الإمام والرد إليه /٧ . بصائر الدرجات ، الصفار : ٢٦/١ ، ب ٣ معرفة العالم الذي من عرفه عرف الله ... /١ . مجمع البحرين ، الشيخ الطريحي : ٥٦٥/٢ ، ب ش ، (ش ي أ) .

(٣) في (ح) : لموصولها .

أعــلى المقامــات ، ومكّــن[١] الشخص من ارتكابها لئلاّ يكون التكليف بالإلجــاء ، وليــتحقّق الطائع والعاصي ، والمؤمن والكافر ، ولئلاّ يكون المحســن أولى بالإساءة من المسيء ، والمسيء أولى بالإحسان من المحسن ، لكــنّه تعالى مكّن أداء المأمور ، وسهّل سبيل اجتناب المحظور ، و لم يكلّف الطاعة إلاّ دون الوسع والطاقة /ح ١٩ .

وهــذه الأمور – أي الأعمال والعبادات – يسمّونها في الاصطلاح الوجــود التشــريعي ، كما أنّهم يسمّون الأوّل بالوجود التكويني ، لكن العــارف الكامل الأستاد – أيّده الله بفنون تأييداته – سمّى الأوّل بالشرع الوجودي ، والثاني بالوجود الشرعي[٢] ، والمعنى واحد لا اختلاف إلاّ في العبارة .

فأشار إلى الوجود التشريعي يعني[٣] بقوله تعالى اللام المذكورة بعد الألف ، وهي إشارة إلى إلزام خلقه الولاية – أي ولاية الولي عليه السلام – فإنّ قــبول ولايــة الولي ، والإقرار بها ، هو القبول والإقرار بجميع ما جاء به الأنبــياء والمرسلون من عند الله تبارك وتعالى ، [لأن كل ما عند الله فهو حق ، وكل ما جاء به الأنبياء فهو من عند الله تبارك وتعالى][٤] فكل ما

(١) في (ح) : تمكن .

(٢) شرح الزيارة ، الأحسائي : ٣٢٨/٢ .

(٣) لم ترد في (م) .

(٤) لم ترد في (ح) .

جـــاء به الأنبياء فهو حق . فكلّ الأنبياء صادرون عن أمر الولي ، وكلّ ما يأمـــر الولي فهو أمر الله ، ولذا قال تعالى : ﴿ **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾(١) .

وقال : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾(٢) .

وقال : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾(٣) .

فكـــلّ حـــقّ فهو من أمر الولي ، وكلّ باطل فهو من نهيه ، فإلزام [الخلق ولاية](٤) الولي هو الأمر بكلّ معروف ، والنهي عن كلّ منكر .

[الأعمال الظاهرية والباطنية]

وأشـــار بـــتكرار(٥) اللام إلى قسمي العبادات والأعمال فإنّها على قســـمين : ظاهـــريّة وباطنـــيّة ، والظاهريّة ظاهرة ، والباطنيّة هي أعمال الحـــواسّ والقوى والمشاعر والإدراكات الباطنيّة ، كالفؤاد والقلب والعقل والـــنفس والخـــيال والواهمة والحافظة والمفكّرة ، وأمثال ذلك من القوى

---

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) سورة النساء : ٨٠ .

(٣) سورة النجم : ٤- ٥ .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) في (ح) : بتكرر .

الباطنية ، ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ أي الأعمال الظاهريّة[١] ﴿ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾[٢] .

والألف إشارة إلى البرزخ المتوسّط بين العالَمين ، عالم الظاهر وعالم الباطن ، وهو عالم الأشباح ، والمثل النوريّة[٣] ، والأبدان النورانيّة التي لا روح فيها ، فإنّ الألف هي السراج ، وهو الباب الواقف بين الطتنجين[٤] ، مسّ النار والنار والأشعة والأظلّة ، كما هو حال البرازخ ، والمثال مقرّب من وجه ، ومبعّد من كلّ الوجوه ، أين حال /م ٤٦ السراج والبرزخ ، وبينهما بون بعيد ، كما يعرفه العلماء الراسخون ، ولذا طويت خطّاً .

[أسباب الأعمال ومقتضياتها] :

ولّما كانت هذه الأعمال والعبادات والمحرّمات والمنهيّات أسباباً ومقتضيات ، وتظهر مسبّباها ومقتضياها[٥] عند زوال المانع ، وحصول الصوغ الثاني الذي لا يحتمل الكسر ، وموت الموت وذبحه ، وهو يوم القيامة ، أراد الحق سبحانه أن يبيّن ذلك ، ويظهر ما هنالك ، ليتمّ الوجود

---

(١) في (ح) : الظاهرة .

(٢) سورة المؤمنون : ٦٣ .

(٣) في (ح) : المثال النورانية .

(٤) في (ح) : التطنجيين .

(٥) في (ح) : مقتضياها ومسبّباها .

بإتمام الكلمة ، فأشار إليها بالهاء ، أي هوان لمن خالف[١] الولاية ، والمخالفة هي المضادّة .

والولاية هي الأمر بكلّ معروف ، والنهي عن كلّ منكر ، ومخالفتها هي الأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف ، فيظهر أثره في [القيامة][٢] ظاهراً عند الشخص ، وعند الله تبارك وتعالى ، وأنبيائه ، ورسله ، وأوليائه، وهو الخذلان والهوان والحرمان ؛ لأنّ الذي يمسّ المركّب تسودّ يده[٣] بإذن الله تبارك وتعالى ، وإنّ المركّب سبب للسواد مع حصول الشرائط ، والنار سبب للإحراق مع حصول الشرائط .

فلا يرتفع هذا السواد ما لم يغسل يده بالماء ، أو بشيء آخر طاهر ، ولو كان إلى آخر الدهر ، وأمّا إذا غسلها فتطهر[٤] ، وكذا المعصية تقلب صورة الشخص إلى صورة حيوان من الحيوانات ، أي البهائم .

مثلاً : إذا[٥] كانت معصيته من جهة الشهوة تنقلب صورته إلى صورة الدُبّ ، وإذا كانت من جهة الغضب تنقلب صورته إلى صورة الكلب ، وأمثال ذلك .

---

(١) في (ح) : يخالف .

(٢) في (ح) ، (م) : القيمة .

(٣) في (ح) : يسوده .

(٤) في (ح) : فطهر .

(٥) في (ح) : إن .

فهــو عــلى هذه الحالة ما لم يتب ، فإذا تاب توبة صحيحة تنقلب صورته إلى صورة الآدميّ ، أي الصورة الإنسانيّة ، فهو على هذه الحالة ما لم يعــصِ ، فإذا عصى تنقلب صورته إلى صورة ما يناسب تلك المعصية ، فهــو عــلى تلك الحالة ما لم يتب ، وهكذا الإنسان في كلّ حال يكسر ويصاغ ، إلى وقت موته ، وقبض روحه .

ولهــذا يرى من له بصر حديد ، ويكشف الغطاء عن بصره الناس عــلى صور مختلفة ، متفاوتة من صور البهائم ، وحشرات الأرض ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ **لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً** ﴾(١) .

فــإذا قــبض روحــه يقبض على ما هو عليه من صورة السعادة والشــقاوة ، والإنسانيّة والحيوانيّة ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾(٢) .

فــإذا كان على صورة الحيوانيّة في الظاهر والباطن ، ولم يكن من أهــل الشــفاعة يبقى على تلك /م ٤٧ الحالة أبداً خالداً معذّباً ، والقول

---

(١) سورة الكهف : ١٨ .

(٢) سورة ق : ١٩ .

بانقطـاع العـذاب[١] قول من لم يطّلع على حقيقة الأمر ، و لم يفهم كنه المراد ، وسنحقّق - إن شاء الله تعالى - .

وإذا كـان محـبّاً للوليّ عليه السلام وإن كان عاصياً كمال المعصية ، فلا يدخـل النار ، ولا تنقلب صورته الحقيقية ؛ لأنّ حبّه حسنة لا تضرّ معها سـيّئة ، وبغضه سيّئة لا تنفع معها حسنة[٢] ، وهنا كلام ذكرنا في شرح الفوائد فراجع إليها .

وهـذه الإشـارة تلويـح إلى ما أعدّه الله سبحانه لعباده المتّقين ، العـاملين بمقتضـى الولاية ، لأنّه ضدّه ، والضدّ له دلالة على ضدّه دلالة ذاتـيّة، كما ذكرنا في شرح الفوائد ، وما عكس الأمر للإشارة إلى إبطال أقوال أقوام يقولون بانقطاع العذاب ، وعدم تأبيد العقاب ، فإنّ الهوان هو الهـوان الأكـبر ، والهـلاك الأعظم ؛ لانصراف إطلاق المطلق إلى الفرد الكامل، وهذا الذي ذكرنا لك هو المأثور عن أهل البيت عليهم السلام فتّش كتب

---

(١) الأسفار ، الشيرازي : ٣٤٩/٩ .

(٢) قـال صلى الله عليه وآله : (**حـب علي عليه السلام حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة**) .

الفضائل ، ابن شاذان القمي : ٩٦ . الصراط المستقيم ، العاملي : ١٩٦/١ ، ب٧ في شـيء ممـا ورد في فضائله عليه السلام ، ف ١٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٤٨/٣٩ ، تـاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ب٨٧ حبه وبغضه صلوات الله عليه ... /١٠ . عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ٨٦/٤ ، الخاتمة ، الجملة الثانية /١٠٣ .

الحديث تجد - إن شاء الله تعالى - ، فإنّي لا أصرّح بالمراد ، قال ونعمّا قال :

به پيري رسيدم در اقصاي يونان ... بدو گفتم أي آن كه باعقل وهوشى
بـه عالم چه بهترز هرچيز گفتا ... ا گر راست پرسي خموشي خموشي

انظر يا أخي - وفّقك الله تعالى - كيف جمع في هذه الكلمة الشريفة[1] كلّ الوجود ، وأسراره وأطواره بكلا قسميه ، من الوجود[2] التكويني والتشريعي ، وما يترتّب عليهما ، وهو الكافي لمن له نظر واعتبار، ولذا قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[3] ، فافهم ، واشرب عذباً صافياً هنّاك الله تعالى .

[ج - لفظ الجلالة والمقامات] :

ومنها : أنّ الألف هي مقام الظاهر ، ومظهر النور الباهر ، /ح ٢٠ ومقام ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[4] على من يشاء ؛ لأنّ الألف هي

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (م) : وجودي .

(٣) سورة الأنعام : ٩١ .

(٤) سورة الأنعام : ١٤٩ .

الحجّة على كلّ الحروف ، والرسول إليها ، ومترجم الوحي الذي ينـــزل إليه الوحي[١] من أحكامها وأسرارها .

والـــلام إشـــارة إلى باطن الظاهر وظاهر الباطن ، وأشار باللامين المدغمين المتّصلين ، إلى أنّ هذا المقام مقام الأبواب ، فله وجهان :

وجـــه إلى مـــبدئه يأخذ منه ، ووجه إلى ما تحته يفيض عليه ، فهو واحد وله وجهان ، وهو سرّ الإدغام والاتّصال ، فافهم .

والألـــف الثاني إشارة إلى باطن الباطن ، وهو مقام المعاني ، أي[٢] الصفات الزائدة الخلقيّة الفعليّة ، كالعلم والقدرة ، والسمع والبصر والحياة والمشيئة و/م ٤٨ الإرادة ، والخلق والرزق ، وأمثالها من الصفات الفعليّة .

والهـــاء إشـــارة إلى الهويّة السارية ، وهو التوحيد ، ومقام البيان ، ومقـــام الجلال ، والصحو والسكر ، والفناء والبقاء ، وصبح الأزل ، وهو مقـــام معرفة النفس ، التي هي معرفة الربّ ، ولذا قال في الدعاء : (**إلهي أمـــرتني بالـــرجوع إلى الآثار ، فأرجعني إليها بكسوة الأنوار ، وهداية الاستبصـــار ، حـــتّى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها ، مصون**

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) في (ح) : أو .

السـرّ عن النظر إليها ، ومرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها ، إنّك على كلّ شيء قدير)[١] .

وقال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[٢] .

قـال العالم عليه السلام : (**نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا**)[٣] فافهم ، فإنّه من غوامض الأسرار .

وكـون المجمـوع كلمة واحدة إشارة لأهل الإشارة ، إلى أنّ هذه المراتب في شخص واحد ، كلّ ذلك من مراتبه وظهوراته ، فأوّل المراتب وأعلاهـا مقـام : (**لنا مع الله حالات ، نحن فيها هو ، وهو فيها نحن ، وهـو هـو ، ونحن نحن**)[٤] ، وآخرها وأسفلها مقام : ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾[٥] ، والمقام الثالث هو مقام : (**ما وسعني أرضي ،**

---

(١) بحـار الأنـوار : العلامة المجلسي : ٢٢٦/٩٥ ، أبواب ما يتعلق بشهر ذي الحجة ، ب ٢ أعمال خصوص يوم عرفة ... /٢ . إقبال الأعمال ، الحسني : ٣٤٩ (الحجرية) .

(٢) سورة فصلت : ٥٣ .

(٣) بصـائر الدرجات ، محمد بن الحسن الصفار : ٥١٧/١٠ ، ب ١٦ ، في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار / ٦ . الكافي ، الشيخ الكليني : ١٨٤/١ ، ك الحجة ، ب معرفة الإمام والرد إليه / ٩ . تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي : ١٤٣ ، سورة الأعراف /١٧٤ .

(٤) شرح الأربعين ، القمي : ٢١٣ . الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ١٧٤ .

(٥) سورة الكهف : ١١٠ .

ولا سمـــائي ، ووسعني[١] **قلب عبدي المؤمن**)[٢] ، والمقام الثاني مقام[٣] قوله تعالى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ** ﴾[٤] ، ﴿ **أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ** ﴾[٥] ، وأمثال ذلك من الآيات .

ولـــذا كـــان هذا الاسم هو الاسم الأعظم ؛ لاشتماله على أجلّ المراتب ، وأعلى المقامات ، ولذا قال الله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِـــهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[٦] ، أي تمسّك بالاسم العظيم الأعظم ، وأعرض عن الكفّـــار والجاحدين ، فإنّه يغنيك عن كلّ شيء ، وسيوضح هذا المرام إن شاء الله تعالى[٧] .

---

(١) في (ح) : بل وسعني .

(٢) عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ٤/٧ ، الخاتمة ، الجملة الأولى /٧ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٥٥/٣٩ ، ك السماء و العالم ، ب٤ العرش والكرسي وحملتهما /٦١ .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) سورة الحديد : ٢٥ .

(٥) سورة الرعد : ٣٣ .

(٦) سورة الأنعام : ٩١ .

(٧) انظر : ٢/٣١ .

[د – لفظ الجلالة والعوالم] :

ومنها : أنّ الألف الأوّل هي الألف القائم البسيط الكلّي في وحدته، واللامان المدغمان المتّصلان المنفصلان إشارة إلى ما في العوالم الملكيّة من المراتب المشاركة[1] في الملكوتيّة ، وكونها في الدهر المفارقة في المراتب ، والتقدّم والتأخّر .

والهاء إشارة إلى عالم الملك الشهودي[2] ، من أوّل العرش – أي محدّد الجهات – إلى الثرى ، إنّما أشار إليه بالهاء التي هي من حروف عالم الجبروت ، إشعاراً بأنّ هذا الآخر هو عين الأوّل ، إذا زالت السبحات يكون الآخر هو الأوّل ، كما أشار إلى عالم الجبروت بالباء في (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ، وهي من حروف عالم الملك ، إشعاراً بأنّ الأوّل هو عين /م ٤٩ الآخر .

وتفصيل هذا الإجمال كتبناه في شرح الفوائد ، ولا يفهم حقيقة الأمر في هذه المسألة إلاّ من قابل مرآة الحكماء ، ومن لم يقابلها لم يعرفها كما هي ، اللهمّ اجعلنا منهم بمحمدّ وآله الطاهرين .

وقد تّمت العوالم في هذه الكلمة :

عالم الجبروت : وهو الألف القائم .

---

(١) في (ح) : وللمشاركة .

(٢) في (ح) : الشهادة .

وعالم الملكوت : وهو اللامان المدغمان المتّصلان المنفصلان .

وعالم الملك : وهــو الهاء .

فــالمجموع تمام الــوجود ، وهو الكلمة التامّة ، ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً** ﴾[1] .

إن كنــت مــا أخاف لبيّنت المرام من هذا الكلام ، لكنّي أقول لا حــول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، إن رأيت ما كتبنا سابقاً في شرح الفوائد تفهم هذا الكلام ، وإلاّ فلا تنكره وردّه إلى أهله ، الذين يستنبطونه من العلم .

[**هـ - لفظ الجلالة والحجب**] :

ومنها : أنّ هذه الكلمة الشريفة خمسة أحرف ، وهي إشارة إلى تمام الوجود الذي هي خمسة حجب .

الأوّل : هو الحجاب الأبيض ، الدرّة البيضاء .

الثاني : هو الحجاب الأصفر ، وهو البقرة الصفراء .

والثالث : هو الحجاب الأخضر الزمرّدة الخضراء .

الــرابع : هــو الحجاب الأحمر ، الياقوتة الحمراء ، وإليها أُشير في الأخبار بقصبة الياقوت .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٥ .

الخامس : هو الحجاب الأسود ، كالليل الدامس .

وفي كـــلّ واحد من هذه الحجب عشرة مراتب ومواقف ، فيكون خمســين ، وهو خمسين ألف عام ، وتظهر في كمال الظهور في القيامة ، ولذا كان يومه خمسين ألف عام .

وفي هـــذا إشارة إلى أنّ أبدان الآخرة وأجسامها وأحوالها ، وجنّتها ونارها ، هي بعينها أبدان الدنيا وأجسامها وأحوالها ، وجنّتها ونارها ، ﴿ **كُلَّمَـــا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً** ﴾[١] .

وعـــلى هذا التأويل شواهد من الآيات والأحاديث[٢] ، لا يناسب هذا المقام ذكرها .

والـــيوم يوم واحد إذ ليس في جنّة الآخرة ليلة ويوم ، إنّما هو نور موجود ، وظلّ ممدود ، وإنّما قيّدنا الجنّة بالآخرة ؛ لأنّ في جنّة الدنيا يوماً ولـــيلةً ، وغدوّاً وعشيّاً ، كما نطق به الحقّ في كلامه الكريم[٣] ، فافهـم ، فهّمك الله وإيّانا من مكنون العلم ، ومخزون السرّ بالنبيّ وآله الطاهرين .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .

(٢) الأمـــالي ، الطوســـي : ٥٨١ ، مجلـــس ٢٤ /٩ . الاحـــتجاج ، الطبرسي : ١٠٤/٢ ، احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام .

(٣) قـــال تعالى : ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ۞ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً** ﴾ . سورة مريم : ٦١-٦٢ .

[و – لفظ الجلالة والتوحيد والمعرفة] :

ومنها أنّ هذه الكلمة الشريفة إشارة إلى مقام التوحيد والمعرفة ، ونعني بالتوحيد التوحيد الحقيقي ، القسم الرابع من التوحيد الصفاتي ، تسمّيه العلماء العرفاء[1] /م ٥٠ بمقام الفناء في البقاء ، ومقام السكر في الصحو ، ومقام الوجود في العدم ، وأمثال ذلك من العبارات والإطلاقات، التي مآلها واحد .

فالألف المتحرّكة إشارة إلى الألف اللينيّة ، إشارة بالمظهر إلى الظاهر، وهو الشائع الذائع ، لأنّ الألف المتحرّكة هي ظهور الألف اللينيّة، فوحدهما عدديّة ؛ لتعيّنها في حدّ خاصّ ، وإن كانت عامّة فهي منفيّة عن الحق تعالى ، وأمّا قول العالم عليه السلام في الدعاء : (**لك يا إلهي وحدانيّة العدد**)[2] ، فإشارة إلى أنّه /ح ٢١ تعالى منزّه عنها ، وهي ملكه ، وتحت حيطة تصرّفه ، ومخلوقه ، (**ولا يجري عليه ما هو أجراه**)[3] ، كما لا يخفى .

---

(١) أسرار الشريعة ، الآملي : ١٢٥ .

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة ، الإمام زين العابدين عليه السلام : ١٤٥ ، دعاء : ٧٤ .

(٣) اقتباس من قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**وكيف يجري عليه ما هو أجراه ، ويعود فيه ما هو أبداه**) .

ووحدها - أي الألف الليّنيّة[(١)] - ليست بعدديّة ، بل وحدها وحدة الشمول والانبساط ، ولذا ترى الصوفيّة يقولون[(٢)] في المثال التوحيدي - أي الوجودي الشهودي - أنّ الحق تعالى كالواحد في الأعداد ، وكالألف في الحروف ، ولا يريدون بالواحد والألف الوحدة العدديّة ، والألف المتحرّكة ؛ لأنّهم في كثير من المواضع نفوها عنه تعالى ، ونزّهوه عنها ، سبحان ربّي عمّا يقولون علوّاً كبيراً ، وعمّا يصفون ، ونحن لا نقول بقولهم ، [ولا نسلك مسالكهم][(٣)] ، بل نقول إنّ مقام توحيد الحق - أي ظهوره للخلق بالخلق - كالألف في الحروف ، والواحد في الأعداد ، والفرق بينهما واضح لمن عرف كلامنا فيما سبق[(٤)] .

وبالجملة ، الألف إشارة إلى السرّ الإلهي ، والنور الربّاني ، وتجلّي الحق للخلق ، واللامان المدغمان المتّصلان المنفصلان ، إشارة إلى أحوال ذلك المقام وأوصافه ، فأشار بالاتّصال والإدغام إلى أنّه هو أي معرفته

◄ نهج البلاغة ، الشريف الرضي : ١/١٢١ ، الخطب /١٨٦ . الاحتجاج ، الطبرسي : ١/ ٣٠٠ ، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام . أعلام الدين ، الديلمي : ٥٩ . تحف العقول ، الحراني: ٦٧ .

(١) في (ح) : اللينة .

(٢) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٧٧ . مطلع خصوص الكلم ، القونوي : ١/٣٣٨ . الأسفار، الشيرازي : ٢/٣٠٨ . نقد النصوص ، الجامي : ٦٨ .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) انظر : ١/٢٤٩ .

معرفـــته وتوحـــيده توحـــيده ، وهو مقام (**نحن هو وهو نحن**) ، وأشار بالانفصـــال إلى مقـــام الفرق في عين الجمع ، وهو مقام (**إلاّ أنّه هو هو ونحن نحن**)[1] ، ولقد قلت في بيان معنى هذا الكلام ، بالفارسيّة ، بالتمثال بالنار والحديدة المحميّة فيها ، وهو هذا :

گويـــد آتـــش هـــين به آهن[4] تومنم ... مـــن تويي وتو تويي ومن منم[2]

ذات مـــا باشـــد زيكـــد يگـــر جدا ... فعـــل مافعلى أست واحد نِي دوتا

چونكـــه خـــود رادر أطاعت سوختي ... آتـــش حـــبّم بـــه دل افـــروختي

مـــن بـــه تـــو فاعل شوم تو فعل من ... من به تو[3] ظاهر شوم توزاهل من

/م ٥١ وهذا البيان كاف في هذا المقام ، ولقد قال الشاعر وأجاد :

زبس بستم خيال تو ، تو گشتم باي تاسر من

تـــو آمد رفته رفته ، رفت من آهسته آهسته

---

(١) سبق تخريجه : ٢٤٤/١ .

(٢) في (ح) : من تو و لكن توتوي من منم .

(٣) في (ح) بتو .

(٤) في (ح) : بآهن .

تأمّل في حقيقة هذا البيت تعرف منه من الحقائق والأسرار ، ما لا يحتمله العلماء الفحول .

وأشار بالألف الثاني إلى وحدة ذلك المقام مع تركّبه ، يعني أنّك في ذلك المقام لا ترى شيئاً ، إلاّ الواحد المحبوب ، مع قطع النظر عن الوحدة والمحبّة ؛ لأنّ المحبّة حجاب بين المحبّ والمحبوب ، فافهم .

وأشار بالهاء إلى الهويّة المحضة الصرفة ، أي تلك المرتبة هي مرتبة الذات البحت الصرف ، المعرّاة عن جميع اعتبارات الحقيّة والخلقيّة ، إذ كلّ اعتبار مطلقاً ينافي الهويّة المحضة ، وهي النفس التي من عرفها عرف الله ، ومن جهلها جهل الله .

فهذه الكلمة بيان ووصف لمقام تلك المعرفة ، التي هي كمال المعرفة الحقيقيّة الإمكانيّة لكلّ موجود من الموجودات ، على تفاوت مراتبها ، واختلاف درجاتها ومقاماتها ، من أوّل الوجود إلى آخره ونهايته ، وسيأتي[1] تحقيق هذا المطلب - إن شاء الله تعالى - في بيان التوحيد في ﴿ **لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ ، ولذا كان هذا الاسم هو الاسم الأعظم[2] ، فافهم واشرب عذباً صافياً ، وفّقك الله لما يحبّ ويرضى .

---

(١) انظر : ١/٣٠٥ .

(٢) تفسير سورة التوحيد (مجموعة رسائل فلسفية) ، الشيرازي : ٤٤٥ .

[ز - لفظ الجلالة ومراتب الوجود] :

ومـــنها : أنّ الألف هي الإشارة إلى الوحدة السارية في العالم ، فإنّ العالم مع تكثّره وتعدّده ، وأجزائه وجزئيّاته ، وأفراده ومجرّداته ومادّياته ، تجمعهـــا حقيقة واحدة مسمّاة باسم واحد ، كما في الحديث : (**إنّ الله خلق اسماً بالحروف غير مصوّت ، وباللفظ غير منطق ، وبالشخص غير مجسّـــد ، وباللون غير مصبوغ ، بريء عن الأمكنة والحدود ، ثمّ جعله على أربعة أجزاء فأظهر الثلاثة منها ؛ لفاقة الخلق ، وأفقد واحداً منها ، فهـــو المكنون المخزون ، ثمّ خلق لكلّ**[1] **من هذه الثلاثة أربعة أركان ، فذلك اثني عشر**)[2] إلى آخر الحديث ، ذكرت الحديث بالمعنى ؛ لأنّي ما حفظت اللفظ بكلّه .

فأشـــار بالاسم الواحد إلى العالم من حيث هو ، فإنّه من حيث هو واحد بسيط ، لا يقبل القسمة ، قال العالم عليه السلام [3] :

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) انظر : الكافي ، الشيخ الكليني : ١/١١٢ ، ك التوحيد ، ب حدوث الأسماء /١ . التوحيد، الشيخ الصدوق : ١٩٠ ، ب ٢٩ أسماء الله تعالى ... /٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤/١٦٦ ، ك التوحـــيد أبواب أسمائه تعالى ... ، ب ١ ، المغايرة بين الاسم والمعنى والحرف ... /٨ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٦/٤١٢ . نور البراهين ، الجزائري : ١/٣٥ . تفسير ابن كثير ، ابن كثير : ١/٢٦ ، سورة الفاتحة .

وفي كـــل شيء له آية تـــدلّ عـــلى أنّـــه واحد

/م ٥٢ وهذه الوحدة هي من ظلّ الوحدة الإلهيّة الدالّة على وحدة الصانع - تعالى شأنه - .

وهو (**بالحروف غير مصوّت**) ؛ لأنّ الحروف من أجزائه ، والكلّ غـــير الجزء ، وهكذا اللفظ والشخص واللون والمكان والزمان والأوضاع والحدود ، وكلّ شيء في الوجود ، إنّما هو جزؤه ، ولا يصدق الكلّ على مـــا يصـــدق علـــيه الجزء ، وإلاّ لكان الكلّ جزءاً ، والجزء كلاً ، إلاّ في المواضع التي يطلق اسم الكل على الجزء مجازاً .

قوله عليه السلام : (**ثمّ جعله على أربعة أجـــزاء**) ، إشارة إلى انقسام الوجود والعالم إلى الأقسام الأربعة ، عالم اللاهوت ، وعالم[1] الجبروت ، وعالم الملكوت ، وعالم الملك .

وقوله عليه السلام : (**فأظهـــر منها ثلاثة لفاقة الخلق**) وهي هذه الثلاثة الأخـــيرة ؛ لأنّ مدار تكوّن الخلق وإدراكاتهم وإيجاداتهم وانوجاداتهم على هذه الثلاثة ، كما لا يخفى .

و(**المكـــنون**) هـــو العالم الأوّل ؛ لعدم احتياج الناس إليه على ما ذكرنا في رسائلنا مطالع الأنوار .

---

(١) لم ترد في (ح) وكذا الثانية .

الحاصل أنّ العالم أمر واحد بسيط ، لا تقبل القسمة ، فأشار إليه بكلّه بالإجمال بالألف ؛ لأنّ له من العدد الواحد ، وللإشعار بأنّ هذه الوحدة هي ظلّ الوحدة الأزليّة الثانويّة ، التي هي صاحب الأزليّة الأوّليّة .

ثم فصَّل الحق سبحانه وتعالى هذا الإجمال باللام ، فأشار إليه بالقابليّات والمقبولات ، يعني أنّ الوجود يدور على اثنين قابل ومقبول ، ويساوي في هذا المعنى كلّ موجود ، إلاّ أنّ جهة القبول في الأشياء مختلفة ، وكذا المقبول ، وأشار إلى القابليات بالتصريح ، وإلى المقبولات بالكناية ، فذكر اللام ، ولها من العدد ثلاثون ، وهي ميقات موسى ، قال تعالى : ﴿ **وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً** ﴾[1] .

[الخلق من عشر قبضات] :

وذلك لأنّ الشيء إنّما خلق من عشر قبضات :

القبضة الأولى : من العرش محدّد الجهات ، خلق منها قلبه .

والقبضة الثانية : من فلك الكرسي ، خلق منها صدره .

والقبضة الثالثة : من فلك زحل ، خلق منها عقله .

والقبضة الرابعة : من فلك المشتري ، خلق منها علمه .

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٢ .

والقبضة الخامسة : من فلك المرّيخ ، / ح ٢٢ خلق منه وهمه .

والقبضة السادسة : من فلك الشمس ، خلق منها وجوده الثاني .

والقبضة السابعة : من فلك الزهرة ، خلق منها خياله .

والقبضة الثامنة : من فلك عطارد ، خلق منها فكره .

والقبضة التاسعة : من فلك القمر ، خلق منها حياته .

والقبضة العاشرة : من الأرض /م ٥٣ ، خلق منها جسمه وجسده.

[**الدورات الثلاث للقبضات**] :

وهـــذه القبضـــات العشر لا تظهر في عالم الظهور متمايزة ، فاعلة لفعل خاصّ لها ، إلاّ إذا دارت عليها ثلاث دورات :

الأولى : الدورة العنصريّة .

والثانية : الدورة المعدنيّة .

والثالثة : الدورة النباتيّة .

فـــإذا دارت الـــدورة النباتيّة تهيّأ[1] لتعلّق الروح الحيوانيّة بها ، فإذا ضـــربت الثلاثة في العشرة يصير ثلاثين ، وهو قوى اللام ، والقابليّات ، والثلاثون ليلة لميقات ربّ موسى .

---

(١) في (ح) : يتهيأ .

وقال[1] واحد : إنّ العالم غيب لم يظهر قطّ ، والله تعالى هو الظاهر ما غاب قطّ ، والناس في هذه المسألة على عكس الصواب ، فيقولون إنّ الله تعالى غيبٌ ، والعالم ظاهر .

الحاصل ، إنّ أهل الحكمة الذين أوتوا خيراً كثيراً ، لا يلتفتون قطّ إلى الأدلّة المذكورة في كتب المتكلّمين ، كدليل التمانع[2] ودليل الفرجة[3] وأمثالهما من الأدلّة ، [قال ونعمّا قال :

پاي استدلاليان چوبين بود ... پاي چوبين سخت بي تمكين بود][4]

وسنحقّق[5] إن شاء الله تعالى مراتب التوحيد ومراتب الموحّدين على كمال ما ينبغي ، بفضل الله وقوّته ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

---

(١) نص النصوص ، الآملي : ٤١٩ .

(٢) كشف البراهين ، الأحسائي : ٢٢٠ . كشف الفوائد ، الحلي : ١٩٣.

(٣) كشف البراهين ، الأحسائي : ٢١٩ .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) انظر : ٣٠١/١ ، ٣٠٥ .

ليس بشيء ، يعني أنّ الصنم ليس بإله ، وكذا هذا المتصوّر[١] في الخيال ، أو في الوهم ، ليس بشيء ، أي ليس بشريك كما توهّمته .

ولذا ترى العارفين عليهم السلام ليس استدلالاتهم في التوحيد مثل ما قرّره المتكلّمون ، والحكماء المشّاؤون ، والمسفسطون ، ولا يتصوّرون الشريك أبداً ، ولا يجوّزونه ، ويقولون إنّ دليلنا في التوحيد هو قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[٢] وهو هو ، (**لا يسمع صوت إلاّ صوته ، ولا يرى نور إلاّ نوره**)[٣] ، (در هرجه نظر كردم سيماي تو مي بينم) .

قال العالم عليه السلام في الدعاء : (**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك**)[٤] الدعاء.

---

(١) في (ح) : التصور .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ .

(٣) مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٤٨١ ، أدعية الأسبوع ، دعاء ليلة الخميس /٢٨ . المصباح ، الشيخ الكفعمي : ١٢٦ ، دعاء ليلة الخميس . البلد الأمين ، الشيخ الكفعمي : ١٣٤ ، دعاء ليلة الخميس . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٠٤/٨٧ ، أبواب فضل يوم الجمعة ... ، ب٩ أعمال الأسبوع وأدعيتها ... ، دعاء ليلة الخميس /٣٤ .

(٤) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤٢٦/٩٥ ، أبواب ما يتعلق بشهر ذي الحجة ... ، ب٢، أعمال خصوص يوم عرفة .../٢. إقبال الأعمال ، الحسني : ٣٤٩ (الحجرية) .

ولمّا كانت هذه التصوّرات تفسد عليهم أمورهم شيئاً فشيئاً ، أرسل الله تعالى إليهم الرسل والكتاب ، وقال لهم : إنّ هذه التصوّرات والتوهّمات ، أو هذه الأصنام التي صنعتموها ، وجعلتموها شريكاً لي ، ليس بشيء ، أي ليس بالذي قصدتم من الشركة ، لا أنّه ليس بشيء أصلاً، نعم هو شيء لكن لا الذي قصدوا .

ولذا قيل[١] : إنّ المعاصي أعدام مع أنّها شيء ، وهو قوله تعالى: ﴿ **أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً** ﴾[٢] ، مع أنّهم يجدون السراب ، وهو شيء ، فنفي الشيئيّة إنّما هو من جهة ما قصدوا ، لا مطلقاً ، وإلاّ لا يصحّ . وكذلك الكلام في هذا المقام .

ولا فرق /م ٦٠ بين ما تصوّره في الذهن ، وما يصنع الشخص في الخارج صنماً ، ويسمّيه شريكاً ، مثلاً إذا قلت للرجل المشرك ، شريك الباري ممتنع ، وشريك الباري ليس بشيء ، ليس مرادي أنّ هذه الخشبة التي صنعتها صنماً ليس بشيء ، بل المراد أنّ الذي قصدت من هذه الخشبة

---

(١) تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٤/٩١ .

(٢) سورة النور : ٣٩ .

وأمّا ثانياً : فنقول : إنّ كلّ ذهني منتزع من خارجي ، على ما قرّرنا سابقاً مجملاً[١] ، وفي رسائلنا مفصّلاً[٢] ، وإن لم يكن شيئاً لم يكن متصوّراً على القاعدة المقرّرة ، وكذا تصوّر الممتنع ، كما لا يخفى .

فالحق في الكلام هو أنّ معنى قولك : شريك الباري ليس بشيء ، أي ليس بما قصدتم من توهّم الألوهيّة ، وذلك لأنّ الناس لمّا لم تكن لهم مرتبة العصمة ، وكان للشيطان عليهم[٣] سبيلاً ، أدخل الشيطان في أذهانهم هذا التصوّر الفاسد ، فهم يتصوّرون شيئاً وله صورة[٤] وحدود وهيئة ، ويسمّونه شريكاً لله تبارك وتعالى من جهة الإمكان .

وهذا التصوّر مخلوق لله تبارك وتعالى في[٥] الخزانة الإمكانيّة السوأى[٦] ، التي خلق الله تعالى فيها جميع الكواذب ، والاحتمالات الباطلة الفاسدة ، مخلوقة لله تعالى ، فهو مخلوق مثلك ، مردود إليك ، ليس هو شريك الباري .

---

(١) انظر : ١٦٨/١ .

(٢) سبق تخريجه : ١٦٨/١ .

(٣) في (ح) : عليهم للشيطان .

(٤) في (ح) : وصورة ذا .

(٥) في (ح) : و .

(٦) في (ح) : السوى .

مـــن ثلاثة تصوّرات ، أو أربعة ، على اختلاف تصوّر الموضوع ، وتصوّر المحمول ، وتصوّر النسبة الحكميّة ، والحكم ، أو تصوّر الحكم والحكم .

فقولـــك : شريك الباري ممتنع ، قضيّة لا بدّ من هذه التصوّرات ، فيجـــب عليك في /م ٥٩ هذا التصديق أن تصوّر أوّلاً شريك الباري ، ثمّ تصوّر الممتنع ، ثمّ تصوّر النسبة التي بين الشريك والممتنع ، ثمّ تصوّر الحكم عـــلى الشريك بالامتناع ، ثمّ الحكم ، فإذا وجب التصوّر يكون اللاشيء شيئاً ، والممتنع ممكناً ، لأنّ التصوّر هو حصول صورة الشيء في الذهن ، فهـــذا المتصـــوّر هل هو شيء ؟ ، أم لا ؟ ، فإن كان شيئاً كيف يتّصف بالامتناع .

ولا يقال : إنّ المتّصف بالامتناع هو الخارجي لا الذهني .

لأنّا نقول :

أمّـــا أوّلاً : فيلزم أن يكون له شريك في الذهن ، لأنّ على زعمك الذي في الذهن ليس بممتنع ، وإنّما الممتنع هو الخارجي ، فيجوز أن يكون لـــه تعالى شريك في الذهن ، مع أنّ كلّ ما في الذهن مخلوق مثلنا ، كيف يكون شريكاً ؟ .

و[1] كلّ ما تصوّره شيء ، وليس شريكاً للباري ، قال العالم : (**لم يتصوّر أحد شيئاً إلاّ وقد خلقه الله قبل ذلك ، حتى لا يقال : لم يخلق ذلك**)[2]، وليس الذي خلقه الله تعالى شريكاً له .

ولا يقال : إنّ الذي أتصوّره ليس شريكاً ، بل هو آلة الملاحظة ، ووجه أتوجّه[3] به إليه ، كما سمعت من بعض العلماء مراراً .

لأنّـا نقول : اللاشيء الصرف لا مظهر له ، ولا وجه له ، لأنّ المظهر إنّما يكون للشيء الظاهر له ، وشريك الباري ليس شيئاً .

ولعمري إنّهم إذا تأمّلوا في معنى عباراتهم وقواعدهم المقرّرة لعرفوا ذلـك ، وذلك لأنّهم صرّحوا[4] في الكتب المنطقيّة أنّ القضيّة هي المركّبة

---

(١) في (ح) : إذ .

(٢) قـال الإمـام الرضا عليه السلام : (**ولا يقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً ، لئلا يقول قائل : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى**) .

علل الشرائع ، الصدوق : ١٤/١ ، ب ٩ ، علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم /١٣.
عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق : ٨١/١ ، ب٣٢ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلـل /١ . بحـار الأنـوار ، العلامة المجلسي : ٤١/٣ ، ك التوحيد ، ب٣ إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده ... /١٥ .

(٣) في (ح) : التوجه .

(٤) تحرير القواعد المنطقية ، القزويني : ٨٦ . حاشية ملا عبد الله ، اليزدي : ٥٦ .

وجـــود ونسمّيها باللاشيء][1] /ح ٢٤ ، والممتنع مثل تسمية الـــرجل الموجود بالمعدوم .

وإتيان هذه العبارات والألفاظ من جهة إزالة الشكوك ، والشبهات عـــن خواطر الأوهام ، ولذا قال : ﴿ **أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ** ﴾[2] ، يعني الشريك له .

ولا يصـــحّ أن يكون شيء لا يتعلّق به علم الله ، أو[3] يتصوّر أحد شـــيئاً لا يعـــلمه الله ، كيف وقـــد قال تعالى : ﴿ **وَأَسِـــرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَـــبِيرُ** ﴾[4] ، فكلّ التصوّرات والتخيّلات والتوهّمات أمور خلقها الله تعالى ، بإنزالها من الخزائن العالية أو السافلة إلى أذهان الخلق .

وهذا الذي صرّح الحق [سبحانه على][5] أنّه لا يعلم لا يكون له وجـــود أصـــلاً ، لا في الذهن ، ولا في الخارج ، لا في الإمكان ، ولا في الأعيان ، فشريك الباري لا يعقل ، ولا يتصوّر أبداً في حال من الأحوال ،

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) سورة الرعد : ٣٣ .

(٣) في (ح) : أم .

(٤) سورة الملك : ١٣-١٤ .

(٥) لم ترد في (ح) .

[تحقيق حول قولهم : شريك الباري ممتنع]

فـــإذا تحقّـــق هذا ، تعرف أنّ تصوّر الشريك لله تعالى ممتنع ، وإلاّ يجب أن يكون له تعالى شريكاً ، فلا يحمل الامتناع عليه ، فيبطل قولك : (شريك الباري ممتنع) .

ومـــن هـــنا تعرف وتعلم أنّ اللاشيء الصرف ، والعدم المحض ، والممتـــنع الصرف ، لا يتصوّر ، ولا يتعلّق العلم به ، ولا عبارة له ، وهذه العـــبارات لجهـــة إمكانـــه ، إذ لا شكّ بأنّ هذه الألفاظ /م ٥٨ ليست بمهمـــلات ، بـــل هي موضوعات ، واللفظ الموضوع ما وضع للمعنى ، والمعنى إن لم يكن شيئاً ليس بمعنى .

وأمّا هذه الألفاظ ، فهي موضوعة بإزاء الأمور التي بتصوّر الخيال ، ويخلقها الله تعالى في خزائنه بمقتضى أوهامهم وخيالاتهم ، من باب الحكم الوضـــعي[1] عند أهل الأصول ، فهي موضوعة بإزاء معانٍ حادثة مخلوقة ، فـــإذا قلـــت اللاشيء ، أو العدم المحض ، يتوجّه خيالك إلى شيء وفضاء خالٍ، تسمّيه باللاشيء ، [ولذا قيل إن مفهوم اللاشيء ، ومفهوم العدم ،

(١) في (ح) : الوضع .

وكــذا العــلماء أجمعوا بأنّ الوجود الذهني هو الوجود الظلّي[٢] ، ولا شــكّ أنّ الظلّ لا يتحقّق بدون الشاخص وذي الظلّ ، وإلاّ فلا يكون ظلاً وهذا خلف .

فــإذا كان ما في الذهن هو الظلّ والصورة ، وهما يحتاجان إلى ذي الصــورة والشاخص ، تعيّن أن يكون لكلّ متصوّر ذات خارجية ، ينتزع صــورها ، ويدخلها في الذهن ، فالذات في الخارج ، لاستحالة أن يكون الظــلّ والشاخص في مرتبة واحدة ؛ لأنّ الأثر والمؤثّر لا تجمعهما حقيقة واحدة قطّ .

ومــن عرف حقيقة الأمر يعرف وجه استحالته ، وثبت أنّ ما في الذهن هو الصورة ، فيكون ما في الخارج هو الذات ، فكلّ متصوّر لك ، ذات خلقــه الله تعــالى في خزائنه التي قال : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِــنُهُ وَمَــا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾[٣] ، والأدلّة على هذا المطلب من الوجدان ، من العقل والنقل كثيرة ، لا يقتضي المقام ذكرها .

---

(٢) الأســفار ، الشــيرازي : ٣١٤/١ . شــرح العرشية ، الشيخ الأوحد : ٢٩٥/٣ . شرح الفوائد، الشيخ الأوحد : ١٨٨ ، الفائدة ١٠ .

(٣) سورة الحجر : ٢١ .

[معنى الاستثناء في كلمة التوحيد]

واعلم أنّه قيل : ما معنى هذا الاستثناء ، فإنّ الإله إن كان موجوداً فما معنى النفي ، وإن كان معدوماً فكذلك أيضاً .

والجواب : أنّ الإله ، وإن لم يكن موجوداً ، لكن لمّا كان بعض الأوهام - لتعلّق نفوسهم بالشهوات الجسمانيّة - ، انقطعت عن ملاحظة العالم الأعلى ليعرفوا أنّ تصوّر شريك الباري ممتنع ، تتصوّر شيئاً ، وتسمّيه شريكاً له تعالى ، وإن كان عبداً مرزوقاً ، لقوله عليه السلام : (**كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم ، وأدركتموه بعقولكم في أدقّ معانيه ، فهو مخلوق مثلكم ، مردود إليكم**)[1] .

فأتى بهذه العبارة وأمثالها - مثل : وحده لا شريك له - مكنسة لغبار الأوهام ، وإلاّ فلا يتصوّر الممتنع وشريك الباري ، ولا يمكن ذلك أبداً ؛ لأنّ التصوّر هو حصول صورة الشيء في الذهن ، ولا شكّ أنّ الصورة تحتاج إلى ذي الصورة ، وإلاّ فلا تكون صورة ، بل هي أصل ، هذا خلف .

---

(١) قال الإمام الباقر عليه السلام : (**كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه ، مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود إليكم**) . القبسات ، الداماد : ٣٤٣ . جامع الأسرار ، الآملي : ١٤٣ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي العاملي : ٣٩٨ .

وأمّـــا عـــلى التقدير الثالث فيصح أيضاً ، لأنّك إذا قلت : (لا إله مستحق للعبادة إلا الله) ، /م ٥٧ نفيت كلّ الشركاء ؛ لأنّ من لم يستحق له العبادة فليس بإله ، كما لا يخفى على العارف الفطن .

فـــإنْ كان الأول : فليس بإله أيضاً ؛ لأنّا لا نعبد العاجز الفقير ، بل معبودنا هو الغني القادر الكبير .

وإنْ كـــان الثاني : فليس بإله أيضاً ؛ لفقدانه الكمال ، الذي هو أتم الكمالات ، إذا كان قادراً أن يستقل بالمملكة ، ويوحّد في الحكم ، وإلا فهو عاجز فقير ، لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون[١] ، فإذا نفينا الإله الموجود نفينا الإله مطلقاً ، موجوداً كان أو ممكناً ، كما عرفت بالدليل .

وأمّا على التقدير الثاني : فيصحّ أيضاً ؛ لأنك إذا قلت : (لا إله ممكن إلا الله) ، نفيـــت كل الآلهة ؛ لأن نفي العامّ يستلزم نفي الخاص ، مثلاً إذا نفيت الحيوان نفيت الإنسان والفرس وأمثالهما ، بخلاف ما إذا نفيت الإنسان، ولا شكّ بأنّ الإمكان أعمّ من الأعيان ، فكل ما في الأعيان فهو ممكن ، ولا كـــل مـــا في الإمكان هو موجود ، فإذا نفيت الإمكان نفيت الأعيان البتّة ، والمـــراد بالإمكـــان ما يخالف الوجوب والامتناع ، فقولك (لا إله إلا الله) معـــناه أنّ الإله سواه ممتنع ، لا ضير[٢] في ذلك ، لقولهم[٣] : شريك الباري ممتنع .

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . سورة القصص : ٨٨ .

(٢) في (ح) : والأخير .

(٣) الأسفار ، الشيرازي : ٢٣٨/١ . إرشاد الطالبين ، السيوري : ١٧٣ .

فاضــطربوا اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة[١] ، وما عرفوا وجه المخلص ، وقالوا بأمور يضيع الوقت بذكرها .

[قول السيد المصنف قدس سره في خبر لا]

وما عرفوا أنّ المعنى يصح في كل من هذه التقادير الثلاثة .

أمّـــا عـــلى التقدير الأول : فيتمّ المقصود ؛ لأنّك إذا قلت : (لا إله موجـــود إلا الله) ، نفيت كل إله سوى الله ممكناً كان أو موجوداً ، وذلك لأنّ الإلـــه[٢] لا بدّ وأنْ يكون ظاهراً مستقلاً في الأعيان ، له هيمنة وتسلّط وتحكّـــم على ما خلق ، وهذا الشريك الذي في الإمكان وبعد ما ظهر ووجد في الأعيان ، هل هو ما يقدر أنْ يوجد ويظهر في الأكـــوان إلا بمرجّـــح ؟ ، أم لا ؟ .

فإنْ كان الأول : فليس بإله ؛ لأنّ الإله هو ما لا يكون محتاجاً أبداً .

وإنْ كـــان الـــثاني : هل هو من جهة عدم مقاومته ومعادلته مع الإله الموجود تعالى وتقدّس ؟ ، أم من جهة تصالحه واتّفاقه ؟ .

---

(١) اقتباس من قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**بل اندمجت على مكنون علم ، لو أبحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة**) .

نهـــج البلاغة ، الشريف الرضي : ٤١/١ ، الخطب /٥ . كشف اليقين ، العلامة الحلي : ١٨٠ ، ب١ ، المطلب ٢ ، المبحث ٦ . جواهر المطالب ، الدمشقي : ٣٠٦/١ ، ب٤٩ .

(٢) في (ح) : الله .

[الأقوال في خبر ﴿ لا ﴾]

الحاصـــل ، إنهم اختلفوا في خبر ﴿ لا ﴾ نفي الجنس ، في هذا المقام ، هل هو موجود ؟ ، أو ممكن ؟ ، أو مستحق للعبادة[1] ؟

وعلى كل تقدير أوردوا إيراداً ، وقالوا :

إذا قدّرنا الخبر موجوداً يصير المعنى : (لا إله موجود إلا الله) ، وهذا ينفي الإله الموجود ، ولا ينفي الإله الممكن ، لجواز أنْ يكون الإله ممكناً ، و لم يكن موجوداً[2] .

وإذ قدّرنـــا الخبر ممكناً ، يصير المعنى : (لا إله ممكن إلا الله) ، وهذا يـــنفي الإلـــه الممكن ولا ينفي الإله[3] مطلقاً ؛ لجواز/م ٥٦ أنْ يكون الإله موجوداً ، و لم يكن ممكناً .

وإذا قدّرنـــا الخـــبر مستحقاً للعبادة ، يكون المعنى : (لا إله مستحق للعـــبادة إلا الله) ، وهـــذا ينفي الإله المستحق للعبادة سوى الله ، ولا ينفي غيره؛ لجواز أنْ يكون الإله و لم يكن مستحقاً للعبادة .

---

(١) تفســـير سورة التوحيد ، الشيرازي : ٤٣٦ . اللباب ، الدمشقي : ٣١٣/٤ . شرح الأربعين ، القمي : ٦٨ .

(٢) شرح الأربعين ، القمي : ٦٨ .

(٣) في (ح) : إله .



[كلمة التوحيد في مقام الظاهر]



قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

اعلم أنّ الظاهريّين الذين ما شمّوا رائحة الحقيقة والباطن ، وما عرفوا الحيث والكم والكيف ، وما عرفوا مفصولهم وموصولهم ، وما يؤول إليه أمورهم ، حجبهم القشر عن اللب ، والصورة /ح ٢٣ عن المعنى .

وما عرفوا أنّ الصورة تنزّل المعنى ، والقشر ظهور اللبّ بظهور مخصوص ، وبروز معيّن ، وله بروز وظهور ، في غير هذا القشر بصور أخرى ، فأخذوا الصورة فعرفوا المعنى بها ، فما عرفوا ذلك المعنى الظاهر بصورة أخرى ، كما إذا عرف الإنسان بأنّه زيد مثلاً[١] ، فلم يعرفه ذلك العارف إذا تعيّن بتعيّن آخر ، وحصل له اسم[٢] سوى الأول .

مثالهم مثل من يرى الشبح من بعيد ، ولم يتميز له حقيقة الأمر ، ففي كل ساعة يتجدد يقينه ، ومثال أهل الحقيقة مثل من يرى ذلك الشبح بعين اليقين ، ويعرفه كما هو .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (ح) : باسم .



[تفسير قوله تعالى :

﴿ لا إِلَهَ إِلَّا هو ﴾]

وهذا أوان الشروع في تفسير كلمة التوحيد ، وتحقيقها ، وباطنها ، [وباطن باطنها][١] .

---

(١) لم ترد في (ح) .

يحصيها[١] إلاّ الله سبحانه وتعالى ، ومن نزل عليه[٢] .

والحقــير الفقير ، كتمت كثيراً منها لوجوه[٣] ، منها لعدم احتمال الناس ، وللنهي عن التكلّم بما تسارع العقول في إنكاره ، ومنها من جهة الخـــوف من فرعون /م ٥٥ وملئه ، ومنها من جهة التطويل المخلّ لدرك المقصود ، فاقتصرت على هذا القدر ، وإنْ شاء الله تعالى أكتب في تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جميع هذه الأسرار سوى القسم الأول .

بـــل أكتـــبه إنْ شاء الله الرحمن[٤] كما كتبوا ، وأقول كما قالوا ، بالتلويح والإشارة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الـــلهمّ [صـــلّ على محمد وآل محمد و][٥] اجعلني اللهمّ خيراً مما يظـــنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، واجعل عاقبة أمورنا ، وخاتمة أعمالنا خيراً ، واجعلنا ممّن كفر بالطاغوت ، وآمن بالله ، ومن المتمسّكين بالعروة الوثقى ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

والحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وآله الطاهرين وأصحابه الأكرمين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

---

(١) في (ح) : لا تجمعها .

(٢) في (ح) : إليه .

(٣) في (ح) : بوجوه .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) لم ترد في (ح) .

وثـاني غصن نبت من شجرة الخلد هو عالم الأظلّة وورق الآس ، وهو عالم الأرواح ، أي الرقائق ، وهو المرتبة السابعة .

والغصـن الثالث من شجرة الخلد هو[1] اللوح المحفوظ ، والكتاب المسطور ، في الرقّ المنشور ، وهو عالم النفوس ، ومقام الرسم والنقوش ، وهو المرتبة الثامنة .

والغصـن الـرابع من تلك الأغصان الشريفة ، من تلك الشجرة الطيّـبة، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، عالم الطبيعة النور الأحمر ، الذي منه احمرّت الحمرة ، وهو المرتبة التاسعة .

والغصـن الخـامس من تلك الشجرة عالم المادّة والمثال ، وجوهر الهباء، وهو المرتبة العاشرة .

والغصـن السادس من تلك الشجرة عالم الأجسام ، ومحلّ النقش والارتسام ، وهو المرتبة الحادية عشر .

هذه المراتب هي التي تجمعهاكلمة هو ، فهي تفصيل للهاء ، والهاء تفصيل اللام ، واللام تفصيل الألف .

فكـلمة الله هي الجامعة لجميع مراتب الوجود ، على أنحاء مختلفة ، وأطـوار متشتّتة متعدّدة ، وفيها أسرار ولطائف ، ومعارف وحقائق ، لا

---

(١) في (ح) : وهي .

وقــد أشار الحق سبحانه إلى هذه المراتب الخمسة بالتفصيل ، وإلى مــا سواها من المراتب بالإجمال ، في قــوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ** ﴾ ، وهو النفس الرحماني الأولي .

﴿ **بُشْــراً بَــيْنَ يَــدَيْ رَحْمَتِه** ﴾[(١)] ، وهي النقطة الجوهريّة الغير المنقسمة ، لا في الطول ، ولا في العرض ، ولا في العمق .

وأشــار إلى المرتبة الثالثة بقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً** ﴾ ، وهو الحروف العاليات .

﴿ **ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً** ﴾[(٢)] ، وهو قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا أَقَلَّــتْ سَحَاباً ثِقَالاً** ﴾ ، وهــو الكلمة التامّة المجتمعة ، ﴿ **سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ** ﴾ ، وهو القابليّات الميتة ، والأرض الجُرز المستعدّة للإحياء .

﴿ **فَأَنْزَلْــنَا بِــهِ الْمَاءَ** ﴾ ، ماء[(٣)] الوجود ، أي الدلالة من الكلمة التامّة ، ﴿ **فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾[(٤)] ، وهي الموجودات .

فكان أوّل من ذاق ثمرة الوجود ، وأوّل غصن نبت في شجرة الخلد روح القدس ، وعالمه عالم الجبروت ، وهو المرتبة السادسة .

---

(١) سورة الأعراف : ٥٧ .

(٢) سورة النور : ٤٣ .

(٣) في (ح) : أي .

(٤) سورة الأعراف : ٥٧ .

[مراتب الوجود الخمس] :

وإن كان لنا أن نبيّن على طريق آخر بأن نقول :

المرتبة الأولى : عالم الأمر والإبداع .

والمرتبة الثانية : عالم المثال الملقى في هويّة الموجودات .

والمرتبة الثالثة : عالم الجبروت .

والمرتبة الرابعة : عالم الملكوت .

والمرتبة الخامسة : عالم الملك .

وإذا أُشبعت الهاء ، وأخرجت منها الواو ، تكون إشارة إلى تفصيل الهاء ، فنقول إنّ هذه المراتب الخمسة على أحد عشر مرتبة :

المرتبة الأولى : مقام النقطة الجوهريّة ، والحقيقة المحمّدية صلوات الله عليه وآله .

المرتبة الثانية : مقام الألف والنفس الرحماني الأولي .

والمرتبة الثالثة : مرتبة الحروف ، والسحاب المزجى .

والمرتبة الرابعة : مرتبة الكلمة التامّة مقام الظاهر ، والسرّ المقنّع بالسرّ .

والمرتبة الخامسة : مقام الدلالة وظهور الظاهر وتجلّي المتجلّي والماء الأوّل /م ٥٤ .

ولّمــا هّيأت واستعدّت هذه القبضات ، بعد تلك الدورات لقبول الحياة تعلّقت الروح الحيوانيّة بها ، فتدور الدورة الرابعة ، فتكون عشرة ، وهــي تمــام ميقات ربّ موسى ، وهي رتبة المقبولات ، وهو الأربعون ، وهو الميــم في (**بسم الله الرحمن الرحيــم**) ، وهو معنى قوله تعــالى : **﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾**[1] .

فــتمام الــثلاثين[2] هي تمام القابليّات ، وتمام الأربعين هو مجموع القابليّات والمقبولات ، فاللام إشارة إلى رتبة القوابل بالتصريح ، وإلى رتبة المقبولات بالكناية والتلويح .

وبــاللام الثاني إشارة إلى أنّ هذه القوابل والمقبولات على قسمين : ظاهــريّ وبــاطنيّ ، وبالإدغــام والاتّصال أشار إلى أنّ الشخص الواحد يجمعهــا، فهما في عين الاتّصال منفصلان ، وفي عين الانفصال متّصلان ، فافهم ولا تكن من الغافلين .

وأشــار بالهاء إلى تفصيل اللام ، يعني أنّ الوجود الذي هو مركّب مــن القابلــيّات والمقبولات ، على خمسة مراتب ، وهي الحجب الخمسة المذكورة .

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٢ .

(٢) في (ل) : الأربعين .

[تحقيق حول المفاهيم الخمسة عند المتكلمين]

وممّا سبق[١] من التحقيق ظهر لك أنّ قول المتكلّمين أنّ المفاهيم على خمسة أقسام[٢] : الواجب لذاته ، والواجب لغيره ، والممتنع لذاته ، والممتنع لغيره ، والممكن لذاته ، باطل لا أصل له .

[أ – عدم دقة العبارات] :

لأنّ الواجب لذاته ليس مفهوماً ، ولا يدخل في الذهن أبداً .

والواجب لغيره ليس واجباً ، بحيث لا يتخلّف ، نعم يتخلّف إذا أراد الله تعالى كتخلّف الإحراق /م ٦١ – ح ٢٥ عن النار في قضيّة إبراهيم عليه السلام ، وتخلّف التبريد عن الماء في قضيّة ذلك الخبيث لما دعا عليه الحسين عليه السلام[٣] ، وأمثالهما من الأمور الخارقة للعادة ، وإن سلّمنا أنّه لا يتخلّف ليس واجباً ، بل هو ممكن ، ومن أقسامه .

---

(١) سبق في : ١/٢٧٩ .

(٢) كشف المراد ، الحلي : ٥١ . كشف الفوائد ، الحلي : ٥٤. إرشاد الطالبين ، السيوري : ٢٢.

(٣) الثاقب في المناقب ، الطوسي : ٣٤١ ، ب٦ ، فصل ٣/٨ . تاريخ الطبري ، الطبري : ٤/ ٣٤٣ ، سنة إحدى وستين . البداية والنهاية ، ابن كثير : ٨/٢٠٣ ، سنة إحدى وستين . مثير الأحزان ، الحلي : ٥٣ ، المقصد الثاني .

والممتنع لذاته ليس شيئاً حتّى يكون مفهوماً ، ولا عبارة عنه ، ولا إشارة إليه .

وكذا الممتنع لغيره قسم من أقسام الممكن .

وكذا قولهم الممكن لذاته ؛ لأنّهم إن أرادوا بالإمكان الذاتي أنّ الشيء يكون عليه بدون جعل جاعل ، وتأثير مؤثّر ، أم لا .

فإن كان الأول ، يلزم أن يكون الإمكان قديماً ، ومنه يلزم تعدّد القدماء.

وإن كان الثاني ، فليس الإمكان لذاته ، إنّما هو لغيره .

[ب – عدم وجود المقسم] :

وأيضاً المقسم أيّ شيء ؟ ، هل هو واجب لذاته ، أو واجب لغيره، أو ممتنع لذاته ، أو ممتنع لغيره ، أو ممكن لذاته ، أو غيرها ؟ .

فإن كان الأوّل يلزم أن يكون المقسم قسماً من الأقسام ، يلزم أن يكون قسم الشيء قسيماً له .

فإن كان الثاني فأيّ شيء هو ؟ فإنك حصرت الوجود والعدم في هذه الخمسة ، وبعدُ ما بقي لك شيء آخر ، إذ ليس عندك شيء ، ليس بواجب ، ولا ممتنع ، ولا ممكن ، فيبطل التقسيم ، ولا ينفعك عدم الملاحظة ، لأنّها كذب بحت ، ولكن معرفته من نصيب أولي الأفئدة .

[ج – عدم مناسبة المقسم للأقسام] :

وأيضاً المقسم هل هو شيء ؟ أم ليس بشيء ؟ .

فإن كان شيئاً كيف يكون أحد أقسامه لا شيئاً بحتاً ، وعدماً صرفاً، وهو الممتنع عندك ، ضرورة أنّ المقسم لا بدّ أن يعتبر في الأقسام .

وإن لم يكن شيئاً كيف يكون مقسماً ، وكيف يكون أحد أقسامه هو شيء البحت الصرف ، وهو حقيقة الشيء الذي لا شيء سواه ، ولا موجود غيره ، لأنّ التقسيم هو ضمّ القيود المتخالفة بالمقسم ، ليحصل من ضمّ كلّ قيد قسم ، كما هو المعلوم عند أهل الفن .

[د – لزوم تركب الواجب تعالى والممتنع] :

وأيضاً يلزم تركيب الواجب والممتنع ، لأنّ الأقسام مركبّة من المقسم الذي هو ما به الاشتراك ، ومن القيود المتخالفة المنضمّة بالمقسم ، الذي هو ما به الافتراق والامتياز ، والتركيب منفيّ عن الحقّ تعالى شأنه ، وعن الممتنع ؛ لأنّه ليس شيئاً حتّى يقال فيه أنّه بسيط أو مركّب .

[مناقشة قولهم : المفاهيم ممكنة وهي وجه لمتعلقاتها] :

فـإن قلت : إنّ هذه المفاهيم والأقسام كلّها ممكنة محدثة ، لكنّا[١] اعتبرناها وجهاً لمتعلّقاتها[٢] .

نقول : أمّا في الواجب تعالى شأنه فالوجه صحيح ، لكن الوجه له ملاحظتان /م ٦٢ :

إحداهمـا : ملاحظته من حيث إنّه ممكن مخلوق محدث ، لا يملك لنفسـه نفعـاً ولا ضـرّاً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، وهو في هذه الملاحظة ليس وجهاً ، وإنّما هو مخلوق من المخلوقات .

وثانـيهما : ملاحظـته مـن حيث إنّه ممكن ، مع كشف جميع السبحات ، وإزالة جميع الاعتبارات ، ولمّا كان الطريق إلى الحقّ مسدوداً ، والطلب مردوداً، فتوصف الوجه بصفاته فتعرفه به ؛ لأنّ معرفته معرفته ، وطاعته طاعته ، وعبادته عبادته ، ورضي الله عنك بهذا المقدار ، وإلاّ لكان التكلـيف بمـا لا يطـيقه المخلوق ، فإذاً لا توصفه بصفات الحوادث ، المخلوقين ، المحتاجين، لأن الله تعالى خلق الوجه على هيئة معرفته ، وهيكل

---

(١) في (ح) : لكن .

(٢) في (ح) : لتعلقاتها .

توحـــيده ، فتنـــزّهه عن التركيب والبساطة ، والكلّيّة والجزئيّة ، والجنسيّة [والفصليّة والنوعيّة][(١)] ، والتجرّدية والماديّة .

وبالجملـــة تنـــزّهه عن كلّ نقصٍ ، وتصفه بكلّ كمالٍ ؛ لأنّه غاية إدراكك ومبلغك من العلم ، بشرط أن تزيل السبحات ، وتمحو الموهوم ، وتهـــتك الســـتر - على ما سيجيء[(٢)] - فهناك يكون وجهاً ، وفي مقام الوجه لا تعتبر جهة النقص والخلق .

وأمّـــا التقســـيم وجعـــل الواجب قسماً مركّباً من المقسم والقيود المـــتخالفة ، وجعله قسماً من المفهوم الذهني ، كلّها من صفات المخلوقين وأحوالهم وأوصافهم ، لا يعرف الله به قال عليه السلام : **(اعرفوا الله بالله)** [(٣)]، قال الشاعر[(٤)] :

إذا رام عاشـــقها نظـــرة ... فـــلم يستطعها فمن لطفها
أعارتـــه طـــرفاً رآهـــا بـــه ... فكـــان البصـــير بها طرفها

---

(١) لم ترد في (ح) ، وجاء مكانه : والفعلية .

(٢) انظر : ٢٢/٢ ، ٤٠ .

(٣) الكـــافي ، الشيخ الكليني : ٨٥/١ ، ك التوحيد ، ب أنه لا يعرف إلا به /١ . التوحيد ، الشـــيخ الصـــدوق : ٢٨٦ ، ب٤١ أنـــه ﷻ لا يعرف إلا به / ٣ . روضة الواعضين ، النيسابوري : ٣٠ ، ب الكلام فيما ورد من الأخبار في معنى العدل و التوحيد .

(٤) الإنسان الكامل ، الجيلي : ٥١ .

وأمّا في الممتنع فلا نسلّم الوجه ولا نقبله أبداً ، لأنّ الوجه هو المظهر ، وهو لا يكون إلاّ لظاهر ، والظاهر لا يكون إلاّ لشيء ، والعدم الصرف ليس بشيء ، فلا يكون له مظهر أصلاً .

ومن العجائب أنّ الواجب والممتنع الذاتي على هذا التقسيم والتقدير تجمعهما حقيقة واحدة ، ويطلق عليهما[1] الشيئيّة بالاشتراك المعنوي ، وهذا من الغرائب التي تضحك عليها الثكلى .

وأمّا الواجب لغيره ، والممتنع لغيره ، فليسا غير الممكن ، فالحق هو ما قال العالم عليه السلام : (**حقّ وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما**)[2] .

فقل كما قال[3] الأستاذ العارف الكامل - سلّمه الله تعالى ، وأيّده بفنون تأييداته ، ووفّقه بأصناف توفيقاته - : إنّ /م ٦٣ ما يعبّر عنه

---

(١) في (ح) : عليها .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق : ١٥٦/٢ ، ب١٢ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان ... /١ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٤٣٨ ، ب٦٥/١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣١٦/١٠ ، ك الاحتجاج ، ب١٩ مناظرات الرضا ... /١ .

(٣) الأستاذ : هو الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين بن إبراهيم المطيرفي الأحسائي البحراني . ولد في الأحساء ، في رجب سنة ١١٦٦ ، وتوفي وهو متوجه إلى الحج بمنزل هدية قريباً من المدينة المنورة بمرض الإسهال ، ليلة الجمعة ، آخر ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ ، وحمل إلى المدينة المنورة ودفن في البقيع . يروي عن جملة من العلماء ، منهم : السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي ، والسيد علي صاحب الرياض ، والشيخ جعفر النجفي صاحب كشف الغطاء ، وغيرهم . تتلمذ عليه كثير من العلماء ، ومنهم : السيد كاظم الرشتي ، والحاج

بــالوجود على ثلاثة أقسام : الوجود الحق ، والوجود المطلق ، والوجود المقيّد[١] .

والــذي في هذا المقام هو أن تقول الموجود : واجب ، وممكن[٢] ، والممكــن صــفة الواجــب ، واسمــه الــدالّ عليه بالربوبيّة والألوهيّة والوحدانيّة[٣].

محمــد إبراهيم الكرباسي ، وولداه الشيخ محمد تقي والشيخ علي نقي وغيرهم . مؤلفاته : شرح الزيارة الجامعة ، وشرح الحكمة العرشية ، وصراط اليقين في شرح تبصرة المتعلمين ، والفوائد .

انظر : روضات الجنات ، الخوانساري : ٩٧/١ . أعيان الشيعة ، الأمين : ٥٨٩/٢ .

(١) شــرح الفوائــد ، الأحســائي : ١٢٤ ، ف٦ . رسالة تقسيم الوجود (جوامع الكلم) ، الأحسائي : ١٠٠/٢ .

(٢) شرح المشاعر ، الأحسائي : ٢٨ .

(٣) شرح الفوائد ، الأحسائي : ٢٦ . شرح الزيارة الجامعة ، الأحسائي : ٤٠١/١ .



[وحدة الواجب تعالى]

وإذا عرفت الوحدة التي في العالم ، وفي الأشخاص ، مع تكثّره ، وتعدّده ، عرفت بأنّ الواجب لا بدّ أن يكون واحداً متوحّداً ، فرداً متفرّداً؛ لأنّ فعل الاثنين لا يكون واحداً ، فلا يقدر الشخص الواحد أن يقول : أنا ، بل يجب أن يقول : نحن ، وتفهم هذه المسألة إذا نظرت إلى السراجين اللّذين تعارضا في شخص واحد ، فترى هناك ظلّين غير تامّين ، كما لا يخفى على العارف الفطن ، ولذا قال عليه السلام[1] :

فوا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كلّ شيء له آية ... تدلّ على أنّه واحد

وسُئل العالم عليه السلام عن التوحيد ، قال عليه السلام : (**اتّصال التدبير ، وتمام الصنع**)[2] ، وهو معنى ما قلنا لك آنفاً .

---

(١) سبق تخريجه : ١/٢٥٤ .

(٢) التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٢٥٠ ، ب ٣٦ ، الرد على الثنوية والزنادقة /٢ . التفسير الأصفى ، الفيض الكاشاني : ٢/٧٨٠ ، سورة الأنبياء ، آية : ٢٢ . تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي : ٣/٤١٨ ، سورة الأنبياء /٢٧ .

وقد ملأ العلماء كتبهم الكلاميّة والحكميّة من أدلّة التوحيد[١] ، وهي للظاهريـيّن إن أرادوهـا ، ونحـن نعرض عن ذلك ؛ لأنّ أهل الظاهر لا ينتفعون من هذا[٢] الكتاب إلاّ قليلاً ، فنذكر شرذمة ممّا عليه أهل الباطن .

[أهل الباطن لا يطلبون الدليل على التوحيد]

اعلم أنّ أهل الباطن لا يطلبون الدليل ، ولا يلتفتون إليه ؛ لأنّ طلب الدليل لمن لا يكون على يقين ، وهم – صلوات الله عليهم[٣] – ما يرون شيئاً إلاّ ويرون الله قبله أو معه ، لا يجدون للخلق وجوداً ، إلاّ وجود الحق العظـيم – تعالى شأنه – ولذا قال عليه السلام في الدعاء : (**تعرّفت إليّ في كلّ شيء فرأيتك ظاهراً في /ح ٢٦ كلّ شيء**)[٤] .

وقـال أيضـاً : (**إنّ كـلّ معبود سواك ممّا دون عرشك إلى قرار أرضـك السابعة السفلى مضمحلّ باطل ، ما خلا وجهك الكريم ، فإنّه**

---

(١) انظر : ١/٢٨٢ .

(٢) في (ح) : من ذلك .

(٣) في (ح) : رضوان الله عليهم .

(٤) إقـبال الأعمـال ، الحسني : ٣٥٠ (الحجرية) . بحار الأنوار ، المجلسي : ٩٥/٢٢٧ ، ك الصـلاة ، أبـواب ما يتعلق بشهر ذي الحجة من الأعمال والأدعية ... ، ب ٢ ، أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها وأدعيتها / ٣ .

أعـــزّ وأجلّ من أن يصف الواصفون كنه جلاله ، أو تهتدي القلوب إلى كنه عظمته)[١] .

وقال : (**بوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء**)[٢] ، فلا يرون إلاّ الله، ولا يجدون سوى الله ، [وقد قلت في هذا المعنى بالفارسيّة :

وهـــم باشـــد وهـــم كـــثرت بينيـــت
ديـــده ب گشـــا ديـــده حق بينيت /م ٦٤

تابيـــيني جملـــه رانـــور خداســـت
پـس نظـر كـردن بـه غير أو خطاست

چشـــم را از عـــلم اخـــباري بـــپوش
در عـــيانـــي جـــان مـــن قـــدري بكوش

---

(١) مصـباح المـتهجد ، الشـيخ الطوسي : ٢٢٠ ، ك الصلاة ، صلاة الصبح /٧٠ . مفتاح الفـلاح، البهائي العاملي : ٦١ ، ب١ فيما يعمل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . بحـار الأنـوار ، العلامة المجلسي : ١٦٥/٨٣ ، ك الصلاة ، أبواب مكان المصلي ، ب٤٣ التعقيب المختص بصلاة الفجر /٤٤ .

(٢) مصـباح المـتهجد ، الشيخ الطوسي : ٥٧٢ ، ك الصلاة ، شهر رمضان ، ف في ترتيب نوافـل شهر رمضان /٥٧ . إقبال الأعمال ، السيد ابن طاووس الحسني : ٣٣٤/١ ، شهر رمضان ، ب٢٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٢٦/٨٣ ، ك الصلاة ، أبواب مكان المصـلي ، ب٤٥ الأدعـية والأذكار عند الصباح والمساء /٦٩ . تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي : ٩٥/٣ ، ك الصلاة ، ب الدعاء بين الركعات إذا صليت المغرب .../٢٩.

تاكـــه توحـــيد شـــهودي حاصـــلت

آيـــــد واز جملگـــــي بـــــربايدت

نـــور حـــق را در دلـــت بـــيني ظهـــور

كـــرده باشـــد همچـــو موســـى كوه طور

پـــس قـــدم بـــالا نـــه از ايـــن مرتـــبه

غـــير حـــقّ را جملگـــي گـــردان تـــبه

پـــــس تجلّـــــي جمـــــالي را بـــــبين

عشـــق عشـــقي راكـــه كَويند هست اين

عشـــق چـــبود غـــير اضـــمحلال خويـــش

وارهـــيدن از تمـــامي حـــال خويـــش

عشـــق ســـلطاني اســـت بافـــرّ وشـــكوه

چونكـــه آيـــد بـــايدت رفـــتن بـــه كوه

چيست عاشق ، مـــرده اي بي حس وهـــوش

چيســـت معشـــوق ، آن نگـــار پرخروش

چونكـــه عاشـــق فـــاني آمـــد در وجـــود

((مـــا رميـــت)) ديده را خواهد گشود

إلى آخر الأبيات][1] .

وإذا سألت أهل الباطن عن الدليل في التوحيد ، يقولون الله استنباطاً من قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[2] ، لأنّه لا يرى سوى الله .

وأهل الظاهر من جهة عدم معرفتهم بحقيقة الأمر ، يقولون إنّ هؤلاء ليس لهم دليل مستقيم ، وليس /م ٦٥ كلماهم برهانيّة تسكن إليها النفوس ، وتميل إليها القلوب .

وليس هذا إلاّ من جهة جهلهم بحقيقة الأمر ، وعدم معرفتهم بكلماهم ، لكنّهم إذا عرفوا مرادهم ، علموا أنّها كلّها منطبقة بالظاهر ، والأدلّة الظاهريّة ، لأنّ الباطن الحق لا يخالف الظاهر ، إلاّ أنّهم من جهة عدم الاعتناء بهذه الأمور الرذيلة ، لا يرتّبون القياس والأشكال الموافقة لما اصطلحوا عليه ، وهم يتخيّلون أنّهم لا يعرفون هذه الأمور ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، [هذه هي][3] الأمور المتعلّقة بظاهر هذه الكلمة المباركة ، ذكرناها بالإجمال .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ .

(٣) في (ح) ، (م) : هذا هو .

[كلمة التوحيد في مقام الباطن]



[كلمة التوحيد ومراتب التوحيد]

وأمّا الأمور المتعلّقة بباطنها ، فاعلم أنّ هذه الكلمة جامعة لجميع مراتب التوحيد ، وشاملة لكلّ جزئيّاتها وكليّاتها ، وظاهرها وباطنها ، وتحقيق هذه المراتب يتوقّف على بيان أمور :

الأوّل : في سبب اختلاف مراتب التوحيد مع وحدة الموحَّد (بفتح الحاء) .

الثاني : في تقسيم التوحيد أوّلاً وبالذات إلى أقسام أربعة .

الثالث : في تقسيمه باعتبار الموحِّد إلى قسمين .

الرابع : في تقسيم القسم الثاني إلى أقسام أربعة .

[الأول في اختلاف مراتب التوحيد]

أمّا الأوّل : فاعلم أنّه لّما امتنع إدراك كنه الذات - تعالى وتقدّس - لكونها في الأزل ، ونحن في الإمكان ، وهو لا ينــزل إلينا ، ونحن لا نصعد إليه ، [وفي هذا المعنى قال الشاعر :

عاشق به مكان در طلب جانان است
معشــوق بــرون ز حيّز امكان است
نــايد به مكان آن ، نرود اين زمكان
اين است كه درد عشق بي درمان است

وقال جامــي :

ممكــن ز تنگــناي عدم ناكشيده رخت
واجــب زجلــوه گــاه قــدم نانهاده گام
در حيرتم كه اين همه نقش غريب چيست
بر لوح صورت آمده مقبول خاص وعام][1]

---

(١) لم يرد في (ح) .

وخلقنا لأجل معرفة ذاته وصفاته وآثاره ، لقوله الصادق[1] :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2] أي ليعرفون[3] .

وقوله تعالى في الحديث القدسي : (**كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**)[4] .

يجب أن يعرّف نفسه لنا ، وإلاّ يلزم أن يكون فعله عبثاً ؛ /م ٦٦ لفقدان العلّة الغائيّة .

[سبب اختلاف مراتب التوحيد]

ولّما كان الخلق على أطوار وأحوال متعددة مختلفة ، متفاوتة في القرب والبعد ، والنورانيّة والظلمانيّة ، والتجرّد والماديّة ، والعلوّ والسفل ، وأمثال ذلك ، وقس عليها اختلاف لغاتهم ، وإدراكاتهم ، ومشاعرهم ، وأفهامهم ، وعقولهم ، وحقائقهم ، وما جرى الخلق على طور واحد ، بل

---

(١) في (ح) : تعالى .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٣) الرواشح السماوية ، الداماد : ٢٢ .

(٤) جامع الأسرار ، الآملي : ١٠٢ . شرح توحيد الصدوق ، القمي : ١/٤٠ . بحار الأنوار ، المجلسي : ٨٤/١٩٩ ، ك الصلاة ، أبواب النوافل اليومية وفضلها ... ، ب ١٢ ، كيفية صلاة الليل والشفع ... /٦ . اثنتا عشرة مسألة ، (رسائل الكركي) ، المحقق الكركي : ٣ /١٥٩ ، المسألة ١٢ .

خلقهم بمقتضى القابليّة ، وصف نفسه لهم - أي لكلّ واحد منهم - على قدر فهمه ، ومقدار عقله[١] ، ووفق لسانه ، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ** ﴾[٢] .

وإلاّ يلزم التكليف بما لا يطيقه الخلق ، فعرف كلّ واحد من الخلق توحيد الحق وصفاته وأسماءه وآثاره ، على ما هو عليه في مراتبه وأطواره وأحواله ، من الوجود والعقل والنفس والطبيعة والمثال والجسم ، وهو قوله تعالى : ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾[٣] ، أي أنزل من سماء المتجلّي ماء التجلّي ، فسالت أودية[٤] قوابل الممكنات الموجودة المتحقّقة حين الإنزال بقدرها ، فاختلاف مراتب التوحيد باعتبار مراتب الموحّدين .

فظهر أنّ التوحيد الذي للقريب غير الذي للبعيد ، وإلاّ لكان القريب والبعيد على حال[٥] سواء ، فتجلّى الحق[٦] سبحانه للبعيد من فاضل تجلّيه للقريب ، وظهر له بشعاع ظهوره ، والقرب والبعد أمران

---

(١) في (ح) : علمه ، وكتب فوقها مثل (م) .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

(٣) سورة الرعد : ١٧ .

(٤) في (م) : أدوية .

(٥) في (ح) : حالة .

(٦) لم ترد في (ح) .

إضـــافيّان ، يتعدّدان ويختلفان ، ويختلف التوحيد باختلافهما ، إلى أن يبلغ الأمـــر إلى أنّ الـــنملة تـــزعم أنّ لله زبانيتين ، لمّا رأتهما كمالاً لما اتّصف بهما[١].

فاختلاف مراتب التوحيد بعدد مراتب الخلائق ، بل بعدد أنفاسهم، إذ في كـــلّ نفس يتجلّى الحق للخلق ، غير ما تجلّى له في النفس الآخر ، وهو معنى قولهم : (**إنّ الله لا يتجلّى في صورة مرّتين**)[٢] ، كما لا يخفى عـــلى الفطن العارف ، ولذا يقولـــون : (**الطـــرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق**)[٣] .

فـــيكون لا إله إلا الله خاصّاً لكلّ فرد من أفراد الموجودات ، وقد يكـــون قـــول لا إله إلاّ الله شركاً بالنظر إلى الموجود الأقرب ، وتوحيداً

---

(١) قـــال الإمام الباقر عليه السلام : (**لعل النمل الصغار تتوهم أن لله زبانتين ، فإن ذلك كمالها ، ويعتقد أن عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما ، وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به**) .

رسالة العروة الوثقى ، البهائي : ٣٩٨ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٩٣/٦٦ ، ب٣٧ ، صفات خيار العباد وأولياء الله ... .

(٢) مصباح الأنس ، القونوي : ١١٠ . الأسفار ، الشيرازي : ٣٥٣/١ .

(٣) تفسير المحيط الأعظم ، الآملي : ٢٣٦/١ . مطلع خصوص الكلم ، القونوي : ١٣٣/١ .

خالصاً بالنظر إلى القائل ، ولذا قال تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ** ﴾[(١)] .

والملائكة : هم الملائكة العالون ، وحملة العرش ، والملائكة الكروبيّون .

وأولوا العلم : الأنبياء ، والمرسلون ، والمؤمنون ، والحقيقة الإنسانيّة، والحقيقة البهيميّة ، والحقيقة النباتيّة ، والحقيقة الجماديّة ، وكلّها أولوا العلم بالله ، ومسبّحون بحمده ، و /م ٦٧ التسبيح فرع العلم به ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[(٢)] [ولذا قيل بالفارسيّة :

دانش حق ذوات را فطري است دانش دانش است كان فكري است][(٣)]

[مراتب الموحِدين] :

[١ – مرتبة الحق تعالى] :

فشهادة الحق لذاته تعالى بالوحدانيّة هو التوحيد الخالص الصرف ، اللائق بجناب قدسه في الأزل ، لا يعلم كيف ذلك ، ولا يُدرى ما هنالك،

---

(١) سورة آل عمران : ١٨ .

(٢) سورة الإسراء : ٤٤ .

(٣) لم ترد في (ح) .

الطـــريق مسدود ، والطلب مردود ، وخير الخليقة[١] اعترف بالعجز عن البلوغ إلى هذه المرتبة ، حيث قال : (**أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**)[٢] ، وليس ثناء أعظم من الاعتراف له بالوحدانيّة .

فـــلا يقـــدر أحد لتوحيده تعالى كما يوحّد نفسه ، ولذا أفرده في الذكـــر ، وقدّم شهادته على نفسه بالوحدانيّة ، ولذا قيل في هذا المقام إنّ شهادة الحق للحق حق ، وشهادته للخلق رسم ، كما سيأتي[٣] إن شاء الله تعالى .

فيكون قول لا إله إلاّ الله خاصّاً لله سبحانه على الحقيقة ، لا يشرك معه أحد في هذا التوحيد .

[٢ - مرتبة الحقيقة المحمدية ﷺ] :

ثمّ دونـــه أي تحت الأزل ، وفوق جميع مراتب الإمكان ، الحقيقة المحمّديّة - صلوات الله وسلامه عليها - فتوحيده أتمّ التوحيدات ، وأعلاها

---

(١) في (ح) : الخلق .

(٢) عـــوالي الـــلآلي ، ابن أبي جمهور : ١١٤/٤ ، الخاتمة ، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه /١٧٦ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٣/٦٨ ، ك الإيمان والكفر ب٦١ ، الشكر /١ . مصباح الشريعة ، منسوب للإمام الصادق عليه السلام : ٥٦/١ ، ب٢٤ في الذكر . المغني ابن قدامة : ٧٨٤/١ ، ب الصلاة بالنجاسة .

(٣) انظر : ٩/٢ .

وأشرفها ، لكونها أوّل مظهر للذات بأوّل ظهور ، الذي هو نفس الظاهر ، فاتّحد الظهور والظاهر والمظهر فيه ﷺ ، فظهر الحق له به نفسه ، بدون توسّــط شــيء ســوى نفســه ، فله مقام في التوحيد لم يبلغه أحد من الموجــودات الإمكانيّة والأعيانيّة ، لكن توحيده بالنسبة إلى توحيده الحق تعالى ناقص ، بل شرك .

أمّا بالنسبة إلى مرتبة الموجودات الإمكانيّة فأعلاها وأشرفها وأتمّها ، قد رضي الله عنه بهذا التوحيد ، ولذا جعله رسولاً على /ح ٢٧ وحييه[١] ، الوجودي والتشريعي ، ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[٢] وأميناً على أمره ، ومطّلعاً على سرّه ﷺ .

ثمّ رتــبة عليّ عليه السلام ، ولذا قال مخاطباً لعليّ عليه السلام : (**ما عرف الله إلاّ أنــا وأنت**)[٣] ؛ لكونهما وأولادهما الطاهرون حقيقة واحدة ، فلا إله إلاّ الله الــذي يقولهــا رسول الله ﷺ دون لا إله إلاّ الله الذي يقولها الله سبحانه .

---

(١) في (ح) : وحيه .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٤ .

(٣) المختصــر ، الحسن الحلي : ٣٨ . تأويل الآيات ، شرف الدين الحسيني : ١/٢٢١ ، سورة يونس/١٥ . مختصر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ١٢٥ ، ب في أئمة آل محمد صلوات الله علــيهم أجمعــين وأن حديثهم صعب مستصعب ... . مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ١١٢ .

[٣ – مرتبة الملائكة العالين] :

ثمّ دونه أي تحت رتبة الحقيقة المحمّديّة ﷺ رتبة الملائكة العالين ، الذين ما سجدوا لآدم عليه السلام حين أمرت الملائكة بالسجود ، قال تعالى لإبليس لمّا استكبر عن سجود آدم عليه السلام : /م ٦٨ ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[1] ، فثبت أنّ الملائكة العالين ما سجدوا لآدم عليه السلام .

وهم حملة العرش ، الذي هو تمام الوجود ، لأنّ الوجود بحذافيره إنما يستمدّ منهم ، وهم أربعة ، كلّ منهم موكّل على ركن من أركان العرش، والملائكة الأربعة تستمدّ منهم ، فميكائيل يستمدّ من الملك الموكلّ بالركن الأيمن الأعلى من العرش ، وإسرافيل يستمدّ من الملك الموكّل بركن الأيمن الأسفل من العرش ، وعزرائيل يستمدّ من الملك الموكّل بركن الأيسر الأعلى من العرش ، وجبرائيل يستمدّ من الملك الموكل بركن الأيسر الأسفل من العرش .

ومن أجل أنّ الموجودات كلّها تستمدّ من تلك الملائكة العالين ، فهم أقرب إلى المبدأ بالنسبة إلى الجميع ، فظهور الحق تعالى لهم أعلى وأتمّ من الجميع ، بل ظهوره تعالى للجميع بفاضل ظهوره لهم .

فمقامهم في التوحيد أعلى وأشرف من كلّ المراتب الأعيانيّة ، سوى مقام الحقيقة المحمّدية ﷺ ، فإنّ ظهور الحق لهم بتوسّط ظهوره

---

(١) سورة ص : ٧٥ .

لمحمّــد ﷺ ، فلا إله إلاّ الله الذي يقولها تلك الملائكة أعلى وأشرف من كل الموجودات ، ودون لا إله إلاّ الله الذي يقولها النبي ﷺ .

[٤ – مرتبة الملائكة الكروبيين] :

ثمّ دونهم رتبة الملائكة الكروبيّين ، وهم قوم من شيعة محمّد ﷺ تحـــت العرش ، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ولّما ســـأل موسى ربّه ما سأل ، أمر بواحد منهم فتجلّى له بقدر سمّ الإبرة ، فـــدكّ الجبل ، وخرّ موسى صعقاً[1] ، وهم أرباب الأنبياء بالله ، قال الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً** ﴾[2] .

فلهم مقام في التوحيد لم يبلغه أحدٌ مما تحتهم ، من الأنبياء والمرسلين والمؤمنين الممتحنين ، وما تحتهم من الحيوانات والنباتات والجمادات ، فلا إلـــه إلاّ الله الـــذي يقولهـــا هؤلاء الأخيار تحت لا إله إلاّ الله الذي يقولها الملائكـــة العالون ، ومحمّد ﷺ ، وفوق لا إله إلاّ الله الذي يقولها جميع الموجودات .

---

(١) بصائر الدرجات ، محمد بن الحسن الصفار : ٨٩/٢ ، نادر من باب ما خص الله به الأئمة ... /٢ . الســـرائر ، ابن إدريس الحلي : ٥٦٩/٣ ، المستطرفات من كتاب السياري . بحار الأنـــوار ، العلامة المجلسي : ٢٢٤/١٣ ، ك النبوة ، أبواب قصص موسى وهارون عليهما السلام ، ب٧ نزول التوراة وسؤال الرؤية .../١٨ .

(٢) سورة الأعراف : ١٤٣ .

[٥- مرتبة الأنبياء عليهم السلام] :

ثمّ دونهم رتبة الأنبياء ، فمقامهم في التوحيد تحت مقام الكروبيّين ، وفوق جميع المراتب التحتيّة ، لأنّ الله تجلّى لهم بتجلّيه للكروبيّين ، وتجلّى للكروبيّين بتجلّيه للملائكة العالين ، وتجلّى للملائكة العالين بتجلّيه للحقيقة المقدّسة النبويّة صلى الله عليه وآله ، فهي قطب الوجود ، وعليه مدار الوجود ، وإليه كلّ شيء يعود ، فلا إله إلاّ الله الذي لهم /م ٦٩ تحت لا إله إلا الله[١] لما فوقهم وفوق لا إله إلا الله الذي لما تحتهم ، هذا لهم بالإجمال .

ولهم أيضاً مقامات ودرجات ومراتب في التوحيد ، تختلف بحسب اختلاف تجليات الحق لهم ، فلكل واحد ذكر خاص من لا إله إلا الله لا يشاركه معه سواه ، وترتيبهم في درجاتهم مثل ترتيب الأشعة المستمدة من السراج في مقاماتهم[٢] ودرجاتهم .

وليس هذا الترتيب ترتيب العليّة والمعلوليّة ، بل ترتيبهم ترتيب التقدم والتأخر ، ومجموع الأشعة علة للأظلة لا واحداً واحداً من أفرادها ، وكذا الأنبياء علة لما تحتهم ، من المؤمنين والمسلمين ، والمنكرين والكافرين، لكن بتمامهم لا واحداً واحداً منهم ، كما لا يخفى ، فحينئذ تعرف معنى ما ورد في الدعاء : (**لا إله إلا الله آدم صفي الله ، لا إله إلا الله نوح نبي**

---

(١) في (ح) : إلا الله الذي .

(٢) في (ح) : مقامهم .

الله ، لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله ، لا إله إلا الله موسى كليم الله ، لا إله إلا الله عيسى روح الله ، لا إله إلا الله محمد حبيب الله)[1] الدعاء .

وسرّ هذا الترتيب من إدراج نبينا ﷺ في درجات الأنبياء تعرف من الحديث المروي[2] : أن نور نبينا لما أتم السباحة في الأبحر الاثني عشر ، بحر المحبّة ، بحر القدرة ، بحر العظمة ، بحر الجلال ، بحر العزة ، بحر الرفعة ، بحـــر الجمال ، بحر الكمال إلى آخر الأبحر ، قطر منه مائة وأربعة وعشرون ألـــف قطرة ، خلق من كل قطرة روح نبي من الأنبياء ، ونبينا صلوات الله عليه وآله منهم ، وهو سر الترتيب والإدراج ، فافهم .

[٦ – مرتبة الإنسان] :

ثم دون رتـــبة الأنبياء رتبة الإنسان ، الذي هو من فاضل الأنبياء ، فـــلا إله إلا الله الذي يقولها خاص بهم ، وهو تحت توحيد الأنبياء ، وفوق توحيد الحيوانات ، هذا بالإجمال ، ولهم مقامات في لا إله إلا الله لا يحصي عددها إلا الله .

---

(١) الدعـــوات ، الراوندي : ٢١١ ، ب٣ في ذكر المرض .../٥٧١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلســـي : ٦٢/٩٢ ، ك الذكر و الدعاء ، أبواب الأذكار و فضلها ، ب٥٩ الدعاء لعموم الأوجاع .../٣٨ .

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٩/١٥ ، تاريخ الرسول الأعظم ﷺ ، ب١ بدء خلقه وما جرى له في الميثاق ... /٤٨ . الأنوار ، البكري : ٩ .

[٧-٨-٩ – مرتبة البهائم والنباتات والجمادات] :

وكـــذا الكلام في البهائم والنباتات والجمادات ، وكلها أولو العلم شـــاهدون لله تعالى بالوحدانية ، كل في مقامه ومرتبته ، لا إله إلا هو ، له الحكم وإليه ترجعون ، وهذا سر اختلاف التوحيد بالإجمال .

[مثال يقرب اختلاف المراتب]

وإذا أردت أن تعـــرف حقيقة الأمر في هذه[1] المسألة ، قابل مرايا متعددة مختلفة مترتبة ، فترى في المرآة الأولى صورتك وحدها ، وفي المرآة الثانـــية صورتين ومرآة ، وفي المرآة الثالثة ثلاث[2] صور ومرآتين ، وهكذا إلى آخـــر المراتـــب والمرايا ، ويبلغ الأمر /م ٧٠ إلى أن تعوج صورتك ، وتصـــغر ، لكـــثرة الصور والمرايا ، تأمل في معرفة هذه الصور إياك ، مع ملاحظة أن الشيء لا يتجاوز[3] مبدأه ، ولا يقرأ إلا حروف نفسه ، فكل هـــذه الصـــور توحـــيدك[4] على اختلاف مراتبهم ، وتفاوت معارجهم ودرجاتهم .

---

(١) في (ح) : تلك .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) في (ح) : لا يتجاوز عن .

(٤) في (م) : توحدك .

فتوحـــيد الصورة التي في المرآة الأخيرة ، شرك بالنسبة إلى الصورة في المـــرآة التي فوقها ، وتوحيد بالنسبة إليها ؛ لأنها وسعها وطاقتها ، ولا تقدر على غيرها ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

وإذا كانت المرايا متعددة مترتبة ، فلا يمكن أن يتجلى في المرآة التي في التحت ، إلا بتوسط تجليه في المرآة التي في الفوق ، وهكذا يترقى إلى أن يصـــل إلى المرآة التي أنت قابلتها بلا توسّط مرآة أخرى ، سوى نفسها ، وليس فيها إلا صورتك وحدها ، فمعرفة تلك الصورة إياك أعلى وأشرف مـــن جمـــيع الصور التي في المرايا التحتيّة ، فتوحيد كل /ح ٢٨ الصور(١) شـــرك بالنســـبة إلى توحيد تلك الصورة العالية الشريفة ، ولكن معرفتها بالنسبة إلى معرفتك ناقصة ، وتوحيدها بالنسبة إلى توحيدك نفسك شرك ، لأن توحيدها ظهور ورسم وتجلٍ على ما هي عليه ، لا على ما أنت عليه .

وإن [كانـــت](٢) المرآة مستقيمة غير معوجة ، فكل هذه المراتب يقولـــون لا إله إلا الله ، لكن كل في مقامه ومرتبته ، ولا يليق كل شيء منها بجلال قدسه ، سوى توحيده نفسه ، ولهذا نزّه نفسه عن كل توحيد ، لكل شخص ، ولكل وصف ، لكل فرد من أفراد الموجودات ، حيث قال

---

(١) في (ح) : فكل توحيد هذه الصورة .

(٢) في (ح) ، (م) : كان .

تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١] .

وهنا كلام ذكرناه في رسالتنا مقامات العارفين ، من أراد الاطلاع فليطلبها ، فإن[٢] فيه غنية [للطالب السالك إلى الله تعالى ، وإلى هذا انقطع الكلام عن المطلب الأول][٣] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد خير المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الأكرمين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الصافات : ١٨٠-١٨٢ .

(٢) في (ح) : فإن ما .

(٣) لم ترد في (ح) .

الثاني

في تقسيم التوحيد تقسيماً أولياً

[توحيد الذات والصفات والعبادة والأفعال]

اعـــلم أنه يجب علينا أن نوحد الله -جل جلاله- توحيداً كاملاً ، صحيحاً تاماً ، بحيث لا يشوبه شرك أصلاً ، وهو لا يتحقق إلا إذا وحدنا الحق سبحانه في أربع مراتب :

[١- توحيد الذات] :

الأولى : توحـــيد الذات ، قال تعالى : ﴿ **لا تَتَّخِذُوا** /م ٧١ **إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾[١] ، ومعنى التوحيد الذاتي هو : أن توحد ذات الحـــق تعالى عن الشريك له في الذات كما صرح به تعالى ، وتقطع النظر عن كل شيء سواه .

[٢ – توحيد الصفات] :

الثانـــية : توحيد الصفات ، قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[٢] وهذا التوحيد له معنيان :

---

(١) سورة النحل : ٥١ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

أحدهما : أن الله -تبارك وتعالى- واحد متفرد في صفاته ، لا يشرك معـــه فيها أحد لا في صفاته الذاتية ، ولا الفعلية ؛ فلا تقول : الله عالم ، وزيد عالم ، وصدق العالمّية عليهما بالاشتراك المعنوي ، وكذا الله موجود، وزيد موجود ، وإلا لكان له شريك في صفاته ، فإن الوجود حقيقة واحدة فيهما ، تعالى ربي وتقدّس عن ذلك علواً كبيراً .

وثانيهما : أنه ليس في الوجود سوى صفة الله سبحانه ، واسمه ، إذ كـــل ما في الوجود سوى الله تعالى ممكن ، وكل ممكن محدث بالله ، وكل محدث صفة[1] المحدث واسمه المنبئ عن صفاته وآثاره ، كما لا يخفى .

وهذا معنى عال شريف في غاية المتانة ، وإليه الإشارة في الدعـــاء : (**لا يـــرى فـــيه نـــورٌ إلا نورك**)[2] ، وقال عليه السلام : (**ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه**)[3] ، كما لا يخفى على الفطن العارف .

---

(١) في (ح) : صفة صفة .

(٢) سبق تخريجه : ٢٨١/١ .

(٣) مفاتيح الغيب ، الشيرازي : ١٣٨/١ . الكهف والرقيم ، الجيلي : ١١ .

[٣ – توحيد العبادة] :

الثالثة : توحيد العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾[١] ، وقال أيضاً : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** ﴾[٢] .

ومعنى ذلك أن المخلوق لا يفعل ما يخالف رضا الله ، ولا يشرك في عبادته أحداً ، إذ لو فعل ما يخالف رضا الله ، فقد فعل ما يوافق هواه ، فقد اتخذه إلهاً من دون الله ، ولذا قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾[٣] ، وكذا المرائي مشرك ، وهنا تفصيل سيأتي بيانه إن شاء الله[٤] .

العبادة [هي][٥] فعل ما يرضي الله سبحانه ، والعبودية هي رضا ما يفعل ، وهذه قواعد كليّة ، قس عليها جزئياتها ، كما لا يخفى على العارف الكامل .

---

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

(٢) سورة النساء : ٣٦ .

(٣) سورة الجاثية : ٢٣ .

(٤) انظر : ٢/٥٠ .

(٥) في (ح) ، (م) : هو .

[٤ – توحيد الأفعال] :

الــرابعة : توحــيد الأفعال ، وهو أن تعتقد أن الفاعل في الوجود واحد ، وهو الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّه** ﴾[١] .

﴿ **لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ** ﴾[٢] .

﴿ **مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَات** ﴾[٣] .

والعارف يرى هذا المعنى بعين المشاهدة والعيان ، ويرى أن لا مؤثر في الوجــود إلا الله ، ولا فــاعل إلا هو ، لكن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشــف الســوء عمّن ناجاه ، ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** /م ٧٢ **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُــدُونَ** ﴾[٤] ، وبــين ذلك العالم في الدعاء ، حيث قال : (**اللهم إني أدعوك كما أمرتني ، فاستجب لي كما وعدتني**)[٥] .

---

(١) سورة فاطر : ٣ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٢ .

(٣) سورة الأحقاف : ٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٥) مصــباح المــتهجد ، الشيخ الطوسي : ٦٢٥ ، شهر رمضان ، ف في ترتيب نوافل شهر رمضان ... /٧٧ . الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين عليه السلام : ٨١ ، دعاؤه عليه السلام في الاعتراف ... /٣٥ . إقبال الأعمال ، السيد ابن طاووس الحسني : ٢١٨/١ ، ب٥ ، ف٦ فيما نذكره من الأدعية و التسبيح... .

فهـــو معطـــي الفيض والقوّة والاستعداد ، لا على نهج الجبر ، بل بمقتضـــى القابلـــيّة ، ولكـــن لا يعرف هذا المطلب إلاّ من أطلعه الله على مكـــنون علمه ، ومخزون سرّه ، وسئل العالم عنه ، فقال : (**سرّ الله فلا تهتكه**)[1] .

وسئل ثانياً ، فقال : (**بحر عميق فلا تلجه**)[2] .

فهّمك الله وإيّانا مكنون سرّه بالنبيّ وآله الطاهرين .

ولقد كتبنا في الرسالة الرشيديّة هذا التوحيد على أكمل وجه ، وأتمّ بـــيان ، من أراد الاطلاع عليه فليطلبها ، ويرى فيه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعـــت ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، وصلّى الله على محمّـــد وآلـــه الطاهرين الأكرمين ، هذا هو الذي ذكره العلماء من أهل الظاهر[3] .

---

(١) التوحـــيد ، الشـــيخ الصـــدوق : ٣٦٥ ، ب٦٠ القضاء والقدر ... /٣ . غرر الحكم ، الآمدي: ١٣/٢ ، ف ٥١/٤٧ . فقه الرضا ، منسوب للإمام الرضا عليه السلام: ٤٠٨ ، ب١١٨ في الاستطاعة .

(٢) التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٣٦٥ ، ب٦٠ القضاء والقدر ... /٣ . الاعتقادات ، الشيخ المفيد : ٣٤ ، ب٧ الاعتقاد في القضاء والقدر . عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ٤/ ١٠٨ ، الخاتمة ، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه /١٦٢ .

(٣) في (ح) : الباطن .

[رأي المصنف في هذا التقسيم]

أمّا الفقير فعندي – ولا قوّة إلاّ بالله – أنّ التوحيد شيء واحد ، وكلّ واحد من هذه المراتب يشمل المراتب الأخر ، وهذه التفاصيل من جهة تكثير الألفاظ ، وأمّا الحقيقة فتوحيد الذات – إن كان الشخص صادقاً في هذا التوحيد – يستلزم التوحيدات الأخر ، وكذا في توحيد العبادة ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، فالموحِّد حين التوحيد لا يرى هذه الأشياء والأمور ، ولا يلتفت إلى الكثرات ، وإلاّ لما وحّد ، فإنّ التوحيد ينافي الاثنينية ، وهذا معلوم لمن له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

[التوحيدات الأربعة والموحدون] :

وإذا ضربت المراتب المختلفة التي في التوحيد باعتبار الموحّدين في هذه الأربعة ؛ لأنّ في كلّ مرتبة من المراتب لا بدّ وأن يكون [فيها] هذه المراتب ، وإلاّ لكان التوحيد ناقصاً ، وتلك المراتب ثمانية :

الأولى : مقام[1] الحقيقة المحمّدية ﷺ .

والثانية : مقام الملائكة العالين حملة العرش .

والثالثة : مقام الملائكة الكروبيّين .

---

(١) في (ح) : مقام الأولى .

والرابعة : مقام الأنبياء .

والخامسة : مقام الإنسان .

والسادسة : مقام الحيوانات من البهائم .

والسابعة : مقام النباتات .

والثامنة : مقام الجمادات .

فإذا ضربت يكون الحاصل اثنين وثلاثين فاستخرجها كلّها من هذا الشكل - وفّقك الله - وهذه المراتب لكلّ مقام من هذه المقامات ، إلاّ أنّ في البعض من حيث يشعر ، وفي البعض من حيث لا يشعر ، كما فصّلنا وحقّقنا في هذا الشكل /ح ٢٩ ، وهو هذا /م ٧٣ :

توحيد الموحِّد	توحيد الذات	توحيد الصفات	توحيد العبادة	توحيد الأفعال
مقام الحقيقة المحمدية	أول الظهور في كمال الخفاء والعماء وهو صبح الأزل	بالاضمحلال وعدم الملاحظة ؛ لأنّ كمال التوحيد نفي الصفات عنه	بالفناء والانقطاع ؛ لأن عبادته نفسه ولا نفس له بالإحراق	على ما قال تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
مقام الملائكة العالين	أول المظهر بثاني الظهور ولهم صورة واحدة	قائلون كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	لا يلتفتون إلى الشهوات النفسانية مستغرقون في بحر العبادة	قائلون : ﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
مقام الملائكة الكروبيّين	ثاني مظهر بثالث الظهور ولهم مرايا وصورتان	قائلون : لا يسمع فيها صوت إلاّ صوتك	ناظرون إلى ربهم ، ومنقطعون عن نفسهم ، لكن بالحقيقة المحمدية	قائلون : لا يرى فيها نور إلاّ نورك
مقام الأنبياء والمرسلين	أتم المظاهر ولذا كانوا رسلاً ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	قائلون : ما رأينا شيئاً إلاّ ورأينا الله قبله أو معه	قد يشكون في الولاية قائلون: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	راضون لقضاء الله وقدره ولا يتعرضون أبداً أبداً
مقام معاشر الإنسان	أشرف المخلوقات ولهم مرايا وصور ، إذا عرفوا أنفسهم عرفوا ربهم	بما يناسب مقامهم ويليق حالهم لهم في هذا المقام مراتب والأكثر المعنى الأول	ولهم نظر إلى أنفسهم وإلى ربهم في الأغلب ، وقد يشابهون الأنبياء في الأحوال	لا مؤثر في الوجود إلاّ الله في الأغلب بلسان حالهم والقليل باللسانين ، وبعض من حيث لا يشعرون
مقام أنواع البهائم	أدنى الصورة لاعوجاجها لكثرة الصور والمرايا كما لا يخفى	لهم في هذا المقام المعنى الأول على ما يناسبهم	وأكثر نظرهم إلى أنفسهم وتوحيدهم من حيث لا يشعرون	كذلك الكلام في هذا التوحيد بالنسبة إليهم
مقام أصناف النباتات	آخر المراتب النفسية ويجعلون ربهم مستقيماً	ولهم ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله بعده كما في البهائم إلاّ أنه أنزل	نظرهم إلى أنفسهم وإلى ربهم من حيث لا يشعرون	إقرارهم بهذا التوحيد من حيث الكينونة
مقام أنواع الجمادات	مظهر اسم الله المميت أموات غير أحياء	ولهم المقام الفوقاني بالفاضل والشعاع	نظرهم إلى أنفسهم يعبدون الشمس من دون الله	يقرون بهذا التوحيد من حيث لا يشعرون

الفهارس



فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المعصومين عليهم السلام

فهرس الأنبياء والملائكة عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات

فهرس الأماكن والفرق والمذاهب

فهرس الشعر العربي

فهرس الشعر الفارسي

فهرس الموضوعات

الثاني

الثالث

الأول

أعمال المحقق

١- مفاتــيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار(مجلدان)، للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي.

٢- الرسالة البدائية، للميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي.

٣- رسالة شاه زادة، للشيخ محمد تقي بن أحمد بن زين الدين الأحسائي.

٤-منار رفع الشبهات عن اختصاص التقليد بالأحياء دون الأموات، للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي.

٥- دعــوى وحدة الناطق أدلة بطلانها من كتب الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي ، للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي.

٦- تفســير آيــة الكرســي بحوث معمقة في المضامين والدلالات (ثلاثة مجلدات)، السيد كاظم الرشتي.

٧- الرسالة الخراسانية شرح مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه، للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي.

٨- الــنور المضي في معرفة الكنّز الخفي (شرح كنت كنزاً مخفياً)، للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي.

تطلب هذه الكتب من دار المحجة البيضاء، بيروت- لبنان.